عبد القادر فياض حرفوش

أنبياء بلا نبوة

دار البشائر

بسم الله الرحمن الرحيم

العنوان : أنبياء بلا نبوة
تأليف : عبد القادر فياض حرفوش
عدد الصفحات : ٣٥٥ صفحة
قياس الصفحة : ١٧ × ٢٥سم
عدد النسخ : ١٠٠٠ نسخة
تحضير البلاكات : مركز النبلاء ـ دمشق
الطباعة : دار الشام للطباعة ـ دمشق

دار البشائر
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق ـ ص. ب ٤٩٢٦ سورية ـ فاكس ٢٣١٦١٩٦
هاتف ٢٣١٦٦٦٨ ـ ٢٣١٦٦٦٩

الطبعة الأولى
١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

أنبياء بلا نبوة

ردة وارتداد ومرتدون
وأَرباب وأنبياء بلا نبوة وأدعياء للألوهية

وأتباع لكل منهم في هذا المكان أو ذاك .

وكلهم يشكل خطراً إذا ما استفحل أمرهم في هدم المجتمع .

إن لكل منهم آراء ومفاهيم قد تلتقي وقد تختلف والمهم عندهم تحقيق الغاية مهما كانت الوسيلة وما قد يقع من نتائج .

كل هذا ينمو ويترعرع في مواطن الجهل حيث الظلام يخيم على عقولهم والبساطة في تفكيرهم .

فالعلم، والتنوير الفكري المتواصل للمجتمع تحميه من الانجراف وراء شخصيات معقدة ومريضة، تدعي الألوهية تارة والنبوة تارة أخرى .

وإن إيمان الإنسان المغفل بأن هذا الشخص أو ذاك يحقق منفعة له فإنه يتفانىٰ معه حتى النهاية، وهنا تكمن الخطورة إذا ما كبر العدد وأصبح في ازدياد وجميعهم ينقادون وينفذون أوامر غير مسؤولة تعود على المجتمع وأمنه بالخطر .

تحاشيت في هذا الكتاب المساس ببعض الشخصيات التي اختلف فيها المؤرخون ولهم عقائد مضطربة وأتباع، وذلك حفاظاً على شعورهم .

موضوعات الكتاب

حكمة الكتاب

قال الله عزَّ وجلَّ :

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾[1] .

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴾[2] .

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۞ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ۞ ﴾[3] .

صدق الله العظيم .

---

(١) سورة الفرقان آية/ ٦٣ .

(٢) سورة الفرقان آية/ ٧٢ .

(٣) سورة المؤمنون آية/ ١١٥ ، ١١٦ .

إن الطائفية مهما كانت نوعيتها أو اتجاهها أو لأي دين تنتمي ، أو في أي إطار أو مذهب تسير فهي من الخطورة بمكان في تهديد بنية المجتمع بالتصدع ، وتفكيك الوطن ، وتدمير حلم الأجيال ، فهي سلاح فتاك في يد الأعداء فيجب محاربتها والقضاء عليها .

ومن الخطر الجسيم أن تكون موالاة المواطن للعشائرية ، أو القبلية ، أو الطائفية ، أو الشعوبية ، فالعاقل هو من تكون موالاته للوطن ، فالشعب في الوطن الواحد هو شعور وآمال وآلام وروح وطموح وتاريخ ومستقبل كلها تتمثل في جسد الوطن .

وما ذكرت في هذا الكتاب هو من صلب تاريخنا وبعض الذي ذكرت ربما يتناوله البعض في السر أو العلن ، ولا يوجد أي سر ما دام هناك تراث ومكتبات عامة وكتب وكتاب يكتبون في كل مجال يبحثون عن الحقيقة واتباع التسامح والإصلاح ، فإنهما من طرق الفضيلة .

ويعرف الجميع أهمية تعاضدهم وتكاتفهم في بناء الوطن والمستقبل العلمي بكل معاييره ، والنهوض به والتطلع إلىٰ بناء أوسع وأشمل يمتدِ حتىٰ يحيط بالأمة .

ولو استسلمت القيادة العربية المسلمة لرغبة المرتدين وجموحهم ، لتم القضاء علىٰ الدولة العربية الفتية ولعادات القبلية والصراع القبلي لسابق عهده بل أشد فتنة وعصبية تعود بالويل والثبور من غزو ونهب وسلب وتدمير ، وَلَمَا رأيت التاريخ العربي الإسلامي المشرق بانتصاراته المذهلة بين المشرق والمغرب ، واندحار دولة كسرىٰ ـ وبيزنطا روما ـ وهرقل يودع سوريا وداعاً لا لقاء بعده .

إن الاستقرار الديني انتهىٰ منذ آلاف السنين بنزول الديانات السماوية بينها الدين الإسلامي وحدثت مذاهب في الأديان السماوية وخاصة الإسلام هدفها

التشريع للمسلمين ، وفتحت أبواب الاجتهاد ، وكل ذلك أثرىٰ التراث الديني .

أما ما تحيط به الشبهات ويؤثر علىٰ مستقبل الوطن والأمة فهو مرفوض ، وكل مواطن شريف مسؤول أن لا يسمح بتخريب الوطن والمجتمع تحت أي ذريعة من الذرائع ودون مهادنة .

المؤلف

عبد القادر فياض حرفوش

الإهداء

إلىٰ الخليفة الأول أبي بكر الصديق ، الذي حزم أمره ووقف موقف الأبطال القادة بقراره المسؤول ، بتحطيم المرتدين حتىٰ يثوبوا إلى رشدهم ، وهكذا كان .

إلىٰ الفاروق عمر بن الخطاب قائد الفتوحات وموجهها وراعيها .

إلىٰ قاضي الأمة وأميرها أبا الحسن علي بن أبي طالب الذي لا تأخذه في الله لومة لائم .

إلىٰ أبي سليمان خالد بن الوليد الذي اقتلع جذور المرتدين في معركة اليمامة (عقرباء ـ حديقة الموت) وغيرها من المواقع .

إلىٰ قائد أهم معركة في التاريخ العربي الإسلامي ـ معركة اليرموك .

إلىٰ الذي قال : لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها ، وما في بدني موضع شبر إلاّ وفيه ضربة أو طعنة أو رمية ، وها أنا أموت علىٰ فراشي كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء . إنه خالد إلىٰ ما لا نهاية . . . .

بكم يا سادتي وبأمثالكم يزهو تاريخنا ، نحن لا ننظر إلىٰ أية خلافات كانت علىٰ بساط بحثكم لقد أكل الدهر عليها وشرب .

نحن ننظر إليكم كرموز عربية إسلامية ، مناراتكم أضاءت الدنيا وكانت مراكز هداية ينبعث منها العلم والعدل والأخلاق ، بإشعاعه دون توقف .

إننا نتطاول بتاريخنا الإنساني الذي ما زال في عقول الأجيال شعلة لاتنطفئ .

المؤلف

عبد القادر فياض حرفوش

كلمة

هل الإسلام دين تسامح ومحبة ومساواة . . . ؟ .

الإسلام هو الدين الذي لا يفرق بين عربي وأعجمي إلاّ بالتقوىٰ ، إنه دين الإنسانية ، فالإنسان أخو الإنسان شاء أم أبىٰ ، يكفل حقوق الناس كافة ويحض علىٰ المودة والتعاطف والتواصل والتراحم ، ويحرص كل الحرص علىٰ إحقاق الحق وإقامة العدل في كل ميادين الحياة . . .

هل الإسلام دين علم وتفكر وفكر ؟ .

قال الله عز وجل : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۞ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۞ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۞﴾(١) ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٢) ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۞ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۞ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۞ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۞﴾(٣) وهناك آيات عدة تحض الإنسان علىٰ التفكر في نفسه وفي خلقه وفي كل حاسة من حواسه ، وحضه أيضاً إن استطاع أن ينفذ أقطار السماوات والأرض فلينفذ ولكن نفاذه حدده له هو بسلطان العلم وقال تعالىٰ في الحفاظ علىٰ الإنسان آيات عدة أذكر بعضاً منها علىٰ سبيل المثال لا الحصر : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾(٤) ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۞ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۞﴾(٥) .

---

(١) سورة العلق ـ كاملة .

(٢) سورة الزمر آية/ ٩ .

(٣) سورة الغاشية آية/ ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ .

(٤) سورة الأنعام آية/ ١٥١ .

(٥) سورة التكوير آية/ ٨ ، ٩ .

لقد زين الله للمسلم في دينه كل أعمال الخير ونهاه عن كل أعمال الشر ولو كانت كلمة تثير فتنة ، ما أعظم هذا الدين الذي يجهله بعض أهله ، لا أقول ذلك كوني من المسلمين بل حقيقة ما أقول : إن ما يرتكب باسم الإسلام من جرائم قتل دون مبرر ، إن هذا من الأعمال المأجورة والمشبوهة لتشويه صورة الإسلام وهناك من يعمل علىٰ ذلك ، لأن الإسلام بدأ ينير بعض عقول المتنورين في كل أنحاء العالم ، فعندما يعتنق أحد العلماء من أوربا أو أمريكا الإسلام تقوم الدنيا ولا تقعد ، لماذا أثيرت ضجة كبرى حول الأستاذ الفرنسي روجيه غارودي ؟ هل لأنه اعتنق الإسلام ، أم لأنه كشف خداع الصهيونية للعالم ؟ إن ما يواجه العرب من تحديات الصهيونية لهم في فلسطين من قتل وإرهاب وتدمير منازل ومقدسات ومن احتلال أرضهم في الجولان ، وجنوب لبنان والمذابح التي يقومون بها بشكل يومي ، ومذبحة قانا التي ذعر لها العالم ولكن أمريكا وأوربا في آذانها صمم وفي أعينها زوغان ، إن الصهيونية سيطرت علىٰ العالم بالمال والإعلام ، والعرب علىٰ وجه العموم يحبون الفردية رغم إمكانياتهم الاقتصادية الهائلة وكذلك البشرية مما يمكنهم أن يكونوا قوة عالمية لها تأثيرها القوي علىٰ كل الصعد وخاصة علىٰ منابر الهيئات الدولية[1] . وقال الشاعر العربي :

تـأبـىٰ الـرمـاح إذا اجتمعـن تكسـراً   وإذا انفـــردن تكســـرت آحـــادا

* * *

(١) تعليق المؤلف : إن الصهيونية منذ أن احتلت فلسطين وشردت أهلها قامت باعتداءات منتظمة علىٰ مصر وسوريا والأردن ولبنان واحتلت أراضيهم ، وقصفت المفاعل العراقي ، وملكت هي القنابل والصواريخ النووية التي تلوح بها للعرب في كل أزمة . وعلىٰ العرب أن تكون لهم مقابل ذلك قوة نووية رادعة وهم قادرون علىٰ ذلك لما يملكون من طاقات هائلة بشرية واقتصادية ، وعلماء يعملون خارج بلادهم . أقول : توحدوا يا عرب علىٰ الصعيدين العسكري والاقتصادي فإن وراء الأكمة ما وراءها .

مقدمـــة

لقد كانت معاناة الأنبياء مع الشعوب التي بعثوا إليها معاناة حقيقية لما لاقوه من الإهانة والتعذيب والتكذيب ، وإن الذين تنبؤوا في شعوب العالم بالتأكيد كانوا كثيرين ، أما الديانات السماوية فهي ثلاث من بينها الإسلام .

وبحثنا في هذا الكتاب يتعلق بالذين ادعوا أنهم آلهة أو أنبياء ، وما هم من ذلك بشيء ، إنما هو محض افتراء ودجل وتضليل للعامة من الناس وكان لهم من وراء ذلك أغراض أخرىٰ .

ويتناول بحثنا هذا الذين ادعوا النبوة في العصر الجاهلي ، وصدر الإسلام ، والعصر الأموي ، والعصر العباسي ، وفي القرون المتأخرة .

أما الذين ذكرهم المؤرخون في الجاهلية وهناك بعض الشك في نبوتهم فهم ثلاثة قيل أنهم نهجوا نهج الأنبياء في التوحيد والإقرار بالبعث واختلف الناس فيهم وهم : حَنْظَلة بن صَفْوَان ، وخالد بن سِنَان العَبْسي ، وزَيْدُ بن عَمرو بن نَفِيل . فمن الناس من رأىٰ أنهم أَنبياء ومنهم من رأىٰ غير ذلك .

فمن ذُكر أنه نبي ، حَنْظَلة بن صفوان ، أنه جاء بالفترة بين المسيح ومحمد ﷺ وكان من ولد إسماعيل وأُرسل إلىٰ أصحاب الرَّس وذلك باليمن فقام فيهم حَنْظَلة بن صَفْوان بأمر الله فقتلوه .

أما خالد بن سِنان أحد بني مَخْزُوم من بني قُطيعة بن عبس ولم يكن في بني إسماعيل نبي قبله وهو الذي أطفأ الله به نار الحرَّتين ، وكانت ببلاد عبس وتوفي وفاة طبيعية .

أما زيد[1] بن عمرو بن نفيل كان قد اعتزل عبادة الأوثان ، والميتة ، والدم ، ونهىٰ عن قتل الموءودة وقال : أعبد رب إبراهيم ، فكان لا يأكل ما ذُبح لغير الله ، وسُئل رسول الله ﷺ عن زيد فقال : « يُبعثُ يوم القيامة أُمَّة وَحْدَهُ » .

فلم يدخل زيد في يَهودية ولا نصرانية ، وكان الخَطَّاب قد آذىٰ زَيْد حتّىٰ أَخرجه من مكة ومنعه من دخولها ، وذهب زَيْد إلىٰ الشام حتىٰ انتهىٰ إلىٰ راهب بميفعة من أرض البلقاء ، وأخبره الراهب عندما عرف منه أنه يسأل عن الحنيفية دين إبراهيم ، فقال له : إنك لتطلب ديناً ما أنت بواجدٍ من يحملك عليه اليوم ، ولكن قد أضل زَمان نبي يَخرج من بلادك التي خرجت يُبعث بدين إبراهيم الحنيفية فالحق بها فإنه مبعوث الآن هذا زمانه .

فهم زَيْد يُريد مكة حتىٰ إذا توسط بلاد لخم عدوا عليه فقتلوه .

ديانات العرب قبل الإسلام :

قال القلقشندي :

أما دياناتهم فكانت متباينة مختلفة ، فصنف منهم أنكروا الخالق والبعث وقالوا بالطبع الممحىٰ والدهر المغنىٰ ، وصنف اعترفوا بالخالق وأنكروا البعث ، وصنف عبدوا أصنام قوم نوح ، إما أنها هي بعينها ، وإما أنها سميت بأسمائها :

فكان لكلب : ود ، ولهذيل : سُواع ، ولمدلج ولقسم من اليمن : يغوث ، ولذي كلاع : نسر ، ولهمدان : يعوق ، ولثقيف : اللات ، ولقريش وبني كنانة : العزىٰ ، وللأوس والخزرج : مناة . وكان « هبل » علىٰ ظهر الكعبة ، وهي أعظم أصنامهم ، أو « إساف » و« نائلة » علىٰ الصفا والمروة .

---

(١) لكل واحد من الذين ذكروا ترجمة .

وكان منهم من يميل إلىٰ الصابئة ويعتقد في أنواء المنازل اعتقاد المنجمين في الكواكب السبعة السيارة ، ويعتقدون أنها فعالة بأنفسها . ومنهم من يعبد الملائكة ، ومنهم من يعبد الجن ، وكان لهم أحكام يدينون بها جاءت بها الشريعة الإسلامية بإبقاء بعضها وإبطال بعض ، فكانوا يحجون البيت ويعتمرون ، ويحرمون ويطوفون ، ويسعون ويقفون المواقف ، ويرمون الجمار ، ويغتسلون من الجنابة ، ويديمون المضمضة والاستنشاق ومسح الرأس والسواك والاستنجاء وتقليم الأظافر ونتف الإبط ، ولا ينكحون الأمهات ولا البنات ، فجاء الإسلام بإبقاء ذلك علىٰ وجه مخصوص ، وكانوا يعيبون المتزوج بامرأة أبيه ويسمونه الضيزن ، ويقطعون يد السارق اليمنىٰ ، وكانوا يجمعون بين الأختين ، فجاءت الشريعة بمنع ذلك ، وكانوا يعدون الظهار[1] طلاقاً ، وتعتد المرأة عن الوفاة بحول .

وكانوا إذا ألبس عليهم أمر ردوه إلىٰ كهنتهم ، وهم الذين لهم أتباع من الجن يخدمونهم ، وكانوا يعولون علىٰ عيافة الطير وزجره في حركاتهم ومقاصدهم ، وهو أن يعتبر عند قصده بما يراه من الطير ، تارة باسمه ، وتارة بطيرانه يميناً أو شمالاً ، وتارة بصوته ومقدار ما يصوت ، وتارة بمسقطه الذي يسقط فيه ، وجاءت الشريعة بإبطال ذلك[2] .

قال اليعقوبي :

وكانت أديان العرب مختلفة بالمجاورات لأهل الملل ، والانتقال إلىٰ البلدان ، والانتجاعات ، فكانت قريش ، وعامّة ولد معدّ بن عدنان ، علىٰ بعض دين إبراهيم ، يحجّون البيت ، ويقيمون المناسك ، ويقرون الضيف ،

---

(١) الظهارُ : قوله لامرأتهِ أنتِ عليَّ كظهر أمّي . القاموس المحيط : ظهر . وهذا يعتبر بمثابة الطلاق .

(٢) نهاية الأرب ٤٥٢ .

ويعظّمون الأشهر الحرم ، وينكرون الفواحش والتقاطع والتظالم ، ويعاقبون علىٰ الجرائم ، فلم يزالوا علىٰ ذلك ما كانوا ولاة البيت .

وكان آخر من قام بولاية البيت الحرام من ولد معدّ : ثعلبة بن إياد بن نزار بن معدّ ، فلما خرجت إياد وليت خزاعة[1] حجابة البيت ، فغيّروا ما كان عليه الأمر في المناسك ، حتىٰ كانوا يفيضون من عرفات قبل الغروب ، ومن جمع بعد أن تطلع الشمس .

وخرج عمرو بن لُحَيّ ، واسم لحيّ ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر ، إلىٰ أرض الشام ، وبها قوم من العمالقة يعبدون الأصنام ، فقال لهم : ما هذه الأوثان التي أراكم تعبدون ؟ .

قالوا : هذه أصنام نعبدها ، نستنصرها فَننصر ، ونستسقي بها ، فنسقىٰ .

فقال : ألا تعطوني منها صنماً ، فأسير به إلىٰ أرض العرب ، عند بيت الله الذي تفد إليه العرب ؟ فأعطوه صنماً يقال له هُبَل ، فقدم به مكّة ، فوضعه عند الكعبة ، فكان أول صنم وضع بمكة ثم وضعوا بها إساف ونائلة كلّ واحد منهما علىٰ ركن من أركان البيت ، فكان الطائف ، إذا طاف ، بدأ بإساف ، فقبّله ، وختم به ، ونصبوا علىٰ الصفا صنماً يقال له : مجاور الريح ، وعلىٰ المروة صنماً يقال له : مطعم الطير ، فكانت العرب إذا حجَّت البيت ، فرأت تلك الأصنام ، سألت قريشاً وخزاعة ، فيقولون : نعبدها لتُقربنا إلىٰ الله زُلْفىٰ ؛ فلما رأت العرب ذلك اتخذت أصناماً فجعلت كل قبيلة لها صنماً يصلّون له تقرباً إلىٰ الله ، فيما يقولون ، فكان لكلب بن وبرة وأحياء قضاعة وُدّ منصوباً بدومة الجندل[2] ، بجرُش ، وكان لحمير وهَمْذان ، نسر منصوباً بصنعاء وكان

---

(١) انظر كتاب قبيلة خزاعة في الجاهلية والإسلام لمؤلف هذا الكتاب عبد القادر فياض حرفوش .

(٢) دُومَة الجندل : عدها ابن الفقيه من أعمال المدينة . وقال أبو عبيد السكوني : دومة =

لكنانة سُواع ؛ وكان لغطفان العُزّىٰ ؛ وكان لهند وبَجيلة وخَثْعَم ذوالخَلَصة . وكان لطيّء الفُلْس منصوباً بالجِبْس ، وكان لربيعة وإياد ذو الكعباب بسِنْداد ، من أرض العراق ، وكان لثقيف اللات منصوباً بالطائف ؛ وكان للأوس والخزرج مناة منصوباً بفَدَك ، مما يلي ساحل البحر ، وكان لدوس صنم يقال له ذو الكفين ، ولبني بكر بن كنانة صنم يقال له سعد ؛ وكان لقوم من عُذرة صَنم يقال له شُمس ، وكان للأزد صنم يقال له رئام ؛ فكانت العرب إذا أرادت حج البيت الحرام ، وقفت كلّ قبيلة عند صنمها ، وصلّوا عنده ، ثم تلبّوا حتىٰ تقدّموا مكّة ، فكانت تلبياتهم مختلفة .

وكانت تلبية قريش : لبيك ، اللهمّ لبيك ! لبيك لا شريك لك ، تملكه وما ملك .

وكانت تلبية كنانة : لبيك اللهمّ لَبَّيْك ! اليوم يوم التعريف ، يوم الدعاء والوقوف .

وكانت تلبية بني أسد : لبيك اللهمّ لَبَّيْك ! يا رب أقبلت بنو أسد أهل التواني والوفاء والجلد إليك .

وكانت تلبية بني تميم : لبيك اللهمّ لَبَّيْك ! لَبَّيْك لَبَّيْك عن تميم قد تراها قد أخلقت أثوابها وأثواب من وراءها ، وأخلصت لربّها دعاءها .

وكانت تلبية قيس عيلان : لَبَّيْك اللهمّ لَبَّيْك ! لَبَّيْك أنت الرحمن ، أتتك قيس عيلان راجلها والركبان .

وكانت تلبية ثقيف : لَبَّيْك اللهمّ ! إنَّ ثقيفاً قد أتوك وأخلفوا المال ، وقد رجوك .

= الجندل : حصن وقرىً بين الشام والمدينة قرب جبلي طيء ، كانت به بنو كنانة من كلب . معجم البلدان ٢/ ٥٥٤ .

وكانت تلبية هذيل : لَبَّيْك عن هذيل قد ادلجوا بليل في إبلٍ وخيل .

وكانت تلبية ربيعة : لَبَّيْك ربنا لَبَّيْك لَبَّيْك ! إن قصدنا إليك ؛ وبعضهم يقول : لبيك عن ربيعة ، سامعة لربها مطيعة .

وكانت حمير وهمدان يقولون : لَبَّيْك عن حمير وهمدان ، والحليفين من حاشدٍ وألْهَان .

وكانت تلبية الأزد : لَبَّيْك ربّ الأرباب ! تعلم فصل الخطاب ، لملك كلّ مثاب .

وكانت تلبية مذجح : لَبَّيْك ربّ الشعرىٰ ، ورب اللات والعزّىٰ .

وكانت تلبية كندة وحضرموت : لَبَّيْك لا شريك لك ! تملكه ، أو تهلكه ، أنت حكيم فاتركه .

وكانت تلبية غسّان : لَبَّيْك ربّ غسّان راجلها والفرسان .

وكانت تلبية بجيلة : لَبَّيْك عن بجيلة في بارق ومخيلة .

وكانت تلبية قضاعة : لَبَّيْك عن قضاعة ، لربّها دفّاعه ، سمعاً له وطاعة .

وكانت تلبية جذام : لَبَّيْك عن جذام ذي النُّهىٰ والأحلام .

وكانت تلبية عكّ والأشعريّين : الحج للرحمن بيتاً عجباً ، مستتراً ، مضبباً ، محجبّاً(١) .

وكانت العرب في أديانهم علىٰ صنفين : الحُمْس والحِلّة ، فأمّا الحُمْس ، فقريش كلّها ؛ وأمّا الحِلّة ، فخزاعة لنزولها مكة ومجاورتها قريشاً ، وكانوا يشدّدون علىٰ أنفسهم في دينهم ، فإذا نسكوا لم يسلأوا سمناً ، ولم يدّخروا لبناً ، ولم يحولوا بين مرضعة ورضاعها ، حتىٰ يعافه ، ولم يحزّوا شَعراً ،

---

(١) تاريخ اليعقوبي ١/ ٢٥٥ ، ٢٥٦ .

ولا ظفراً ، ولم يدّهنوا ، ولم يمسّوا النساء ولا الطيب ولم يأكلوا لحماً ، ولم يلبسوا في حجّهم وبراً ولا صوفاً ولا شعراً ، ويلبسون جديداً ، ويطوفون بالبيت في نعالهم لا يطأون أرض المسجد تعظيماً له ، ولا يدخلون البيوت من أبوابها ، ولا يخرجون إلىٰ عرفات ، ويلزمون مزدلفة ، ويسكنون في حال نسكهم قباب الأدم .

وكان الحلة : وهي تميم ، وضبّة ، ومزينة ، والرّباب ، وعُكْل ، وثور ، وقَيْس عيلان ، كلّها ، ما خلا عدوان وثقيفاً ، وعامر بن صَعْصَعَة ، وربيعة بن نزار كلّها ، وقُضاعة ، وحضرموت ، وعك ، وقبائل من الأزد لا يحرمون الصيد في النسك ، ويلبسون كلّ الثياب ، ويسلأون السمن ، ولا يدخلون من باب بيت ولا دار ، ولا يؤويهم ما داموا محرمين ، وكانوا يدّهنون ويتطيبون ، ويأكلون اللحم ، فإذا دخلوا مكّة ، بعد فراغهم ، نزعوا ثيابهم التي كانت عليهم ، فإن قدروا علىٰ أن يلبسوا ثياب الحمس كراءً أو إعارة فعلوا وإلا طافوا بالبيت عُراة ، وكانوا لا يشترون في حجّهم ، ولا يبيعون ، فهاتان الشريعتان اللتان كانت العرب عليهما . ثم دخل قوم من العرب في دين اليهود ، وفارقوا دين العرب ، ودخل آخرون في النصرانية ، وتزندق منهم قوم فقالوا بالثنوية[1] .

الوأد :

من العادات المرعبة في الجاهلية وأد البنات .

مهما عَظُمت الأسباب اقتصادية كانت ، أو تتعلق بالشرف والأخلاق لا يجوز أن ينسحب هذا الحكم علىٰ جميع الإناث ، وإن التي تقع عليها مشكلة ما بعينها تعاقب عليها .

---

(١) المصدر السابق نفسه ١/ ٢٥٧ .

لقد كانوا قُساة جفاة غلاظ القلوب .

هذا قيس بن عاصم بن سنان بن منقر التميمي ، وأد ابنته في الجاهلية .

وهذا صَعْصَعَة بن ناجية بن مُجاشع التميمي ، تدب في قلبه الرحمة « اشترىٰ ثلاثين موءُودة منهن بنت لقيس بن عاصم المنقري .

وفي ذلك يقول الفرزدق يفتخر به :

وجـدي الـذي منـع الـوائـدات وأحيـا الـوئيـد فلـم يـوأد[1]

وإن زَيْد بن عمر بن نفيل كان يفعل مثل ذلك[2] .

وعندما جاء الإسلام انتهىٰ هذا الأمر ، وجاء قول الله عز وجل : ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ *﴾[3] وأصبح للمرأة مكانتها في الإسلام .

أزلام العرب :

وكانت العرب تستقسم بالأزلام في كل أمورها ، وهي القداح ، ولا يكون لها سفر ولا مقام ، ولا نكاح ، ولا معرفة حال ، إلا رجعت إلىٰ القداح ، وكانت القداح سبعة : فواحد عليه : الله عزّ وجلّ ؛ والآخر : لكم ؛ والآخر : عليكم ؛ والآخر : نعم ؛ والآخر : من غيركم ؛ والآخر : الوعد ، فكانوا إذا أرادوا أمراً رجعوا إلىٰ القداح ، فضربوا بها ثم عملوا بما يخرج من القداح لا يتعدونه ، ولا يجوزونه ، وكان لهم أمناء علىٰ القداح لا يثقون بغيرهم[4] .

وجاء الإسلام وكان القول الفصل في قول الله تعالىٰ :

---

(١) وفيات الأعيان ٦/ ٨٩ .

(٢) الإصابة ٣/ ٣٤٧ .

(٣) التكوير الآية/ ٨ ـ ٩ .

(٤) تاريخ اليعقوبي ١/ ٢٥٩ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1] .

المُسمُّون بِمُحَمَّدٍ في الجاهلية[2] :

بدأ ابن دريد باشتقاق اسم (محمَّد) فقال :

(مُحَمَّدُ) النبي ﷺ مُشتقٌّ من الحَمْدِ ، وهو مُفعَّل ، ومُفعَّل صفة تَلزم من كَثُر منه فعلُ ذلك الشيء .

روىٰ بعضُ نَقَلة العلم ، أن النبي ﷺ لما وُلِد أَمَرَ عبدُ المطّلب بجزورٍ فَنُحِرت ، ودعا رجالَ قريش ، وكانت سُنَّتهم في المولود إذا وُلِد في استقبال اللَّيل كفؤوا عليه قدراً حتَّىٰ يُصبِح ، ففعلوا ذلك بالنبي ﷺ فأصبحوا وقد انشقَّتْ عنه القِدرُ وهو شاخصٌ إلىٰ السّماء .

فلما حضَرت رجالُ قريشٍ وطَعِموا قالوا لعبد المطَّلب :

ما سمَّيتَ ابنك هذا ؟ .

قال : سمَّيتُه محمّدا .

قالوا : ما هذا من أسماء آبائك ؟ .

قال : « أردتُ أن يُحمَد في السّمٰوات والأرض »[3] .

فمحمَّد مفعَّل ، لأنّه حُمِد مرّةً بعد مرة .

كما تقول : كرَّمته وهو مكرَّم ، وعظَّمته وهو معظَّم ، إذا فعلتَ ذلك به مراراً .

---

(١) سورة المائدة آية/ ٩٠ .

(٢) الاشتقاق ٨ ، ٩ ، ١٠ .

(٣) وفي الخزانة ١/ ٢٢٦ : « لأني أرجو أن يحمده أهل الأرض كلُّهم » وفي الخزانة شرح لاشتقاق اسم أحمد ومحمد ومحمود .

والحمدُ والشكر متقاربان في المعنىٰ ، وربَّما تبايَنا .

أَلا تَرىٰ أنَّك تقول : حَمِدتُ فلاناً علىٰ فِعْله وشكرت له فعْلَه ، وقد اشتَبَها في هذا الموضع .

وتقول : جاورتُ بني فلانٍ فحمِدتُهم ، ولا تقول شكرتُهم .

وتقول : أتيتُ أرض بني فلان فحمِدتُها ، ولا تقول شكرتها .

وتقول : فلانٌ محمودٌ في العشيرة ، ولا تقول مشكورٌ في العشيرة .

والدليل علىٰ أنَّ محموداً حُمِد مَرَّة واحدةً ، ومحمداً حُمِدَ مَرَّةً بعد مَرَّة ، قولُ الشاعر :

فلســـتَ بمحمـــودٍ ولا بمحمَّـــدٍ ولكنَّمـا أنـت الحَبَنْطَـي الحُبـاتِـرُ

يعني القصير المتداخلَ الأعضاء .

قال العلامة الأخباري النسابة أبو جَعْفر مُحَمّد بن حَبيب[١] :

المُسمون بمحمد لما كان يبلغهم أنه يبعث في العرب نبي يقال له محمد فجعل الله النُّبوّة لمحمد[٢] ﷺ .

(محمَّد) بن سُفيان بن مُجاشع[٣] . وكان سفيان أتىٰ الشام فنزل علىٰ راهب ، فأعجبته فصاحته وعقله ، فسأله الراهب عن نسبه فانتسب له إلىٰ مضر .

---

(١) ابن أُميةَ بن عمرو الهاشمي البغدادي المتوفي سنة (٢٤٦هـ) . المحبر ١٣٠ .

(٢) النبي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ .

(٣) سُفيان بن مُجاشع من رجال بني تميم ، وله بلاءٌ يوم الكُلاب وقُتل ابنه مُرَّة يومئذ فقال سُفيان :

الشيـــخُ شيـــخٌ ثَكْـــلانْ والمـــوتُ وِردٌ عَجْـــلانْ
نَعَـــاءِ مُـــرَّة بـــن سُفْيـــانْ

الاشتقاق ٢٣٨ .

فقال له : « أما إنه سيبعث في العرب نبي يقال له محمد » .

فسمىٰ سُفيان ابنه محمدا .

و(محمَّد) بن بر بن عتوارة بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة .

و(محمَّد) بن خُزاعي بن عَلقمة بن مُحارب بن مُرَّة بن هِلال بن فالج بن ذكوان السلمي ، وكان في جيش أبرهة مع الفيل .

و(محمَّد) بن حُمْرانَ بن مالك الجُعْفي[١] .

و(محمَّد) بن مَسْلَمة الأنصاري أخو بني حارثة[٢] .

و(محمَّد) بن عُقْبة بن أُحيحة بن الجُلاح الأوسي من بني جَحْجَبا .

و(محمَّد) بن الحِرماز بن مالك بن عمرو بن تميم[٣] .

قال ابن دريد[٤] :

وقد سمَّت العربُ في الجاهلية رجالاً من أبنائها محمداً[٥] منهم :

---

(١) محمد بن حُمْران الجعفي الشاعر ، وكان في عصر امرئ القيس بن حُجر ، وسمّاه شويعراً وقال :

أبلغَا عَنِّي الشُّويعِرَ أنِّي   عَمْدَ عينٍ جللَّتُهنَّ حَريما

وشرح (عمد عين) : أي قصدت ذاك ـ المصدر نفسه ٩ .

(٢) محمد بن سَلَمة ، شهد بدراً وولاَّه عمر بن الخطاب صدقات جُهَيْنَة . المصدر السابق نفسه ٢٤٥ .

(٣) المحبر ١٣٠ .

(٤) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دُريد ، فهو من أزد اليمن الذين كان مسكنهم في مأرب (٢٢٣ ـ ٣٢١هـ) .

(٥) جاء في حاشية الاشتقاق ٨ : من سمي « محمداً » في الجاهلية عشرين رجلاً ، أو خمسة عشر رجلاً في الأصح .

و(محمَّد) بن بِلال بن أُحَيحة بن الجُلاح . وأُحيحةُ كان زوجَ سَلمىٰ بنت عمرو بنِ لبيد النَّجّارية ، فخَلفَ عليها بعده هاشم بن عبد مناف ، فولدَتْ له عبد المطَّلب بن هاشم فهي جَدة رسول الله ﷺ ، أمُّ جدِّه .

وأبو (محمَّد) مسعودُ بن أوس بن أصْرَم بن زيد بن ثَعْلَبة ، شَهِد بدراً .

و(محمَّد) بن خَوْلّىٰ ، وخَولّىٰ : بطنٌ من هَمْذان .

وقد سَمَّت العربُ في الجاهليّة أحمد منهم :

(أحمد) بن ثُمامةَ بن جَذْعاء ، بطنٌ من طيِّء .

و(أحمد) بن دُوماك بن بكيل ، بطنٌ من هَمْذان .

و(أحمد) بن زَيْد بن خِداش ، بطن من السَّكاسك[1] .

مبعث النبي محمد ﷺ :

لم تتوقع قريش أن تأتي النُّبوة لأحد من أبنائها ، ولطفل يتيم هو (محمد) ، وشب الطفل علىٰ سيرة حسنة وسلوك مستقيم واخلاق فاضلة واشتهر بالصدق والأمانة حتىٰ لُقب بالأمين وكبر محمد وأصبح رجلاً له المهابة والمحبة في القلوب ، وفض خلافاً كبيراً بين عشائر العرب عندما اختلفوا من العشيرة أو القبيلة التي سيكون لها شرف وضع الحجر الأسود ، وبمقدمه إلىٰ جمعهم وضع الحجر علىٰ رداء واسع وطلب من المختلفين أن يحملوا الرداء من أطرافه كافة . . . ! .

وعندما بدأ يطلق دعوته قاومته بعنفٍ قريش وأرادت أن تقمعه وتقتلع جذوره ولكنها لم تستطع أن تهزمه ويئست قريش منه لصلابة موقفه وإصراره علىٰ تبليغ الرسالة السماوية التي جاء من أجلها وهي رسالة الإسلام ، وعرضوا عليه مغريات الدنيا من مال وجاه علىٰ أن لا يمس أصنامهم ويسفه معتقداتهم

---

(١) الاشتقاق ٩ ، ١٠ .

وينتقص من مكانتهم بين قبائل العرب ، وجاء جوابه لقريش يحمله عمه أبا طالب « يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري علىٰ أن أترك هذا الأمر ما تركته حتىٰ أموت دونه أو يظهره الله » .

وذهلت قريش لهذا الجواب العنيد والتحدي الكبير لوجودهم وسلطتهم ، وينظرون إليه ولا يصدقون بأن محمداً هو النبي ويوجد بينهم من هو أكثر منه غنىً وجاهاً ، وبطشوا بأصحابه الذي رفضوا التخلي عنه وكانت قوة إيمانهم أقوىٰ من جحيم عذابهم الذي لا يطاق .

وحسدت غالبية قبائل العرب قريش وتساءلت ما دام النبي بشراً لماذا لا يكون من كل قبيلة نبي ؟ وقومه يشدون أزره وغفلوا أو تغافلوا بأن هذا الأمر من عند الله .

وللنبي في منظورهم وتصورهم صفات لا يؤمنون بما يدعو إليه حتىٰ تكون فيه : أن لا يكون من جنس البشر يأكل ويشرب وينام ويتزوج ومن ثم يموت ، بل يكون علىٰ شكل آخر من العظمة والقوة يأتي بالخوارق والمعجزات أن يأمر الغيوم فتمطر ، والشمس فتغيب ، والقمر أن لا يطلع ، أو أن يفجر الأنهار من الصخور الصماء . . . . إنهم يريدون حقائق خارقة وملموسة .

أما أن يكون النبي بشراً ومن بينهم فهذه من الأمور المُستهجنة التي لم تستوعبها عقولهم .

وجاءت الآية الكريمة تخاطب عقولهم وترد علىٰ وساوسهم وتثبت بشرية النبي محمد ﷺ ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا * أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا * ﴾[1] .

(١) سورة الفرقان آية/ ٧ ـ ٨ .

معجزة القرآن :

قال الله تعالىٰ : ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[1] .

رِدَّةٌ وارْتِدَادٌ ومُرْتدُّون :

لقد لازمتْ كلمةُ المُرْتَد عن الإسلام الذين ادعوا النُّبوة في صدر الإسلام ، وغيرهم من الذين انقلبوا علىٰ الإسلام وأشهروا العداء وأعلنوا الحرب علىٰ المسلمين ، وحروب الرِّدة مشهورة في تاريخنا كادت أن تعيد العرب إلىٰ جاهلية القَبلية وعَصبيتها ، لولا حزم القيادة العربية المسلمة التي قابلت الرِّدة والمرتدين بصلابة الإيمان وتم القضاء عليهم . وحروب الرِّدَّة كانت في عهد أَبي بكر رضي الله عنه إثر وفاة الرسول ﷺ لقد جمع هذا الكتاب بين دفتيه المتنبئين والمرتدين الذين كانت لهم فاعلية في إشعال نار الفتنة وإضرامها مثل الفجاءة بن عبد ياليل وغيره مما ورد ذكره في هذا الكتاب .

وفي لسان العرب : رَدد .

ارتدَّ وارتدَّ عنه : تحوّل . وفي التنزيل : ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾[2] ، والاسم الرِّدة ، ومنه الرِّدَّة عن الإِسلام أي الرجوعُ عنه . وارتدَّ فلان عن دينه إذا كفر بعد إسلامه . وردَّ عليه الشيء إذا لم يقبله ، وكذلك إذا خَطَّأَه .

والرِّدَّة ، بالكسر : مصدر قولك ردَّه يَرُدُّه رَدّاً ورِدَّةً . والرِّدَّةُ : الاسم من الارتداد . والرِّدَّة : هيئة الارْتِداد . والرِّدَّة : الرجوع إلىٰ الكفر بعد الإِسلام .

---

(١) سورة الإسراء آية/ ٨٨ .
لقد كان العرب علىٰ مستوىً عالٍ من الفصاحة والبلاغة والبيان في الشعر والنثر في جاهليتهم لقد فهموا معاني القرآن لكنهم عجزوا أن يأتوا بمثله فهو ليس بالنثر وما هو بالشعر ، فوقه حلاوة وتحته طلاوة فلقد كان معجزة أمام عقولهم .

(٢) سورة المائدة آية/ ٥٤ .

رغم أن حروب الرِّدة كانت وبالاً على العرب خاصة والمسلمين عامة لما لها من نتائج سلبية استنزفت طاقاتهم البشرية والمادية ، وورثت بينهم الضغينة والكيد لبعضهم .

لكنها من ناحية أخرىٰ ، أَظهرت قوة المسلمين وشدة بأسهم مما ذلت له رقاب المرتدين ، ومن يحذو حذوهم .

كما ظهرت إبداعات شعرية تفجرت ، وحدثت معارك ومواقع حاسمة بين الجانبين مما لفت انتباه المؤرخين أن يسجلوا حروب الرِّدَّة ولقد جاء في الفهرست لابن النديم ذِكر عِدة من المؤرخين هم :

١ ـ الردة والدار : أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي ـ الفهرست ١١١ .

٢ ـ كتاب الردة أبو مخنف بن سليم الأزدي ـ المصدر نفسه ١٠٥ .

٣ ـ كتاب الردة : إسحاق بن بشر ـ المصدر نفسه ١٠٦ .

٤ ـ كتاب الردة : سيف بن عمر الأسدي التميمي ـ المصدر نفسه ١٠٦ .

٥ ـ كتاب الردة : المدائني أبو الحسن علي بن محمد ـ المصدر نفسه ١١٥ .

٦ ـ كتاب الردة : أبو إسحاق إسماعيل بن عيسىٰ العطار ـ الفهرست ١٢٢ .

والكتاب المحقق من بين تلك هو كتاب الواقدي ، ونأمل أن تكشف الأيام عن باقي الكتب وغيرها من كتب التراث العربي والإسلامي التي ترقد في خزن حديدة مقفلة يغشاها الظلام والغبار في أقبية رطبة تفوح منها رائحة العفونة . فالكتاب في الخزانة المقفلة مثله مثل السجين الذي لا يَرىٰ النور ويتمتع بالحرية عندما يخلىٰ سبيله . عل وعسىٰ أن تدأب الدول العربية في إطلاق سراح تراثها السجين أينما كان ، فإن الجهود الفردية بطيئة في سباق الزمن .

ارتداد بعض قبائل العرب :

ما أن مات النبي محمد ﷺ حتىٰ ارتدت بعض قبائل العرب وتمنعت عن دفع الزكاة وظهر متنبؤون عدة في قبائل مختلفة يدعي كل واحد منهم النبوّة ، والمرأة الوحيدة التي تنبأت هي سجاح التميمية . وجاءت الآية الكريمة في محكم كتابه تخبر عما وقع قال عزّ وجلّ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾[1] .

أصبحت الدولة العربية الإسلامية الفتية التي لم تضرب جذورها عميقاً في خطر المواجهة مع المرتدين في كل أنحاء جزيرة العرب ، وكانت قرارات القيادة العربية المسلمة حازمة يمليها أبو بكر الصديق ، لا تهاون مع المرتدين سيعودون إلىٰ الإسلام وسيدفعون الزكاة وهم صاغرون ، وهذا ما حدث فعلاً .

أسباب الارتداد : أهمها :

١ ـ لم يتمكن الإيمان من قلوبهم فتظاهروا بالإسلام دون الإيمان به إيماناً عميقاً .

٢ ـ عدم قناعة زعماء القبائل بالدولة الواحدة وخضوعهم لأوامر هذه الدولة وضعف سلطتهم القبلية .

٣ ـ العقلية الفردية والتعصب القبلي .

٤ ـ حسد القبائل لقريش من أن تقود قبائل العرب قاطبة قيادة سياسية ودينية بعد أن ظهر النبي منها .

٥ ـ والموضوع الأهم وهو الموضوع الاقتصادي والمادي وهو الجديد في

---

(١) سورة آل عمران آية/ ١٤٤ .

حياتهم أن يدفعوا زكاة أموالهم ومواشيهم للدولة المركزية في المدينة وهي ذات الشأن في توزيع ذلك على الفقراء والمعوزين ، وأحياناً تدفع إلىٰ فقراء القبيلة التي أُخذت منها دون أن تصل إلىٰ المدينة وكان والي الأمر مفوضاً بمثل هذه الأمور .

إن القبيلة كانت تعتبر الزكاة نوعاً من أنواع القهر ، هذا وإن قوم طُليحة بن خويلد الأسدي الذي ادّعىٰ النبوّة في قومه وهم يعرفون أن طليحة كذاب ولكنهم قالوا : « والله لا نعطي الدنية في ديننا أبداً ونحن أحق بالزكاة من ابن أبي قحافة » .

وبعد معركة شديدة بين جيش خالد بن الوليد وجيش طُليحة هرب الأخير وأردف زوجه خلفه علىٰ الحصان وفر هارباً ثم ندم واستعطف أبا بكر الصديق فَرَقَ له وحضر بعد وفاته إلىٰ عمر بن الخطاب فعفىٰ عنه بعد أن أسلم وحسن إسلامه .

أما الأسود العنسي فهو من مذحج وتنبئ في أواخر حياة النبي ﷺ وكان قد اشتد عليه مرضه سنة (١١هـ) وغلب الأسود علىٰ ما بين مفازة حضرموت إلىٰ الطائف إلىٰ البحرين ، والأحساء ، إلىٰ عدن واستطار أمره ، وقُتل ونقل خبر بشارة قتله إلىٰ أبي بكر في آخر ربيع الأول ، وكانت فترة ارتداده بين ثلاثة أشهر وأربعة أشهر .

أما في بني سُليم فقد ارتد عن الإسلام الفجاءة بن عبد ياليل وورد حول اسمه اختلاف ، وهو الذي قدم علىٰ أبي بكر عندما اندفع جيش خالد لقتال المرتدين ، وطلب منه إعانته بقوة من خيل وسلاح حتىٰ يفرقه في قومه للحاق بخالد وقتال المرتدين ، فدفع إليه أبو بكر عشرة من الخيل وسلاحاً كثيراً من سيوف ورماح وقسىٰ وسهام ووجه معه عشرة نفر من المسلمين ، ولكن الفجاءة غدر فقتل المسلمين الذين يصحبهم ثم سار يبطش بالناس ويقول :

ألم ترني خدعتُ القومَ حتىٰ قويتُ بما أخذتُ من السِّلاحِ
وقلتُ له : أبا بكرٍ أَعنِّي علىٰ مَن بالبُزاخةِ والبِطاحِ

ثم أسر المسلمون الفجاءة وأرسلوه إلىٰ أبي بكر فأمر أحد أبناء قومه أن يحرقه خارج المدينة بالنار لما ارتكبه من جرائم وخيانة .

أما المرأة التي ادعت النبوّة وأخذت تسجع في قومها هي سجاح التميمية وكانت متزوجة في أخوالها في الجزيرة فقادت جيشاً قوياً وتوجهت به إلىٰ ديار تميم ، ثم جاءت إلىٰ مسيلمة فخافها وعقد معها اتفاقاً وتزوج بها ؟ .

وقال الشاعر قيس بن عاصم :

أَضحتْ نَبيَّتُنا أُنثىٰ نُطيف بها وأَصبحتْ أَنبياءُ الله ذُكْرانا

وتفرق جيشها وهربت ثم أقامت في العراق حتىٰ ماتت .

أما الشر المستطير فكان في بني حنيفة مع مدعي النُّبوّة مُسيلمة الكذاب ، فكان يدعو لنفسه في حياة النبي ﷺ وعند وفاته ارتدت بنو حنيفة وشدت أَزر مُسيلمة ، وكانت المعركة شديدة جداً بينهم وبين جيش خالد بن الوليد ، وتمكن جيش المسلمين من تحقيق النصر وقُتل مُسيلمة وكانت الخسائر كبيرة بين الطرفين ، وبسقوط آخر معقل للمرتدين عادت الأمور تسير سيراً اعتيادياً . ووجهت الجيوش لفتح العراق ومن ثم الشام .

ومن الذين ذكروا سواد بن قارب الأزدي الدوسي وكان كاهناً في الجاهلية وهو شاعر ، وأمية بن أبي الصلت وكان يخبر بأن نبياً يُبعث قد أظل زمانه ويؤمل أن يكون ذلك النبي ، فلما بلغه خروج رسول الله ﷺ ودعوته ، كفر حسداً .

وأسد بن كُرز كان يُدعىٰ في الجاهلية رب بجيلة وكان ممن حَرَّم الخَمر في جاهليته تنزُهاً عنها وأدرك أَسد بن كرز وابنه يزيد الإسلام فأسلما .

العصر الأموي :

ومن الذين ادعوا النُّبوّة في العصر الأموي ، الأخطل الضبعي ، والمُغيرة بن سعيد البجلي ، والحارث بن سعيد (الكذاب) .

العصر العباسي :

أما الذين ادعوا النُّبوَّة في العصر العباسي وما أكثرهم ، وأذكر أهمهم : صاحب الزنج ، الأصفر التَّغلبي ، ذو القرنين ، المقنع بخراسان ، نبوة أبي جوف ، بابك الخرمي ، محمد الشلمغاني ، ربوبية القصار . . . إلخ .

في بلاد المغرب :

هناك عدة أشخاص ادعوا النبوة ولم تصل إلينا أخبارهم إلا عن أحمد بن قسِيّ .

القرنين (١٩ ـ ٢٠م) :

أما الذين ادعوا أنهم أنبياء في القرون المتأخرة فهم ميرزا غلام أحمد القادياني ، وميرزا محمد علي الشيرازي .

منهج الكتاب :

كتاب أَنبياء بلا نُبُوَّة في الجاهلية والإسلام هو من صُلب تاريخنا ، رواياته متناثرة في كتب التراث ، وفي عصور متفاوتة ، من الجاهلية ، إلىٰ صدر الإسلام ، إلىٰ العصر الأموي ، فالعباسي ، إلىٰ القرن العشرين .

كتاب قديم جديد بمعلوماته ، قيم بمضمونه ، مثير في حوادثه ، جدير بالقراءة والتحليل ، فيه من الأعلام والشخصيات التي تثير الفضول لكشف صناديقها المقفلة ، والغوص في مخابئ أنفسها المغلقة ، ربما تجد قناعاً أو غلافاً واهياً يلف بعض الأعلام ، فإذا ما نزعته عنه فوجئت بالدهشة والذهول .

وتأتي أهمية هذا الكتاب من الشخصيات التي وردت فيه والتي قامت بدورٍ خطير في عصرها كادت أن تطيح في دولة وتقيم أخرىٰ ، وهذه الشخصيات علىٰ سبيل المثال ، مسيلمة الكذاب ، الذي قتل في معركة حامية الوطيس (حديقة الموت) ذهب ضحيتها آلاف من الرجال من الطرفين وكان قائد جيش المسلمين خالد بن الوليد . وغرقت الحديقة بدماء الرجال .

والشخصية الهامة التي ظهرت بقوة وقاد جيشاً هو المختار الثقفي ، كذاب ثقيف ، قويت شوكته ، وكثر رجاله وأصبح وجوده يشكل خطراً ، واستغاث أهل الكوفة بأهل البصرة ، فخرج أهل البصرة مع مصعب بن الزبير فقاتلوه بالكوفة ، فَقُتل المختار سنة (٦٧هـ) .

أما الشخص الذي كان أشد خطورة في العصر العباسي هو صاحب الزنج في العراق الذي أَنهك الدولة وجيشها وعاث في العراق فقتل ودمر ونهب وأسر النساء ، واستقل عن الدولة وشكل جيشاً جراراً وبنىٰ لنفسه عاصمة سماها المختارة ، وبقيت حالة الحرب معه قرابة خمسة عشر عاماً ، وقُتل صاحب الزنج في سنة (٢٧٠هـ) .

وهنا في هذا الكتاب وما أكثرهم الذين ادعوا النُّبوَّة وأفردت لكل واحد منهم ترجمة ، ولقد كانت لبعضهم خطورة حقيقية علىٰ الدين الإسلامي وعلىٰ إفساد المجتمع .

بدأت العمل في هذا الكتاب (١٤١٨ = ١٩٩٧) أي بقي بين يدي قرابة ثلاثة سنين بين جدٍ وفتور همة أحياناً ، بحثت خلالها عن المصادر فما تعذر علي وجوده في مكتبتي كنت ألجأ إلىٰ المكتبات العامة ومكتبات أصدقائي ، والمكتبات الخاصة ، بين شراء ، أو تصوير ، أو إعارة . وكان همي المصادر المحققة .

ولقد أحجمت عن الكتابة أكثر من مرة لما واجهتني من صعوبات فيما

أتطلع إليه من أجل أن أقدم المواضيع كاملة غير منقوصة وحزمت الأمر ووقفت بصلابة ، ورجوت من الله العون وأن يمنحني الصبر والهمة والتوفيق لتحقيق ما أصبو إليه من أن أقدم عملاً متكاملاً موثقاً يهم القارئ والباحث معاً ، وأَملي أن أكون قد وُفقت بعد جهدٍ صادقٍ مخلص النية ، وأن يلقىٰ هذا الكتاب قبولاً حسناً ، لما يحتويه من معلومات مفيدة ، ومواضيع هامة .

بذلت قصارىٰ جهدي أن تكون كل معلومة مثبت مصدرها في الحاشية ، وإن وقع اختلاف بين المصادر أشرت له ، وكذلك بالنسبة للأعلام ، كان مرجعي كتب التراجم ، وكتب النسب حتىٰ أوفي كل شخصية حقها ما لها وما عليها مع كبح الميول مع هذا أو ذاك .

أما أسماء المدن والبلدات ، فاعتمدت لذلك المعاجم ، معجم البلدان ، معجم ما استعجم ، الروض المعطار لقد ساعدت هذه المصادر في حل كثير من الإشكالات الجغرافية ، والتاريخية ، والأدبية أحياناً .

أما في شرح الكلمات الصعبة فكان المنجد لسان العرب والقاموس المحيط ، أما في الشعر وفي حال وقوع تباين بين مصدر وآخر في القصائد الشعرية فكنت ألجأ إلىٰ ديوان الشاعر إذا كان محققاً ، وأذكر أوجه الاختلاف وأثبت الصواب .

أقسام الكتاب :

تم توزيع الكتاب إلىٰ ثمانية أقسام وفق العصور التي وقعت فيها الحوادث التي تشكلت منها مادة الكتاب .

القسم الأول :

ـ حكمة الكتاب .

ـ الإهداء .

ـ أمية بن أبي الصلت .

ـ سجاح التميمية .

ـ سواد بن قارب .

ـ طليحة الأسدي .

مسيلمة بن ثمامة بن حبيب (الكذاب) .

ـ دور عبد الله بن سبأ ـ ابن السوداء .

ـ المختار بن أبي عُبيد الثقفي ـ في عصر ابن الزُبير .

القسم الرابع ـ المُتَنَبِؤون في العصر الأموي :

ـ الحارث بن سعيد (الكذاب) .

ـ الأَخطل الضبعي .

ـ المُغيرة بن سعيد البجلي .

ـ بَيان بن سَمْعَان التميمي .

ـ رجل يدعي النُبوَّة ـ في ولاية خالد القسري .

القسم الخامس ـ المُتَنَبِؤون في العصر العباسي :

ـ أحمد بن الحسين (المتنبي ـ الشاعر) .

ـ البابا التركماني .

ـ بابك الخُرَّمي .

ـ نُبوة أبي جوف .

ـ الصناديقي = منصور الصناديقي .

ـ الأصفر التغلبي .

ـ المُقنع بخراسان = القصار الأعور .

ـ أبو منصور العجلي .

ـ ذو القرنين = محمود بن الفرج النيسابوري .

ـ رجل ادعىٰ النُبوَّة في عصر المهدي .

ـ رجل ادعىٰ النُبوَّة في عصر المهدي .

ـ امرأة ادعت النُبوَّة في عصر المأمون .

ـ رجل ادعىٰ النُبوَّة في عصر المأمون .

ـ رجل ادعىٰ النُبوَّة في عصر المأمون .

ـ رجل ادعىٰ النُبوَّة ـ بأنه إبراهيم الخليل في عصر المأمون .

ـ رجل ادعىٰ النُبوَّة في أذربيجان .

ـ رجل ادعىٰ النُبوَّة بباسند .

ـ رجل ادعىٰ النُبوَّة بالبصرة .

ـ رجل ادعىٰ النُبوَّة بالرقة .

ـ رجل ادعىٰ النُبوَّة بالكوفة .

ـ رجل ادعىٰ النُبوَّة بالكوفة .

ـ رجل ادعىٰ النُبوَّة بجبل ليلون .

ـ رجل ادعىٰ النُبوَّة ـ وسمىٰ نفسه نوحاً .

ـ رجل ادعىٰ النُبوَّة ـ بنهاوند .

ـ رجل ادعىٰ النُبوَّة ـ وثمامة بن أشرس .

ـ رجل ادعىٰ الألوهية ـ باليمن .

ـ شاباس ـ رب العزة .

ـ صاحب الزنج .

ـ محمد بن علي الشَّلْمَغاني .

القسم السادس ـ المُتَنَبِّؤون في المغرب :

ـ أحمد بن قِسيّ .

القسم السابع ـ المتنبؤون في القرنين التاسع عشر والعشرون :

ـ ميرزا علي محمد الشيرازي .

ـ ميرزا غلام أحمد القادياني .

الفهارس العامة

ولقد جاءت الفهارس على النحو التالي :

- فهرس الأعلام .
- فهرس القبائل .
- فهرس الأشعار .
- فهرس الأماكن .
- فهرس المصادر والمراجع التي استند المؤلف إليها في تأليف هذا الكتاب .

والله ولي التوفيق .

تمهيد

لقد صَنَّفَ ابن خلدون البشر إلىٰ أصناف ثلاثة ، وبهذا التصنيف حدد القدرات العقلية المؤهلة لأن تكون في مراتب معينة ، العلماء ، والعلماء الأولياء أهل العلوم والمعارف الربانية ، والأنبياء لأنهم اختيروا صفوة البشر ، وهؤلاء مؤهلة عقولهم وأجسادهم لمهام غاية في الصعوبة ، بأن يؤدوا رسالة إنسانية بكل ما في هذه الكلمة من معنىٰ ، ويحملوا الناس عليها وهم صلة الوصل بين الله والناس ، وإن دعوة الأنبياء ، هي تنظيم المجتمع علىٰ أسس أخلاقية من تعاون علىٰ المحبة والخير والصلاح ، واتباع الطريق المستقيم ، وعبادة الله ، ومن اتبع هذه التعليمات فإنه لا يكذب ولا يغش . . . .

أما الصنف العادي من البشر أو المتوسط فلقد أغفله ابن خلدون لأنه لا يستطيع أن يصل بقدراته العقلية أو الفكرية إلىٰ مراتب أولئك لأن تلك المراتب تحتاج إلىٰ قدرات عقلية نفاذة ، ومن خلال هذا التصنيف نظر ابن خلدون إلىٰ أن الله خلق الناس علىٰ درجات في عقولهم ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1] وهل يصل إلىٰ درجات العلم ويبلغها إلاّ أصحاب العقول المبدعة والأفكار والإبداع له مجالات واسعة الآفاق أدبية كانت أو علمية ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[2] .

يقول ابن خلدون عن الصنف الأول من البشر :

« صِنفٌ عاجزٌ بالطَّبع عن الوصول إلىٰ الإدراك الروحاني . . . » ولكنه غير عاجز من أن يتجه نحو المدارك الحسية والخيالية وتركيب المعاني ،

---

(١) سورة الزمر آية/ ٩ .

(٢) سورة العلق آية/ ٥ .

والاستفادة من العلوم التَّصوُّريَّة والتصديقية التي للفكر في البدن ، وهذا هو في الأغلب نطاق الإدراك البشري الجسماني ، وإليه تنتهي مدارك العُلماء وفيه ترسخ أقدامهم »[١] .

أما عن الصنف الثاني من البشر فيقول :

« وصِنفٌ مُتوجِّهٌ بتلك الحركة الفكرية نحو العقل الروحاني والإدراك . . . » وهذا الصنف الثاني من البشر أقدر من الصنف الأول علىٰ الاستيعاب ، فيتسع نطاق إدراكه عن الأوّليّات التي هي نِطاق الإدراك الأول البشري ، ويتجاوز هذا النطاق ليسرح في فضاء المشاهدات الباطنيّة وهي واسعة لا تحدها حدود من مبدئها ولا من مُنتهاها . ويقول ابن خلدون عن أهل هذه الحالة : « وهذه مَدارك العلماء الأولياء أهل العلوم اللَّدُنيّة[٢] والمعارف الربَّانيّة وهي الحاصلة بعد الموت لأهل السعادة في البرزخ »[٣] .

أما عن الصنف الثالث من البشر فيقول :

« وصِنْفٌ مفطورٌ علىٰ الإنسلاخ من البشرية جُملةً جسمانيّتها وروحانيّتها إلىٰ الملائكة من الأفق الأعلىٰ ، ليصير في لمحةٍ من اللَّمحات مَلكاً بالفعل ويحصُلُ له شهودُ الملأ الأعلىٰ في أُفُقهم وسماع الكلام النَّفساني والخطاب الإلهي في تلك اللَّمحة »[٤] .

إن هذا الصنف من البشر والحالة التي يتوصلون إليها من الصفاء النفسي والروحي ، ينسلخون عن بشريتهم بشكل كلي ومطلق ، ليصير أحدهم في

---

(١) مقدمة ابن خلدون/ ١٧٠ ـ دار الكتاب اللبناني .

(٢) وعِلمٌ لدُنّيٌّ ؛ عِلمٌ ربّانيٌّ يصل لصاحبه عن طريق الإلهام . ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ سورة الكهف آية/ ٦٥ .

(٣) مقدمة ابن خلدون/ ١٧٠ .

(٤) المقدمة/ ١٧٠ ـ ١٧١ ـ ابن خلدون .

لمحةٍ من اللَّمحات مَلكاً ، وهنا يرىٰ شهود الملأ الأعلىٰ ويسمع الكلام النفساني والخطاب الإلهي في تلك اللَّمحة . وهذه الحالة لا تحدث مع أي إنسان كما يقول ابن خلدون فإنها تحدث مع الأنبياء : « وهؤلاء الأنبياءُ صلوات الله وسلامه عليهم ؛ جعل الله لهم الإنسلاخ من البشرية في تلك اللَّمحة ، وهي حالة الوحي . . . . »[1] .

أما ابن حزم فيقول عن النبوة :

وهي بعثة قوم قد خصهم الله تعالىٰ بالحكمة والفضيلة والعصمة لا لعلة إلاّ أنه شاء ذلك فعلَّمهم الله تعالىٰ العلم بدون تعلم ، ولا تنقل في مراتبه ، ولا طلب له ، ومن هذا الباب ما يراه أحدنا في الرؤيا فيخرج صحيحاً وما هو من باب تقدم المعرفة[2] .

وقال عبد القادر البغدادي :

وقالوا : في الفَرق بين الرسول والنبي أن كل من نزل عليه الوحي في الله تعالىٰ علىٰ لسان مَلك من الملائكة وكان مؤيداً بنوع من الكرامات من الناقضة للعادات فهو نبيٌّ ، ومن حصلت له هذه الصفة وخُص أيضاً بشرع جديد أو يفسح بعض أحكام شريعة كانت قبله فهو رسول[3] .

الله جلَّ جلاله :

كان علىٰ الدوام بين الإنسان ونفسه صراعات كثيرة في التفكر في هذا الكون وخلقه بأرضه وسمائه ، بأنهاره وبحاره ، بصحرائه وجباله ، بسهوله

---

(١) المرجع نفسه/ ١٧١ .
لقد اهتم ابن خلدون في هذا الجانب ربما أكثر من غيره من علماء المسلمين في عصره وكانت نظرته تنبع من كونه عالم مسلم ومؤمن .

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ١/ ١٤٠ لابن حزم .

(٣) الفرق بين الفرق ـ عبد القادر البغدادي .

وغاباته ، وهذه المخلوقات المتنوعة والعجيبة التي تدب عليها ، وفي البحار عالم آخر يعج بالحياة كما هي علىٰ الأرض ، كل شيء عجيب ومدهش ومذهل ، لهذا النظام الدقيق الرائع ، وأروع ما أوجد الله وخلق ، الإنسان في أحسن تقويم ، ما أعظم هذا الإنسان عندما تتجلىٰ إنسانيته في المودة والعطف والإعمار ، وما أكره وحشيته عندما يعمد إلىٰ الحقد والدمار .

بحث الإنسان في الكون ثم أخذ يكتشف نفسه فوجد فيه كل جزء له وظيفة ، القلب ينبض بالحياة والعقل في هذا الرأس الصغير (المخ) يدبر أمور هذا الجسم ويحركه ، فتميز به عن سائر الخلق فسما به وأبدع علىٰ مدىٰ وجود الإنسان علىٰ الأرض إلىٰ الآن وما دامت له صيرورة البقاء فله في كل يوم شيء جديد .

وإن هذا العقل الذي كان يطلق إشعاعات فكرية ومحاكمات عقلية أوصلته أنه لا بد لهذا الكون المنظم من خالق ولا بد لهذا الجمال من مبدع ، ألا وهو الله .

وكانت الصورة أوضح عندما جاء الأنبياء والرسل ، باسم الله تهدي إلىٰ الطريق المستقيم علىٰ الأرض لبناء المجتمع الفاضل[١] .

رأي أفلاطون :

قال أفلاطون في كتاب « النواميس » : إن الأشياء التي لا ينبغي للإنسان أن يجهلها ، منها : أنه له وأن صانعه يعلم أفعاله ، وذكر أن الله تعالىٰ إنما يعرف بالسلب ، أي لا شبيه له ولا مثال ، وأنه أبدع العالم من لا نظام إلىٰ نظام وأن كل مركب فهو إلىٰ الإنحلال ، وأنه لم يسبق العالم زمان ولم يبدع عن شيء[٢] .

---

(١) تعليق المؤلف عبد القادر فياض حرفوش .

(٢) الملل والنحل ٢/ ٤١٤ .

وقال أيضاً : إن للعالم محدثاً مبدعاً ، أزلياً ، واجباً بذاته ، عالماً بجميع معلوماته على نعت الأسباب الكلية[1] .

علي بن أبي طالب :

قال قائل لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه أين كان رَبُّنا قبل أن يَخْلُقَ السمٰوات والأرض ؟ .

فقال علي : « أين سؤال عن مكان ، وكان الله ولا مكان »[2] .

إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام :

فهذا النبي إبراهيم عليه الصلاة والسلام عندما حاجَّه أحد الكفرة هو « النمرود بن كنعان » الذي جادله في وجود الله ﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ﴾ فأجاب النمرود : ﴿قَالَ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ ﴾ وروي أنه دعا برجلين وحكم عليهما بالإعدام فأمر بقتل أحدهما فقال : هذا قتلته ، وأمر بإطلاق الآخر وقال هذا أحييته .

ولما رأى إبراهيم الخليل حماقته ومشاغبته في الدليل عدل إلى دليل آخر أجدى وأروع وأشد إفحاماً . ﴿ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ أي إذا كنت تدعي الألوهية وأنك تحيي وتميت كما يفعل الله عزَّ وجل ، اعكس مجرى الشمس وغيره ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ﴾ وأخرس الكافر أمام الحجة القاطعة .

الآية : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ

(١) الملل والنحل ٢/ ٤٠٧ .
(٢) الكامل للمبرد ١/ ١٣٠ .

﴿ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾[١] .

والنبي إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذي جادل الكافر وقدم له حجته فأفحمه فهو الآن يتجرأ لمزيد من الإيمان والبرهان والاطمئنان أن يطلب من الله عز وجل أن يريه كيف هو يحيي الموتىٰ ؟ أي يريد أن يرىٰ ذلك بأم عينه . قال تعالىٰ : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ﴾[٢] إنه نبيٌّ ولكنه إنسان وطلب ذلك لتكون حجته أقوىٰ علىٰ الذين يجابهونه بكفرهم وتحديهم وإلحادهم فجاءت تتمة الآية وهي البرهان ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ .

تعدد الآلهة :

إن الإنسان عبد الشمس والقمر والكواكب المختلفة ، والأصنام ، والنار ، والظلمة ، والشيطان ومن الناس من ادعىٰ أنه رب العالمين ودعىٰ الناس إلىٰ عبادته وربما كان من الذين يعملون بالسحر فأغوىٰ الناس الضعفاء في عقولهم وتفكيرهم وإيمانهم .

بعض المذاهب تؤمن بالله وتنكر النبوة :

قال البَيْهَقي : فالإيمان بالنبوة ، أو الصلة بين الله تعالىٰ ومجتمع الإنسان عن طريق الأنبياء من خصائص هذا الدين ، والنبي هو الإنسان الذي يختاره الله ليقوم بأداء رسالة معينة .

وقد وُجدتْ مذاهب تؤمن بالله وتنكر النبوات ، وتزعم أنه لا حاجة لوجود النَّبيِّ لأن ما أتىٰ به الأنبياء موافق للعقل ، ففي ، العقل غنىٰ عنه ، أو مخالف

---

(١) سورة البقرة آية/ ٢٥٨ .

(٢) سورة البقرة آية/ ٢٦٠ .

له فلا حاجة لنا به ، فالعقل طريق الاستدلال ، ولكننا لا نستطيع بالمنطق التجريبي ، والرياضي التوصل إلىٰ حقائق فالعلم الصحيح بذات الله وصفاته ، وحساب الآخرة من ثواب وعقاب ، وكل ما يتعلق بعالم الغيب كل ذلك لا يُعْرَف إلاَّ عن طريق الأنبياء(١) .

ونظر صاحب العقد إلىٰ المتنبئين والممرورين والبخلاء والطفيليين نظرة واحدة هي التفكه بما يصدر عنهم من أعمال تثير الضحك والسخرية ، وأقول ليس كلهم من صنف واحد فإن بعض المتنبئين كانوا خطراً علىٰ الدول التي ظهروا بها وخاصة في صدر الإسلام ، أما الذين قصدهم صاحب العقد وذكرهم فقال عنهم : فإن أخبارهم حدائق مُونقة ، ورياض زاهرة ، لما فيها من كُلِّ طُرفة ونادرة ، فكأنها أنوار مُزخرفة ، أو حُللٌ مُنَشَّرة ، دانية القطوف من جاني ثمرتها ، قريبة المسافة لمن طلبها فإذا تأملها الناظر ، وأصغىٰ إليها السامع وجدها مَلهىٰ للسَّمع ، ومرتعاً للنظر وسكناً للروح ، ولقاحاً للعقل ،

---

(١) دلائل النبوة ١/ ١٠ لأبي بكر البَيْهَقي .

ـ **تعليق للمؤلف** : من آمن بالله وقدراته في خلق السماوات والأرض وما بينهما ، لا بد من أن يؤمن بكل ما يصدر عنه . . . فلقد خلق الله الخلق ولهم عقول متفاوتة الفهم والإدراك والتفكير والسلوك ، ففي حال تركهم علىٰ سِجيتهم فلا بد من أن تسود الفوضىٰ والوحشية ومجتمع الغابة الذي لا توجد فيه فواصل بين الحلال والحرام وفي هذه الحالة شاءت إرادة الله من أن يرسل صفوة خلقه من الأنبياء والرسل ليبلغوا الرسالة ويحملوا الناس علىٰ الطريق المستقيم في الهداية وتعريف الإنسان علىٰ خالقه وعبادته وتنظيم المجتمع علىٰ أسس سليمة فيصبح كل فرد فيه يعرف ما عليه من واجبات وماله من حقوق . . . ؟ .

أما الذين تأثروا بثقافات دينية سواء أكانت هندوسية أو يونانية ، أو فارسية ، وحاولوا مزجها بالديانة الإسلامية فجاءوا بنظريات منفرة ومشوهة ، وشعر العرب خاصة والمسلمين كافة ، بأن مثل هذه الفئات هي سياسية وليست دينية وأنها تريد القضاء علىٰ كيانهم واقتلاع دينهم لذلك تم محاربتها من قبل السلطات حينذاك والقضاء علىٰ أكثرها .

وسميراً في الوحدة ، وأنيساً في الوحشة وصاحباً في السفر ، وأنيساً في الحضر[(١)] .

وجاء أيضاً :

قبيلة غمارة تسكن في مناطق جبلية تقع جنوب تطوان وعرفت بكثرة المتنبئين فيها منذ الفترات الأولىٰ للحكم الإسلامي[(٢)] .

كما أن المسلمين قاتلوا كل من ادعىٰ أنه إلهٌ أو نبي ، لاعتقادهم أن الله واحدٌ أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً ، وكذلك أن النبي محمد خاتم الأنبياء والمرسلين قال تعالىٰ : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾[(٣)] .

وهنا يأتي الرد علىٰ تعدد الآلهة قال تعالىٰ : ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾[(٤)] .

أما هذه الآية فهي تنطبق علىٰ الذين لا يستجيبون إلىٰ نداء الحق قال تعالىٰ : ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾[(٥)] .

لكل دولة رئيس ، ولكل مملكة ملك ولكل إمارة أمير ، ولو كان رئيسان للدولة وملكان للمملكة وأميران للإمارة لوقع الخلاف علىٰ تنازع السلطة وحدث الانهيار والفوضىٰ ، فكيف علىٰ صعيد الكون كله وجاء قول الباري عزّ وجلّ ليكشف عن ذلك بخطاب إلهي واضح ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ

---

(١) عقد فريد ٦/ ١٤٣ .

(٢) حاشية المعجب في تخليص أخبار المغرب/ ١٤١ .

(٣) سورة الأحزاب آية/ ٤٠ .

(٤) سورة الفرقان آية/ ٣ .

(٥) سورة النحل آية/ ٤ .

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[1] ثم يجيء تهديد الله للذين يدعون ذلك بأنهم لأنفسهم يظلمون وجزاءهم جهنم ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2] ثم تتوالىٰ الآيات بالبراهين كيف خلق الله السمٰوات والأرض ، والليل والنهار . . .

* * *

(1) سورة الأنبياء آية/ ٢٢ .

(2) سورة الأنبياء آية/ ٢٩ .

النُبوَّةُ

وحول النُبوَّة والتي لها علاقة بالأديان السَّماوية ، والإلّه ، والوحي ، وعلم الغيب ، علاقة عفوية ببعضها أو هي شديدة الارتباط ، ولقد بحث هذا الموضوع ابن خلدون فقال : اعلم أنَّ الله سُبحانه اصطفىٰ من البشر أشخاصاً فضَّلهم بِخِطَابه ، وَفَطَرهُم علىٰ مَعْرفَتهِ ، وجَعَلهُمْ وَسَائل بَيْنَهُ وبَيْنَ عِباده ، يُعرفونَهُمْ بمصالحهم ، ويُحرِّضونَهُمْ علىٰ هِدايتهم ، ويأْخُذون بِحُجْزاتِهم عنِ النارِ ، وَيَدُلُّونَهُمْ علىٰ طَريق النَجاة . وكان فيما يُلقيهِ إليهم من المعارف ويُظهرهُ علىٰ أَلْسِنَتِهِمْ من الخَوارقِ والأخبارِ الكائناتُ المُغَيَّبَةُ عن البَشرِ التي لا سبيل إلىٰ معرفتها إلاّ من اللهِ بوساطتِهِمْ ، ولا يعلمونها إلا بتعليم الله إيَّاهُمْ .

قال ﷺ : « أَلا وإِني لا أعلمُ إلاّ ما علَّمني الله » .

واعلم أنَّ خَبَرهُمْ في ذلك من خاصيَّتهِ وَضَرورتِه الصِدْقُ ، لما يَتَبيَّنُ لك عند بيان حقيقة النُبوَّة[1] .

ومن عَلامَاتِهِمْ أيضاً أنَّه يُوجدُ لهم قبل الوحي خُلقُ الخَيْر والزَكاء ومُجانبة المَذْمُومات والرجسِ أَجْمَعَ ، وهذا هو معنىٰ العِصْمَةِ ، وكأنَّه مَفْطورٌ علىٰ التنزُّهِ عن المَذْمُوماتِ والمُنَافَرةِ لها ؛ وكأنها مُنافية لجبلَّته[2] .

ومن عَلاماتِهِمْ أيضاً دُعاؤُهُم إلىٰ الدينِ والعِبَادةِ مِنَ الصلاةِ والصَدَقَةِ والعَفافِ .

---

(١) مقدمة ابن خلدون ١٥٩ .

(٢) المصدر نفسه ١٦٠ .

وضرب ابن خلدون أمثلة حول ذلك وسأورد بعضاً منها : وفي الصحيح أن هِرَقْلَ[1] حين جاءَه كتاب النبي ﷺ يدعوه إلىٰ الإسلام أحضر من وُجِد ببلده من قُريش ، وفيهم أبو سفيان ليسألهم عن حاله ، فكان فيما سأل أن قال : بم يأمركم ؟ فقال أبو سفيان : بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف إلىٰ آخر ما سأل فأجابه ، فقال : « إنْ يَكُنْ ما تقولُ حقّاً فهو نَبيٌّ وسَيملكُ ما تَحتَ قَدميَّ هاتين »[2] .

والعفاف الذي أشار إليه هِرَقْل[3] هو العِصْمَةُ ، فانظر كيف أَخذَ من العِصْمَةِ والدُعاءِ إلىٰ الدين والعبادة دليلاً علىٰ صحّة نُبوَّته ، ولم يَحْتَجْ إلىٰ مُعجزة ، فدل علىٰ أن ذلك من علامات النُبوَّة .

ومن علاماتهم أيضاً أن يكونوا ذوي حَسبٍ في قومهم . وفي الصحيح : « ما بعث الله نَبيّاً إلاّ في مَنَعَةٍ من قَوْمهِ » .

وفي مُساءلة هِرَقْل لأبي سُفيان كما هو في الصحيح قال : « كيف هو فيكم ؟ » . قال أبو سُفيان : « هُو فينا ذو حَسَبٍ » فقال هِرَقْل : « والرُسُلُ تُبعثُ في أَحْسابِ قَوْمِها » . ومعناه أن تكون له عَصَبةٌ وشَوكةٌ تَمْنَعُهُ عن أذىٰ الكُفَّار حتىٰ يُبلّغ رسالةَ ربه ويتمَّ مُراد الله في إكمال دينه .

ومن علاماتهم أيضاً وُقوعُ الخَوارق لهم شاهدة بِصدْقِهم وهي أفعالٌ يَعْجِزُ البُشْرُ عن مِثْلها فَسُميت بذلك مُعجزةً ، وليست من جنس مَقْدور العِبادِ ، وإنما تقع في غير محل قُدرتهم[4] .

---

(١) هرقل ملك الروم . والرواية وردت مفصلة في المنتظم ٣/ ٢٧٥ .

(٢) مقدمة ابن خلدون ١٦١ .

(٣) قوله : الذي أشار إليه هرقل ، كذا في جميع النسخ ، والظاهر أبو سفيان ـ انظر مقدمة ابن خلدون ـ ١٦٢ .

(٤) مقدمة ـ ١٦١ ، ١٦٢ .

ويختم ابن خلدون كلامه فيقول :

وإذا تَقرَّر ذلك فاعلم أنَّ أعظم المُعجزات وأشرفها وأوضحها دلالةً القرآن الكريم المُنزَّل علىٰ نبيّنا محمد ﷺ فإنَّ الخَوارِقَ في الغالب تَقعُ مُغايرةً لِلوحي الذي يَتَلقَّاهُ النبيُّ ويأتي بالمُعجزة شاهدةٌ بصدقه ؛ والقُرآنُ هو بنفسه الوحي المُدَّعىٰ وهو الخارِقُ المُعْجزُ ، فشاهده في عينه ولا يَفْتَقرُ إلىٰ دليلٍ مُغاير له كسائر المُعْجزاتِ مع الوحي ؛ فهو أوضح دلالةً لاتحاد الدليل والمدلول فيه . وهذا معنىٰ قوله ﷺ « ما مِنْ نبيٍ من الأنبياء إلاّ وأُوتي من الآيات ما مِثْلَهُ آمن عليه البشرُ ، وإنَّما كان الذي أَتيتُه وحياً أَوُحي إليَّ . فأنا أرجو أنْ أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » . يُشير إلىٰ أن المُعجزة متىٰ كانت بهذه المثابة في الوضوح وقوَّة الدلالة وهو كونها نَفْسَ الوحي كان الصدق لها أكثر لوضوحها ، فكثر المُصَدِّق المُؤمن وهو التابع والأُمَّة[١] .

* * *

---

(١) مقدمة ـ ١٦٥ .

الرُؤْيا[*]

إنَّ ابن خلدون ميز في الرؤيا حالات ثلاث ، خاص كالذي للأولياء ، وعامٌ للبشر على العموم ، ورؤيا الأنبياء .

وعرَّف الرؤيا فقال : وأما الرؤيا فَحقيقَتُها مُطالعةُ النَفْس الناطِقَة في ذاتها الروحانيّة لمحةً من صُورِ الواقعاتِ ، فإنَّها عندما تكونُ روحانِيّةً تكونُ صُورُ الواقعاتِ فيها مَوجودةً بالفعل كما هو شأنُ الذَّواتِ الروحانِيّة كُلّها .

وتَصيرُ روحانِيّةً بأَنْ تَتَجرَّدَ عن الموادِّ الجسمانيّةِ والمَدارِكِ البدنيّة .

وقد يَقَعُ لها ذلك لمحةً بِسَببِ النَوْمِ فَتَقْتَبِسُ بها علم ما تَتَشَوَّفُ إليه من الأُمورِ المُسْتقبليةِ وتعود به إلى مداركها .

والسَببُ في وُقوعِ هذه اللَّمْحةِ للنَّفسِ أَنَّها ذاتُ روحانيّةٍ بالقُوَّة ، مُستكْمَلَةٌ بالبَدَنِ ومَداركهِ حتَّى تَصيرَ ذاتُها تَعقُّلاً مَحْضاً وَيَكْمُلَ وُجودُها بالفِعلِ ؛ فتكون حينئذٍ ذاتاً روحانيّةً مُدركَةً بغير شيءٍ من الآلات البَدنيّة .

إلاّ أنَّ نَوْعها في الروحانيّاتِ دون نوعِ الملائِكةِ أهلِ الأُفقِ الأَعْلىٰ الذي لم يَستكْمِلوا ذَواتِهمْ بشيءٍ من مدارِكِ البدنِ ولا غيرِهِ ، فهذا الاستعدادُ حاصلٌ لها ما دامتْ في البدنِ .

ومنه خاصٌّ كالَّذي للأَوْلياء، ومنه عامٌ للبَشرِ على العموم، وهو أمر الرُؤْيا .

وأَمّا الَّذي للأَنْبياء فهو استعدادٌ بالانْسِلاخ من البشَريَّةِ إلى الملكيَّةِ المَحْضَةِ التي هي أَعْلىٰ الروحانِيّاتِ ، ويَخْرُجُ هذا الاستعدادُ فيهم مُتكرِّراً في حالاتِ الوَحْيِ ؛ وهو عِنْدَما يُعرِّجُ على المَدارِكِ البَدنيّة ويقَعُ فيها ما يَقَعُ من الإِدْراكِ يكونُ شَبيهاً بحالِ النَوْمِ شبهاً بيّناً وإن كان حالُ النَوْمِ أَدْوَنَ منه بكثير[1] .

(*) مقدمة ابن خلدون ١٧٨ ، ١٧٩ .

(١) المصدر السابق نفسه .

الوحي (*) والأنبياء

يعالج ابن خلدون هذا الموضوع كعالم مسلم ومؤمن ويبسط هذا الموضوع حتىٰ يجعله قريباً من الفهم بعيداً عن التعقيد ، يستند في براهينه وحججه إلىٰ القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة ، والأنبياء هم صِنف من البشر ويقول ابن خلدون عن هذا الصنف :

« وصِنفٌ مفطور علىٰ الإنسلاخ من البشريَّة جمْلةً . . . ليصير في لمحةٍ من اللَّمحات مَلكاً ويحصُلُ له شهودُ الملأ الأعلىٰ في أُفُقِهم وسَماع الكلام النَّفْساني والخطاب الإلهي في تلك اللَّمحة . وهؤلاء الأنبياء جَعل الله لهم الانسلاخ من البشريَّة في تلك اللَّمحة وهي حالة الوحي ، فِطرةً فطرهم الله عليها وجِبلَّةً صوَّرهم فيها ، ونزَّههم عن مَوانعِ البدَن وعوائقِه ما داموا مُلابسين لها بالبشريَّة ، بما ركَّب في غرائزهم من القَصْد والاستقامة التي يحاذون بها تلك الوُجهة ، وركَّز في طبائعهم رَغبةً في العبادة تُكْشَفُ بتلك الوُجهة وتَسبغُ نحوها . فهم يتوجَّهون إلىٰ ذلك الأُفق بذلك النوع من الإنسلاخ متىٰ شاؤُوا بتلك الفطرة التي فُطروا عليها لا باكتسابٍ ولا صِناعةٍ . فلذا تَوجَّهوا وانسلخوا عن بشريَّتهم ، وتلقَّوا في ذلك الملأ الأعلىٰ ما يَتلقَّونهُ ، وعاجوا به علىٰ المدارِكِ البشريَّة منزَّلاً في قواها لحكمة التَّبليغ للعباد »(1) .

بعد حالة الانسلاخ البشرية التي تحدث للأنبياء تأتي مرحلة ثانية هي مرحلة التلقي ، إما أن يسمع دوياً ، أو عن طريق مَلك ، وأن حالة الدَّوي هي رتبة الأنبياء غير المرسلين علىٰ ما حقَّقوه ، والثانية هي حالة تَمَثُل الملك رجلاً

(*) مقدمة ابن خلدون ١٧٠ ، ١٧١ .

(١) المصدر نفسه ١٧١ .

يخاطب هي رتبة الأنبياء المرسلين ولذلك كانت أكمل من الأولىٰ ، وحول ذلك يقول ابن خلدون عن تلقي الأنبياء في كلتا الحالتين : « فتارةً يَسمعُ أحدهم دَوِّياً كأنَّه رَمْزٌ من الكلام يأخذ منه المعنىٰ الذي أُلقي إليه ، فلا ينقضي الدَّوِيُّ إلاّ وقد وَعاهُ وفَهِمَهُ . وتارَةً يتمثَّلُ له المَلَكُ ـ الذي يُلقي إليه رجلاً ـ فَيُكَلِّمهُ ويعي ما يَقولُهُ . والتَّلقّي من الملك ، والرجوع إلىٰ المدارك البشريَّة وفَهْمُهُ ما أُلقي عليه كُلَّهُ كأَنَّهُ في لحظةٍ واحدةٍ بل أقرب من لمح البصر ، لأنه ليس في زَمانٍ ، بل كُلُّها تقعُ جميعاً فيظهر كأنها سريعةٌ ولذلك سُميت وحياً ، لأَنَّ الوحي في اللُغة الإسراع .

واعلم أن الأولىٰ وهي حالة الدَّويّ هي رُتبة الأنبياء غير المُرسلين علىٰ ما حَقَّقوهُ ؛ والثانية وهي حالة تَمثُّل المَلَك رَجُلاً يخاطبُ هي رتبة الأنبياء المرسلين ؛ ولذلك كانت أكمل من الأولىٰ » .

وهذا معنىٰ الحديث الذي فَسَّر فيه النبي ﷺ الوحي لما سأله الحارث بن هشام ، وقال : وكيف يأتيك الوحيُ ؟ فقال : « أحياناً يأتيني مِثْلَ صَلْصَلَةِ الجرس وهو أشدُّهُ علي فَيُفْصِمُ عني وقد وعيتُ ما قال ؛ وأحياناً يَتمثَّلُ لي الملَكُ رَجُلاً فيكلمني فأعي ما يقول » .

وهنا يحلل ابن خلدون تلك الحالات فيقول : وإنَّما كانت الأُولىٰ أشد لأنها مبدأ الخروج في ذلك الاتِصال من القوة إلىٰ الفِعل فَيعْسُر بَعْضَ العُسْرِ ولذلك لمَّا عاج فيها المدارك البشَريَّة اختصَّت بالسمع وصَعُبَ ما سواه . وعندما يتكرر الوحي ويكثر التلقّي يَسهُل ذلك الاتِّصال فعندما يَعْرُج إلىٰ المدارك البشريَّة ، يأتي علىٰ جميعها وخُصوصاً الأوضح منها وهو إدراك البصر .

ويفسر ابن خلدون من الناحية اللغوية « وقد وعيت . . . فأعي ما يقول » فجاء الشرح مطابقاً للمقصود وزاد في ذلك إيضاحاً فقال : وفي العبارة عن الوعي في الأولىٰ بصيغة الماضي وفي الثانية بصيغة المُضارع لطيفة من

البلاغة ، وهي أن الكلام جاء مجيء التمثيل لحالتي الوحي فَمثَّل الحالة الأولىٰ بالدويّ الذي هو في المُتعارف غير كلامٍ ، وأخبر أن الفهم والوعي يَتبعَهُ غِبَّ انقضائه ، فناسب عند تصوير انقضائه وانفصاله العبارة عن الوعي بالماضي ، المطابق للانقضاء والانقطاع ، ومَثَّل المَلَكَ في الحالة الثانية برجل يُخاطب ويتكلَّمُ ، والكلام يُساوِقُهُ الوَعيْ ، فناسب العبارة بالمُضارع المُقتضي للتَّجدُّد[1] .

ويستطرد ابن خلدون بالاستشهاد في آيات من القرآن الكريم وأحاديث عن النبي محمد ﷺ وما كان من أمر الوحي والتنزيل عليه فيقول ابن خلدون : واعلم أنَّ في حالة الوحي كُلِّها صعوبة علىٰ الجُملة ، وشِدَّةً قد أشار إليها القرآن ؛ قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾[2] . وقالت عائشة : « كانَ ممَّا يُعاني من التَنزيلِ شِدَّةً »[3] ؛ وقالت : « كان يَنزِلُ عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فَيُفْصِمُ عنه وإن جَبينَهُ ليَتفصَّدُ عَرقاً » . ولذلك كان يَحدثُ عنه في تلك الحالة من الغَيبة والغَطيطِ ما هو معروفٌ . وسبب ذلك أن الوحي كما قَرَّزناهُ مُفارقةُ البشَريّة إلىٰ المَداركِ الملكية وتَلقّي كلام النَفْسِ ، فَيَحدُثُ عَنهُ شِدَّةٌ مِن مُفارقةِ الذات ذاتها وانسلاخها عنها من أُفُقِها إلىٰ ذلك الأُفُقِ الآخر . وهذا هو معنىٰ الغط الذي عَبَّرَ به في مَبْدإِ الوحي في قوله : « فَغطَّني حتّىٰ بلغ الجَهْدُ ، ثُم أرسلني فقال : اقرأْ ! فَقُلتُ ما أنا بقارئ ، وكذا ثانية وثالثة » كما في الحديث[4] .

---

(١) مقدمة ابن خلدون ١٧١ ، ١٧٢ .

(٢) سورة المُزمل آية/ ٥ . أي سننزل عليك يا محمد كلاماً عظيماً جليلاً ، له هيبة وروعةٌ وجلال لأنه كلام المَلك العلّام . « صفوة التفاسير ٣/ ٤٦٥» .

(٣) نص الحديث : « كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة » . وهو مروي عن ابن عباس وليس عن عائشة .

(٤) مقدمة ابن خلدون ١٧٣ .

ولم أتطرق للديانات الأخرىٰ ، وآراء الفلاسفة والمفكرين المسلمين من أتباع أرسطو والأفلاطونية المحدثة قد التفتوا لهذه العلاقة وجعلوا من الخيال شرطاً ضرورياً للوحي وهناك آراء كثيرة منسوبة للفارابي وابن سينا والغزالي . ولابن عربي أيضاً آراء وتصورات بهذا المجال .

❊ ❊ ❊

طُرقٌ غريبة ـ عن الإخبار بالمُغَيَّبات

ولقد ذكر ابن خلدون طُرقاً للإخبار بالمُغَيَّبات ، فيها من الغرابة ما يُدهش ، ومن المناظر ما يؤلم إلىٰ حد ارتكاب جريمة القتل ليسمع القاتل كلمة غيبية قد تكون غير صحيحة تخبره علىٰ مستقبل يبحث عنه ، وأوردتها هنا ليس لوجه الغرابة فيها فقط ، بل إنني أرىٰ كم هو الإنسان جميل وخُلق في أحسن تقويم ، وكم من أعماله تبدو قذرة وبشعة تنعكس علىٰ تلك الصورة الجميلة فتُشوهها .

يقول ابن خلدون : ومن هذه المدارِك الغَيبيّة ، ما يَصدرُ لِبَعضِ النَّاسِ ، عند مفارقة اليَقظةِ والتباسهِ بالنَّوم من الكلام علىٰ الشَّيءِ الذي يَتَشوَّفُ إليه ، بما يُعطيه غَيبُ ذلك الأمر كما يُريدُ . ولا يَقعُ ذلك إلاَّ في مبادئ النَوْمِ عند مُفارقةِ اليَقظةِ وذَهابِ الاختبار في الكلام ؛ فيتكلَّمُ كأنَّه مجبورٌ علىٰ النُطْقِ ، وغايتهُ أن يَسْمَعَهُ ويفهمهُ ، وكذلك يصدر عن المقتولين عند مُفارقة رُؤُسِهمْ وأَوْساطِ أبدانهم كلامٌ بمثل ذلك .

ولقد بلغنا عن بعض الجبابرة الظالمين أنهم قتلوا من سُجونِهمْ أشخاصاً ليتعرفوا من كلامهم عند القتل عَواقبَ أُمورهم في أَنْفُسهم فأعلموهم بما يُسْتَبْشَعُ .

وذكر مَسْلَمَة[1] في كتاب الغايةِ له في مثل ذلك أنَّ آدمياً إذا جُعل في دن مملوءٍ بدُهن السِمْسِم ومَكثَ فيه أربعين يَوْماً يُغذَّىٰ بالتّين والجَوْزِ حتىٰ يَذْهَبَ لَحُمهُ ولا يَبقىٰ منهُ إلاَّ العُروقُ وَشِؤُن رأسهِ فَيخرج من ذلك الدُّهنُ ؛ فحين

(١) هو مَسلمة بن أحمد المجريطي ، العالم الأندلسي المشهور .

يجفُّ عليه الهواءُ يُجيبُ عن كل شيء يُسأل عنه من عواقب الأمور الخاصة والعامة .

ويقول ابن خلدون : وهذا فعلٌ من مناكير أفعال السَحَرةِ لكن يُفْهَمُ منه عجائبُ العالم الإنساني[١] .

طرق غريبة :

ومن النَّاس من يُحاول حصول هذا المُدرك الغَيبي بالرِياضةِ ، فيحاولون بالمُجاهدةِ موتاً صِناعياً بإماتة جميع القُوىٰ البدنيّة ، ثم محو آثارها التي تلوَّنت بها النَفْسُ ، ثم تَغْذِيَتها بالذِكْرِ لِتَزْدادَ قُوةً في نُشْئِها . ويَحْصُلُ ذلك بجمعِ الفِكْرِ وكَثْرَةِ الجوعِ . ومن المَعلوم علىٰ القطع أنَّهُ إذا نزلَ الموتُ بالبَدنِ ذهب الحِسُّ وحِجابُهُ واطَّلَعتِ النَّفْسُ علىٰ ذاتِها وعالِمها ، فَيُحاوِلون ذلك بالاكْتِساب ، ليقع لهم قَبل الموت ما يقع لهم بعده وتَطَّلِعُ النَفْسُ علىٰ المُغَيّباتِ ، ومن هؤلاء أهل الرياضة السحْريَّةِ يرتاضون بذلك ليحصل لهم الاطلاعُ علىٰ المُغَيَّبات والتَصرُّفات بالعوالم . وأكثر هؤلاء في الأقاليم المُنحرفة جنوباً وشمالاً خصوصاً بلاد الهند ، ويُسمون هنالك الحوكيّة ولهم كُتبٌ في كيفيّة هذه الرياضة كثيرةٌ ، والأخبار عنهم في ذلك غريبة[٢] .

* * *

---

(١) مقدمة ابن خلدون ـ ١٩٠ .

(٢) مقدمة ـ ١٩٠ ، ١٩١ .

المُنجّمون(*)

إن ابن خلدون ينفي عن المُنجمين صفة الإخبار بالمغيبات ، ويعتبر قولهم وأفعالهم ضرباً من التخمين والظنون الحدسية ، ويشرح ذلك شرحاً مُسهباً ، ولكنني أورد هنا ما يخدم الموضوع ، يقول ابن خلدون :

وقد يزعمُ(1) بعضُ الناس أنَّ هناك مداركَ للغيبِ من دونِ غيبةٍ عن الحسّ : فمنهم المُنجمون القائلونَ بالدّلالات النُجوميّة ومُقتضىٰ أوضاعِها في الفَلَك ، وآثارها في العناصرِ ، وما يحصُلُ من الامتزاجِ بين طباعِها بالتَناظُر ، ويتأدّىٰ من ذلك المزاجِ إلىٰ الهواءِ ، وهؤلاء المُنجمون ليسوا من الغَيْب في شيءٍ إنَّما هي ظُنونٌ حَدْسيَّةُ وتخميناتٌ مَبْنيَّةٌ علىٰ التآثيرِ النُّجومِيّة وحصول المِزَاج منه لِلْهواءِ مع مَزيدِ حَدْسٍ يقفُ به الناظِرُ علىٰ تفصيله في الشخصيَّات في العالم كما قاله بطليموس(2) .

إن الإنسان سواء كان عاملاً أو حاكماً ، غنياً أو فقيراً ، رجلاً أو امرأة يحاول أن يستطلع ما تخبئ له الأيام من خيرٍ أو شرٍ ، عن طريق المنجمين أو من يَتبع أساليبهم ، التي تعد رجماً بالغيب ، ويقع في أحابيلهم الإنسان الجاهل الغافل الذي يدفع لهم ما يملك حتىٰ يصبح خاليَ الوفاض .

وهنا يذكر ابن خلدون هؤلاء ويُعَرِّف بهم ويُعريهم ويَكشف حَقيقتهم ويضع أسماءهم تحت عناوين حقيقية فيقول :

(*) مقدمة ابن خلدون ـ ١٩٥ ، ٥٨١ .

(1) ورد في حاشية المقدمة ص١٩٥ ـ كذا بالأصول في جميع النسخ . والأصح أن يقال : قد يظن البعض أن هنا من يدرك الغيب ، فتنسجم العبارة مع ما بعدها .

(2) المقدمة ـ ١٩٥ .

اعلَمْ أن من خواصِّ النفوس البشريَّة التشوُّف إلىٰ عواقب أُمورهم ، وعلم ما يحدُثُ لهم من حياةٍ وموتٍ وخيرٍ وشرٍّ ، سِيَّما الحوادث العامَّة كمعرفةِ ما بَقي من الدُّنيا ، ومعرفةِ مُدَدِ الدُوَلِ أو تفاوُتِها . والتطلُّعُ إلىٰ هذا طبيعةٌ للبشر مجبولون عليها .

ولذلك نجدُ الكثير من الناس يتشوَّفون إلىٰ الوقوفِ علىٰ ذلك في المنام .

والأخبارُ من الكُهَّانِ لمن قَصدَهُم بمثل ذلك من الملوك والسوقةِ معروفة .

ولقد نجدُ في المدن صنفاً من الناس ينتحلون المَعاشَ من ذلك لعلمِهِمْ بحرص الناس عليه ، فَينْتَصِبُونَ لهم في الطُرُقاتِ والدكاكين يتعرَّضونَ لمن يسألُهُم عنه . فتغدو عليهم وتروحُ نِسوان المدينةِ وصِبيانُها ، وكثيرٌ من ضُعفاء العقولِ ، يَستكشفونَ عواقب أمرهم ، في الكسب والجاه والمعاش والمعاشَرة والعداوة وأمثال ذلك ، ما بين خطٍّ في الرملِ ويسمونه المَنَجِّمَ .

وطَرْقٍ بالحصىٰ والحُبوبِ ويسمُّونَهُ الحاسِبَ . ونظرٍ في المرايا والمياه ويسمّونَهُ ضارب المَنْدَلِ وهو من المنكَراتِ الفاشيةِ في الأَمصارِ ، لما تقرَّرَ في الشريعة من ذمِّ ذلك ، وأنَّ البشرَ محجوبون عن الغيبِ إلاَّ من أَطلَعهُ اللهُ عليه من عنده في نومٍ أو ولايةٍ[1] .

* * *

(١) المصدر السابق نفسه ٥٨٧ .

السِّحرُ والطَّلسماتُ

ويعرفهما ابن خلدون في قوله : هي علوم بكيفيَّةِ استعداداتٍ ، تقتدِرُ النُفُوسُ البشريَّةُ بها على التأثيراتِ في عالمِ العناصرِ : إمَّا بغير مُعينٍ ، أو بمُعين من الأُمورِ السماويَّة ؛ والأوَّل هو السِّحرُ ، والثاني هو الطَّلسماتُ .

ويذكر ابن خلدون منبع هذه العُلوم فيقول وكانت هذه العُلومُ في أَهلِ بابل من السُّريانيين والكِلدانيين وفي أهل مِصْرَ من القِبْطِ وغيرهم . وكان لهم فيها التآليف والآثار ، ولم يُتَرْجَمْ لنا من كُتُبهم فيها إلا القليلُ ، مثل الفلاحة النَبطيَّةُ لابن وحشيَّة من أوضاع أهل بابل ، فأخذ الناسُ منها هذا العلمَ وتفنَّنوا فيه ، وَوُضِعَتْ بعد ذلك الأوضاعُ ، مثل مصاحِفِ الكواكبِ السبعة ، وكتاب طِمْطِمَ الهِنْديّ في صُورِ الدَّرَج والكواكب وغيرها .

ثم ظهر بالمشرقِ جابرُ بن حيان[1] كبيرُ السَّحرة في هذه الملَّة ؛ فتصفَّح كتب القومِ واستخرجَ القِناعةَ وغاص في زبدتها واستخرجَها ووضعَ فيها عدَّة من التآليف ، وأكثر الكلام فيها وفي صناعة السيمياء لأنها من توابعها ، ولأنّ إحالة الأجسام النوعية من صورة إلىٰ أُخرىٰ إنما تكونُ بالقوَّة النفسية لا بالصِّناعة العملية ، فهو من قبيل السِّحر .

ثم جاء مَسلمة بن أحمد المجريطي[2] إمام أهل الأندلس في التعاليم

---

(١) هو جابر بن حيان بن عبد الله الكوفي أبو موسىٰ : فيلسوف كيميائي ، كان يعرف بالصوفي من أهل بغداد ، له تصانيف قيل عددها (٢٣٢ كتاباً) وقيل بلغت خمسمائة ، ضاع أكثرها وترجم بعضها إلىٰ اللاتينية توفي حوالي (٢٠٠هـ) الأعلام ٢/ ١٠٣ .

(٢) هو أبو القاسم مُسلمة بن أحمد بن قاسم بن عبد الله المجريطي : فيلسوف ، رياضي ، فلكي ، كان إمام الرياضيين بالأندلس ، وأوسعهم إحاطة بعلم الأفلاك وحركة النجوم ، له عدة مؤلفات توفي سنة (٣٩٨هـ) الأعلام ٧/ ٢٢٤ .

والسيمياء أي الكيمياء .

والسِّحريَّات ؛ فلخَّص جميع تلك الكتب وهذَّبها ، وجمع طرقها في كتابه الذي سماه غايةَ الحكيم ، ولم يكتب أحد في هذا العلم بعده[١] .

والنُّفوس السَّاحرة علىٰ مراتب ثلاثةٍ يأتي شرحها : فأوَّلها المؤثِّرةُ بالهمَّة فقط من غير آلة ولا مُعينٍ وهذا هو الذي تسميه الفلاسفةُ السِّحر .

والثاني بمعين من مِزاج الأَفلاكِ أو العناصر أو خواصِ الأعداد ، ويسمونه الطِّلسمات ، وهو أضعفُ رُتبةً من الأَوَّلِ .

والثالثُ تأثيرٌ في القوىٰ المتخيِّلة ، يعمد صاحبُ هذا التأثير إلىٰ القوىٰ المتخيِّلة ، فيتصرَّفُ فيها بنوعٍ من التصرُّف ويلقي فيها أنواعاً من الخيالاتِ والمحاكماةِ وصوراً مما يقصِدُه من ذلك ، ثم ينزلُها إلىٰ الحِسِّ من الرَّائينَ بقوة نفسِهِ المؤثِّرةِ فيه ، فينظُرُها الرّاؤون كأنها في الخارج ، وليس هناك شيءٌ من ذلك ، كما يحكىٰ عن بعضهم أنه يُري البساتينَ والأنهارَ والقُصورَ وليس هناك شيء من ذلك . ويسمَّىٰ هذا عند الفلاسفة الشَّعوذة أو الشَّعبذة[٢] .

ولا بد من التوضيح من أن العمل في الكيمياء ذاك الوقت لم يكن معروفاً لدىٰ شريحة واسعة من الناس سواء في المشرق أو في المغرب ، ولم تكن لدىٰ الناس ثقافة علمية لتعرف كُنه هذا العلم المبدع وإن الكيميائي الذي تعلم هذا العلم صُنف مع الذين يعملون في السحر ، لأن نتائج التجارب الكيميائية وما تولده من أصناف جديدة ، كان يُذهل الناس ويبهرهم حينذاك ، وإن الغرب ترجم كتب جابر بن حيان ، ومَسلمة المجريطي ، ودَرَّس كتبهما في مدارسه علىٰ مستويات مختلفة ، ولقد وصل علم الكيمياء نتيجة التجارب المستمرة إلىٰ نتائج رائعة تخدم الإنسانية كافة وتنعم بها وإن كان لكل صناعة فوائدها وأخطارها علىٰ البيئة .

---

(١) مقدمة ٩٢٣ ـ ٩٢٤ .

(٢) مقدمة ٩٢٥ ـ ٩٢٦ .

لذلك اغتر أناس كثيرون من بسطاء الناس وعامتهم بالرجل الذي يعمل بالكيمياء ويضع أمامهم نتائج غير مألوفة لديهم ، فكانوا يعتبرون ذلك من الخوارق ، فإن ادّعىٰ أنّه يملك سراً إلهياً اتبعوه وغررّ بهم إلىٰ حيث شاء . وهذا ما ستجده في سياق هذا الكتاب ، ويظهر جلياً أنهم قاموا بالخدعة والشعوذة ، ولم يطوروا علمهم باتجاه الفائدة العامة[١] .

* * *

(١) تعليق المؤلف عبد القادر فياض حرفوش .

الكُهَّـــان

فقد كان العَربُ يَفْزَعون إلىٰ الكُهَّان في تَعرُّف الحوادثِ ويَتنافرونَ إليهم في الخُصومات ليُعرفوهم بالحقِّ فيها من إدْراك غَيبِهِمْ ، وفي كُتبِ أهل الأَدبِ كثيرٌ من ذلك ، واشْتَهَرَ مِنْهُمْ في الجاهليَّةِ شِقُّ بن أَنْمار بن نِزارٍ ، وسَطيحُ بن مازِنِ بن غَسَّانَ ، وكان يُدْرَجُ كما يُدْرَجُ الثوبُ ، ولا عَظْمٌ فيه إلاَّ الجُمْجُمَةُ ، ومن مَشهورِ الحكاياتِ عنهما تأْويلُ رُؤْيا رَبيعَةَ بن مُضَرَ ، وما أَخْبَراهُ به من مُلك الحبَشَةِ لليَمنِ ، ومُلك مُضَرَ من بعدهم ، وظُهورِ النُبوَّةِ المُحَمَّديَّة في قُريشٍ ، ورؤيا الموبذانِ التي أوَّلها سطيح لما بَعثَ إليه بها كِسْرىٰ عبد المَسيح ، فأخْبَرهُ بشأْن النُبوَّة ، وخَرابِ مُلكِ فارس وهذه كلُّها مَشْهورةٌ .

وكذلك العرَّافونَ كان في العرب منهم كثيرٌ وذكروهم في أشعارهم قال :

فَقلتُ لِعـرّافِ اليَمـامـةِ دَاوِنـي ... فـإِنَّـك إنْ داوَيْتَنـي لَطبيـبُ

وقال الآخر :

جَعَلْتُ لِعَـرّافِ اليَمـامَـةِ حُكمَـهُ ... وعـرّافِ نَجـدٍ إنْ هُمـا شَفَيـانـي

فقـالا شَفـاكَ اللهُ واللهِ مـا لنـا ... بما حَملتْ مِنكَ الضُلوعُ يَدانِ[1]

وعَرّاف اليمامة هو رَباحُ بنُ عِجلَةَ ؛ وعرَّاف نجد ، الأبلقُ الأسدي .

وضرب ابن خلدون مثلاً عن الكهان فقال : ثمَّ إن هؤلاءِ الكُهَّان إذا عاصروا زَمَنَ النُبوَّة فإِنَّهُمْ عارِفونَ بِصدْقِ النَبيِّ ودَلالةُ مُعْجزته ، لأن لهم بَعض الوِجْدان من أَمرِ النُبوَّة ، كما لكلِّ إِنسانٍ من أمر النَوْم ، ومَعقُوليَّةُ تلك النِّسبَةِ ، موجودةٌ للكاهنِ بأشدَّ مِمَّا للنَّائم ، ولا يَصُدُّهم عن ذلك ويوقِعُهُمْ في التكذيب

---

(١) مقدمة ابن خلدون ١٨٩ . ما لنا قدرة علىٰ شفائك من الحب الذي تحمله ضلوعك .

إلا قُوَّةُ المَطامعِ في أَنَّها نُبوَّةٌ لَهُم ، فَيَقَعونَ في العِنادِ كما وَقَع لأُميَّةَ بن أبي الصَلْتِ فإنَّه كان يَطمعُ أن يَتَنَبّأ ، وكذا وقع لابن صَيَّادٍ[1] ولِمُسَيْلَمَةَ وغيرهم ، فإذا غَلَبَ الإيمانُ وانْقَطَعَتْ تِلكَ الأَمانيُّ آمنوا أَحْسنَ إيمانٍ ، كما وقع لِطُلَيْحة الأَسديّ ، وسواد بن قارب ، وكان لَهُما في الفُتوحات الإسلاميّة من الآثار الشاهدةِ بِحُسنِ الإيمان[2] .

* * *

(١) ورد اسمه في الكامل في التاريخ ٢/ ٥٥٠ : صافي بن صياد ، اشترك في معركة السوس في بلاد فارس . انظر حاشية سواد بن قارب ، في هذا الكتاب .

(٢) مقدمة ص١٧٨ .

المُتصوِّفة

ولابن خلدون رأي في المُتصوفة فهو يميز بينهم وبين غيرهم من أصحاب الطرق المختلفة في هذا المجال فيقول : وأما المُتَصَوِّفَةُ فَرياضَتُهُمْ دينيّةٌ وعَرِيَّةٌ عن المقاصدِ المذْمومَةِ ، وإنَّما يَقصِدون جَمْعَ الهِمَّةِ والإِقْبالَ علىٰ الله بالكُلِّيَّةِ ليَحْصُلَ لهم أَذْواقُ أَهْلِ العِرْفانِ والتَوحيد ، وَيَزيدونَ في رياضتهم إلىٰ الجمْع والجوعِ التَغْذِيةَ بالذِّكر ، فيما تَتمُّ وُجْهَتُهُمْ في هذه الرياضة ، لأَنَّه إذا نشأَتْ النَفْسُ علىٰ الذكر كانت أقربَ إلىٰ العِرْفانِ بالله ، وإذا عُرِّيتْ عن الذكر كانت شَيْطانِيّةً ، وحُصولُ ما يَحْصُلُ من مَعرفةِ الغَيْبِ والتَّصَرُّفِ لهؤُلاءِ المُتصوِّفة إنَّما هو العَرَضِ ، ولا يكونُ مَقْصوداً من أوَّل الأَمْرِ ؛ لأَنَّهُ إذا قُصد ذلك كانت الوُجهَةُ فيه لِغَيْرِ الله ، وإِنَّما هي لِقَصْدِ التَصرُّفِ والإطلاع علىٰ الغَيْب ، وأَخسِرْ بها صَفْقَةً فإنَّها في الحقيقة شِركٌ .

قال بَعضُهم : « من آثر العِرفان للعِرفان فقد قال بالثاني »[1] .

فهم يَقْصِدونَ بوُجْهتهم المعبودَ لا لشيءٍ سِواهُ ، وإذا حَصلَ في أثناء ذلك ما يحصُلُ فبالْعَرَضِ وغير مقصودٍ لهم ، وكثير منهم يَفِرُّ منه إذا عَرضَ له ولا يَحْفِلُ به ، وإِنَّما يَريدُ الله لذاتهِ لا لِغَيْرِهِ ، وحُصولُ ذلك لَهم معروف ، ويُسمّونَ ما يقع لهم من الغَيْبِ والحديثِ علىٰ الخَواطرِ فِراسَةً وكشْفاً ، وما يَقعُ لهم من التَصرُّفِ كرامةً ، وليس شيءٌ من ذلك بنكيرٍ في حَقّهِم ، وقد ذهب إلىٰ إنكاره الأستاذ أبو إسحاقَ الإسفرايني وأبو مُحمد بن أبي زَيْدٍ المالكي في آخرين[2] فِراراً من التباسِ المُعْجزةِ بغيرها ، والمُعَوَّل عليه عند المُتكلِّمين

---

(١) ورد في حاشية المقدمة ١٩١ : أي فقد قال : بأن الله له ثانٍ ، أي أشرك بالله .

(٢) ورد في حاشية المقدمة ١٩٢ : هو استعمال غير صحيح ، إلا أن ابن خلدون استعمله في مواضع من كتاب العبر والأصح : وآخرون .

حُصولُ التَفْرقة بالتَّحدِّي فهو كافٍ ، وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ فيكم محدِّثينَ وإنَّ منهم عُمرَ » . وقد وقع للصَّحابة من ذلك وقائعُ مَعْروفَةٌ تَشْهَدُ بذلك في مثل قول عُمرَ رضي الله عنه : « يا ساريةُ ! الجبل » . وهو سارية بن زُنيم ، كان قائداً علىٰ بعض جيوش المُسلمين بالعراق أيّام الفُتوحات ، وتورَّط مع المشركين في معترك وهمَّ بالانهزامِ ، وكان بقُربه جَبَلٌ يتجهَّزُ إليه ، فَرُفِعَ لِعُمَر ذلك وهو يَخطبُ علىٰ المِنبَر بالمدينة فناداه : « يا سَاريةُ ! الجبلَ » وسمعه سَارِيةُ وهو بمكانه ، ورأىٰ شَخصهُ هنالك ، والقِصَّةُ معروفة . ومثل هذه الوقائع كثيرة لهم ولمن بعدهم من الصَّالحين وأهل الإقتِداء . إلا أنَّ أهل التصوُّف يقولون إنَّه يَقلُّ في زمن النُبوَّة إذ لا يبقىٰ للمريد حالة بحضرة النبي ، حتىٰ إنهم يقولون إنَّ المريد إذا جاء المدينة النبويَّة يُسلبُ حاله ما دام فيها حتىٰ يُفارقها(١) .

* * *

(١) مقدمة ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ .

القسم الثاني

حول ما قيل عن نُبوّتهم في الجاهلية

١ ـ حنظلة بن صفوان

٢ ـ خالد بن سنان .

٣ ـ زيد بن عمر بن نفيل .

نُبُوةُ حَنْظَلة(*) بن صَفْوَان ـ والعَنْقاء

قال المسعودي : وقد كان بين المسيح ومحمد ﷺ في هذه الفترة جماعة من أَهل التوحيد وممَّن يُقرّ بالبَعثِ ، وقد اختلفَ النَّاسُ فيهم ، فمن النَّاس من رأىٰ أن منهم أَنبياء ، ومنهم من رأىٰ غير ذلك ؛ فمن ذُكر أنّه نبي : حنظلة بن صَفْوان ، وكان من ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل ، وأُرسل إلىٰ أصحاب الرَّس(1) ، وكانوا من ولد إسماعيل ؛ وهما قبيلتان ، يقال لإحدهما قَدمان ، والأخرىٰ يامِن ، وقيل رعويل (رعوائيل) وذلك باليمن فقام فيهم حَنْظَلة بن

(*) خزانة الأدب ٧/ ١٣٦ ، مروج الذهب ١/ ٧٢ ، المحبر ١٣١ ، وفيات الأعيان ٣/ ١٠١ معجم البلدان ٣/ ٥٠ وجاء في الكامل في التاريخ ٥/ ١٩٣ ولكي لا يقع التباس « حنظلة بن صفوان الكلبي من قادة هشام بن عبد الملك » (في سنة ١١٧هـ) فهذا غير ذاك .

(1) الرَّس : البئر ؛ قال أبو منصور : قال أبو إسحاق : الرَّس في القرآن : بئر . يروىٰ أنّهم قوم كذبوا نبيهم ورسوه في بئر أي دسوه فيها . قال ويروىٰ أن الرَّس قرية باليمامة يقال لها : فلج . وروي أن الرّس ديار لطائفة من ثمود ، وكل بئر رَسّ ، ومنه قول الشاعر :

تنــابيلــه يحفــرون الــرســاســا

وقال ابن دريد : الرَّس والرُّسَيْس بوزن تصغير وادياً بنجد أو موضعان ، وبعض هذه أرادت ابنة مالك بن بدر ترثي أباها إذ قتلته بنو عبس بن زهير فقالت :

إذا سجعــت بــالــرقمتيــن حمــامــة ... أو الــرَّس ، تبكــي فــارس الكتفــان

وقال زهير :

بكــرن بكــوراً واستحــرن بسُحــرةٍ ... فهــنَّ لــوادي الــرَّس كــاليــد للفــم

(معجم البلدان ٣/ ٥٠)

والرَّس في قول الله تعالىٰ : ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَـٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴾ سورة الفرقان آية/ ٣٨ .

وفي قوله تعالىٰ : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَـٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴾ سورة ق آية/ ١٢ .

صَفْوان بأَمرِ الله فقتلوه[1] .

حكىٰ الشيخُ أبو البقاء العُكْبري المذكور في « كتاب شرح المقامات » عند ذكر العنقاء أن أهل الرَّسِّ كان بأرضهم جبل يقال له « رمخ » صاعد في السماء قدر ميل وكان به طيور كثيرة ، وكانت العنقاء طائرة عظيمة الخَلْق ، طويلة العنق ، لها وجه إنسان وفيها من كل حيوان شَبه ، من أحسن الطير ، وكانت تأتي في السنة مرة هذا الجبل فتلتقط طيره ، فجاعت في بعض السنين وأعوزها الطير فانقضت علىٰ صبي فذهبت به ، فسميت « عنقاء مغْرِبا » لإبعادها بما تذهب به ، ثم ذهبت بجارية أخرىٰ ، فشكا أهل الرَّسِّ إلىٰ نبيهم حَنْظَلة بن صَفْوان فدعا عليها فأَصابتها صاعقة فاحترقتْ والله أعلم .

قلت : هذا حنظلة بن صفوان نبي أهل الرَّس ، كان في زمن الفترة بين عيسىٰ والنبي[2] ﷺ .

وجاء في المحبر ذكر من خلق مختوناً من الأنبياء ، بينهم حَنْظَلة بن صفوان نبي أهل الرَّس[3] .

وهناك روايات كثيرة حول العنقاء ، وهي من عجائب الدنيا ويضرب المثل بها لندرة وجودها لم يذكر حالياً بعد التطورات العظيمة التي حدثت في اكتشاف الغابات والصحارىٰ وعالم البحار عن أثر حي أو بائد لوجودها ، وربما مستقبلاً خاصة بعد أن عثر العلماء علىٰ عظام الديناصور في أماكن عدة من العالم ، هل يمكن أن تكون العنقاء محض خيال ورواية تناقلتها الأجيال ، بأنها تخطف الأطفال حتىٰ أنها خَطفتْ عَروساً ، كم كان حجمها وقوتها ؟[4] .

---

(١) مروج الذهب ١/ ٧٢ .
(٢) وفيات الأعيان ٣/ ١٠١ .
(٣) المحبر ١٣١ .
(٤) تعليق المؤلف عبد القادر فياض حرفوش .

قال القزويني : إنّه أعظم الطير جثّة ، وأكبرها خِلقه تخطف الفيل كما تخطف الحدأة الفأر ؛ وكانت قديماً بين الناس فتأَذَّوا منها إلىٰ أن سَلبت يوماً عروساً بحليها ، فدعا حنظلة[١] النبي فذهب الله بها إلىٰ بعض جزائر البحر المحيط وراء خط الاستواء وهي جزيرة لا يصل إليها الناس .

وقال الدَّميري في « حياة الحيوان » : هو طائر غريب تبيض بيضاً كالجبال وتبعد في طيرانها ، سمِّيت بذلك لأنَّه كان في عنقها بياض كالطوق[٢] .

وذكر أنها ظهرت بفلسطين ، ومصر ، وجزيرة العرب ، وكان خلقها معجزة من معجزات الله عز وجل . وقيل أنها تعيش حوالي ألفي سنة .

* * *

---

(١) ويذكر المسعودي الرواية نفسها وان النبي الذي دعا عليها هو خالد بن سنان . هل هناك عنقاء أخرىٰ وفي عصر آخر ربما ، ولكن المراجع تذكر حنظلة وهل التبس الموضوع علىٰ المسعودي حتىٰ ذكر الرواية نفسها لكل من خالد بن سنان صاحب نار الحرتين ، وحنظلة بن صفوان . انظر ترجمة خالد بن سنان في هذا الكتاب .

(٢) خزانة الأدب ٧/ ١٣٥ ، ١٣٦ .

نبوة خَالِدُ(*) بنُ سِنَانِ العَبْسي ـ ونَارُ الحرَّتَين(**)

هو خَالدُ بن سِنَان بن غَيْث[1] بن مُرَيْطة بن مَخْزُوم بن مَالك بن غَالب بن قُطَيعة بن عَبْس العَبْسي[2] .

أقول : وردت رواية خالد بن سِنَان في مراجع عدة وهي تخضع للزيادة والنقصان بين مرجع وآخر ، إنما رواية (نار الحَرَّتيْن) واحدة ، وكذلك قصة وفاته ووصيته . أما ابن الكلبي ذكر في جمهرة النسب/ ٤٤٣ بأن الذين كانوا مع خالد بن سِنَان في إطفاء (نار الحَدَثَانِ) عشرة وذكر بعضاً منهم فقال : « ومنهم أبو حُليل بن شَدَّاد بن مَالك بن زُهير الشاعر ؛ وسليط بن زهير كان أحد العشرة الذين قاموا مع خالد بن سنان في إطفاء (نار الحدثان) .

والمشهورة لخالد (نار الحَرَّتَيْن) التي أَطفأها وحدهُ دون مساعدة أحد ، وهنا أتساءل فهل يمكن أن تكون لنار الحدثان قصة ثانية ، أم كلتاهما واحدة ، أقول جاء في معجم البلدان ٥/ ٢٩١ : (حَرَّة النَّار) لبني عَبْس ، وجاء أيضاً في ٢/ ٢٦٢ : (الحدَثَانُ) بالتحريك وقد ذكرنا في أَجاءٍ أن الحَدَثَان أحد إخوة سلمىٰ لَحقَ بموضع الحَرَّة فأقام به فسمي الموضع باسمه قال ابن مقبل :

تَمنيتُ أن يَلقىٰ فَوارس عَامر ... بصحراء بين السود والحدثان

(*) المعارف ٦٢ ، الكامل في التاريخ ١/ ٣٧٦ ، الحيوان ٤/ ٤٧٦ ، أسد الغابة ٢/ ١٢٦ والاشتقاق ٢٧٨ ، خزانة البغدادي ٧/ ١٤٩ ، مروج الذهب ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٤٦ ، ١٣٥٠ ، جمهرة النسب لابن الكلبي ٤٤٩ ، جمهرة أنساب العرب ٢٥١ . ثمار القلوب ٢/ ٨٢١ .

(**) الحرة ، بالفتح : أرض ذات حجارة نخرة سود . والحرتان ، هما حرة ليلىٰ ، لبني مرة ، وحرة النار لغطفان ، كما في المزهر (٢/ ١١٩) أما حرة ليلىٰ فهي من وراء وادي القرىٰ من جهة المدينة . وحرة النار قريبة من حرة ليلىٰ قرب المدينة . (حاشية الحيوان ٤/ ٤٧٦ عن معجم البلدان) . وجاء في جمهرة النسب لابن الكلبي ٤٤٣ (نَارُ الحَدثَان) .

(١) وجاء في مروج الذهب ٦/ ٢٩٧ (خالد بن سنان بن غَيْث ـ والأصح : عَيْث) .

(٢) أسد الغابة ٢/ ١٢٦ .

وربما كانت نار الحَرَّتَيْن بموقع الحَدَثانِ ، لأن أَجأ وسَلمىٰ من ديار طيء وكانت طيء تُنفش بها إبلها من مسيرة ثلاث . أي كانت الإبل ترعىٰ علىٰ ضوء النار المشتعلة والتي ترتفع إلىٰ عنان السماء .

وبعد هذا التوضيح سأورد رواية الجاحظ التي تدور حول خالد بن سِنان ونبوته فقال : نار الحَرَّتَين : وهي نار خالد بن سِنَان ، أحد بني مَخْزُوم ، من بني قُطَيعَةَ بن عَبْس . ولم يكن في بني إسماعيل نبيٌّ قبلَهُ . وهو الذي أطفأ الله به نار الحَرَّتين ، وكانت بلاد بني عبس ، فإذا كان اللَّيلُ فهي نار تسطَعُ في السَّماء ، وكانت طيِّءٌ تُنْفُشُ بها إبلها من مسيرة ثلاث . وربما ندَرَتْ منها العُنُق فتأتي علىٰ كلِّ شيء فتحرقُه ، وإذا كان النهارُ فإنما هي دخانٌ يفور ، فبعث الله خالد بن سِنانٍ فاحتفرَ لها بئراً ، ثمّ أدخلها فيها ، والنَّاس ينظرون ؛ ثمَّ اقتحم فيها حتىٰ غيَّبها . وسمع بعض القوم وهو يقول : « هَلكَ الرَّجُلُ ! فقال خالد بن سِنان » : كذب ابن راعية الماعز ، لأخرجنّ منها وجبيني يَنْدَىٰ[1] ! .

أما ابن الأثير فقال عن خالد بن سِنان ، قيل : كان نبيّاً وكان من معجزاته أنّ ناراً ظهرت بأرض العرب فافتتنوا بها وكادوا يتمجسون ، فأخذ خالد عصاه ودخلها حتىٰ توسّطها ففرّقها، وهو يقول: بَدّا بَدّا، كلّ هدي مؤدّىٰ، لأدخلنها وهي تلظىٰ ولأخرجنّ منها وثيابي تندىٰ ثمّ إنها طفئت وهو في وسطها[2] .

وإنني أسال نفسي عن ماهية هذه النار التي وقعت قبل الإسلام ولم يتطرق لبيان أسبابها أحد ، واعتبر إطفاء تلك النار معجزة لخالد بن سِنان ، وقيل عنه نبي .

أ ـ هل كانت حين ذاك غابات فاحترقت ؟ .

ب ـ هل انفجر بركان وبقي يقذف حممه لأيام عدة ففي الليل يضيء وفي النهار ينفث الدخان ؟ .

---

(١) الحيوان ٤/ ٤٧٦ . وجبيني يندىٰ : أي عليه ندىٰ العرق ، كناية عن سلامته من أذىٰ النار ولفحها .

(٢) الكامل في التاريخ ١/ ٣٧٦ . ومروج الذهب ١/ ٧٥ .

جـ ـ هل إنساح النفط فوق سطح الأرض فاشتعل بفعل حرارة الشمس ، أو بفعل إنسان أوقد ناراً فاشتعل السائل اللزج ؟ .

ربما لأن الروايات تذكر بأن خالداً حفر بئراً لها ، أي للنار ثم أدخلها فيها والناس ينظرون ، ثم اقتحم فيها حتىٰ غيَّبها . ورواية ابن الكلبي ومعه من أعانه علىٰ ذلك .

وفاته :

فلمَّا حضرته الوفاة ، قال لقومه : إذا أنا متُّ ثمَّ دفنتموني ، فأحضُروني بعد ثلاثٍ ؛ فإنَّكم تَرَوْنَ عَيراً أبترَ يطوف بقبري ، فإذا رأيتم ذلك فانبشوني ؛ فإني أخبرُكم بما هو كائن إلىٰ يوم القيامة. فاجتمعوا في اليوم الثالث، فلما رأوا العَيْرَ وذهبوا ينبشونه ، اختلفوا ، فصاروا فرقتين ، وإبنه عبدُ الله في الفِرقة التي أَبَتْ أن تنبشه، وهو يقول: لا أفْعَلُ! إني إذاً ادْعىٰ ابن المنبوش! فتركوه[1] .

أقول : لماذا لم ينبئ أو يخبر بما هو كائن إلىٰ يوم القيامة عندما كان حيّاً ، ولو تشكلت القناعة عند أولاده بأن يخرجوه من قبره فيجدوه حيّاً بينهم لفعلوا وسمعوا منه ، ولتجاوزوا ما قد يلحق بهم من أنهم أبناء المنبوش . وربما قد تكلم هو بهذا الكلام وكانت الحمىٰ شديدة عليه ترعد في أنحاء جسمه كافة وتقض مضجعه ، أو نسب إليه ذلك وتناقل الرواة ما سمعوا .

قدوم ابنته علىٰ النبي ﷺ :

ويروىٰ أن ابنته قدمت علىٰ النبي ﷺ فَبسطَ لها رِداءَه وقال : « هَذِهِ ابنةُ نَبيٍّ ضيَّعهُ قَومُه » قال : وسَمِعتْ سورة : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقالت : قد كان أبي يتلو هذه السورة[2] .

وجاء أيضاً :

---

(١) الحيوان ٤/ ٤٧٧ . وفي مروج الذهب ١/ ٧٥ « .... فإني سأخرج إليكم فأخبركم بجميع ما هو كائن بعد الموت وأحوال البرزخ والقبر » .

(٢) المصدر نفسه ٤/ ٤٧٧ .

وسَمِعَتْ سورة الإخلاص فقالت : كان أبي يتلو هذه السُّورَة[1] .

وقال ابن الأثير :

إنَّ النبيّ ﷺ، قال فيه : «ذلك نبيّ ضيّعه قومه» وأتت ابنته النبي ﷺ فآمنت به كذا قيل إنه آخر الحوادث أيام ملوك الطوائف ، ولا وجه له ، فإن من أدركت ابنته النبي ﷺ يكون بعد اجتماع المُلك لأردشير بن بابك بدهر طويل[2] .

وقال ابن عبَّاس :

ووردت ابنةٌ له عجوز قد عُمِّرت على النبي ﷺ فتلقَّاها بخير وأكرمها فأسلمت وقال لها : « مرحباً بابنة نبيّ ضيّعه أهله ! » .

قال شاعر بني عبس :

بَني خالد لو أنَّكم إذ حَضرتُمُ ... نَبَشْتُم عن الميْت المُغَيَّب في القَبْرِ
لأَبْقىٰ لكم في آل عَبسٍ ذَخيرةً ... من العِلم لا تُبلىٰ إلىٰ آخرِ الدهرِ[3]

قال ابن عبَّاس :

وكان خالد بن سِنَان نبيّ بني عَبْس مبشِّراً برسول الله ﷺ[4] .

وأورد المسعودي رواية عن طير العنقاء التي كانت تعيش في فلسطين وتتغذىٰ علىٰ وحوش بيت المقدس ، وانتقل هذا الطائر فوقع بنجد والحجاز في بلاد قيس عيلان ، فلم يزل هنالك يأكل من الوحوش ويأكل الصبيان وغير ذلك من البهائم إلىٰ أن ظهر نبي من بني عَبْس بين عيسىٰ ومحمَّد يقال له : خالد ابن سِنان ؛ فشكا إليه الناس ما كانت العنقاء تفعل بالصبيان ، فدعا الله عليها أن يقطع نسلها ، فقطع الله نسلها فبقيت صورتها تحكىٰ في السُبط وغيرها .

---

(١) ثمار القلوب ٢/ ٨٢٢ .

(٢) الكامل في التاريخ ١/ ٣٧٦ .

(٣) مروج الذهب ٢/ ٣٧٠ .

(٤) المصدر نفسه ٢/ ٣٦٩ .

وقد ذهب جماعة من ذوي الدراية إلىٰ أنّ قول الناس في أمثالهم « عنقاء مغرب » إنَّما هو للأمر العجيب النادر وقوعه ؛ وقولهم : جاء فلان بعنقاء مغرب ، يريدون أَنَّه جاء بأمر عجيب ؛ قال الشاعر :

وصبحهم بالجيش عنقاء مغرب

والعَنَق : السرعة[1] .

رأي الجاحظ :

والجاحظ هنا يذكر آراء أصحاب المنطق وهو بينهم أو يتكلم عنهم حول ما ذكر عن نبوة خالد بن سنان فيقول :

والمتكلِّمون لا يؤمنون بهذا ، ويزعمون أنَّ خالداً هذا كان أعرابياً وبَريّاً من أهل شَرْجٍ[2] ونَاظرة ، ولم يبعث الله نبيّاً قطُّ من الأعراب ولا من الفدَّادين[3] أهل الوَبَرِ ، وإنما يبعثهم من أهل القرىٰ ، وسُكَّان المُدُنِ .

وقال خُلَيْدُ عَيْنَيْنِ[4] :

وأي نبـيٍّ كـان فـي غيـر قَـوْمـهِ وَهَلْ كان حُكْمُ اللهِ إلاَّ مَع النَّخْلِ[5]

وقاله أيضاً :

كَنـارِ الحَـرَّتَيـنِ لهـا زفيـرٌ[6] يُصِـمُّ مَسـامِـعَ الـرَّجُـلِ السَّمِيـعِ[7]

---

(١) المصدر نفسه ٢/ ٣٦٩ . لقد أورد المسعودي الرواية نفسها ونسبها لحنظلة بن صفوان انظر ترجمته في هذا الكتاب .

(٢) شَرْج ونَاظِرة : ماءان لبني عبس بنجد من أرض العالية « معجم البلدان ٥/ ٢٩٣» .

(٣) الفدادون : أهل الوبر ، أي الذين يعيشون في بيوت من وبر الإبل وهم أهل البادية .

(٤) عينين : قرية بالبحرين نسب إليها خليد .

(٥) يقوله لجرير في قصيدة يهجوه بها ويرد عليه .

(٦) زفير النار : صوت توقدها واضطرامها . ورد هذا البيت في ثمار القلوب ٢/ ٨٢٠ وفي الأوائل ١/ ٣٨ ، ٣٩ وشرح شواهد المغني للسيوطي ١/ ٣١٠ . وفي الحيوان ٤/ ٤٧٨ بلا نسبة (حاشية الثمار) .

(٧) الحيوان ٤/ ٤٧٨ .

أقول : إن اختيار الأنبياء والمرسلين هي خصوصية من خصوصيات الإله عز وجل ، حتىٰ أن اصطفاءهم هو معجزة بحد ذاته ، فهذا الأمر لا يتعلق بطبقة معينة من الناس ، فالله خالق الخلق عالم السر والعلن وحده صاحب الأمر في الأنبياء والمرسلين وفي كل أمر[1] .

وفي رواية ابن كثير جاء :

قال ابن عبَّاس أنَّ رجلاً من عَبْسٍ يُقالُ له : خالدُ بن سِنَانٍ. قال لقومه : أنا أُطْفِيءُ عنكم نارَ الحَدثانِ. فقال له رجُلٌ من قومه[2] : واللهِ يا خالدُ، ما قُلْتَ لنا قطُّ إلاّ حقّاً، فما شأْنُكَ وشأنُ نار الحَدثانِ تَزْعُمُ أَنَّك تُطْفِئُها ؟

فخرج خالدٌ ومعه أُناسٌ من قَومِه، فيهم عُمارةُ بن زيادٍ ، فأتوها ، فإذا هي تخرجُ من شقِّ جَبَلٍ ، فخط خالدٌ خِطَّةً ، فأجْلَسهم فيها ، فقال : إنْ أبطأتُ عليكم ، فلا تَدعُوني باسمي ، فَخَرَجَتْ كأنَّها خَيْلٌ شُقْرٌ ، يَتْبَعُ بعضُها بعضاً ، فاستقبلها خالدٌ فجعل يَضْرِبُها بعصاهُ ، وهو يقولُ : بَدا بَدا كلُّ هُدى مردا، زَعم ابن راعيـة المِعْزَىٰ أَنِّي لا أَخْرُجُ منهـا وثيـابي تَنْدَىٰ . حتَّىٰ دخـل معهـا الشَّقَّ ، فأبطأ عليهم ، فقال لهم عُمارةُ بن زياد : واللهِ إنَّ صاحبكم لو كان حيّاً لقد خرج إليكم بعدُ . قالوا : فادْعُوه باسمه . قال : فقالوا : إنَّه قد نَهانا أن نَدْعُوَهُ باسمه . فدَعَوْهُ باسمه ، فخرجَ وهو آخذٌ برأْسِه ، فقال : ألم أَنْهَكُم أن تَدْعُوني باسمي ، فقد والله قَتَلْتُموني ، فادْفِنُوني ، فإذا مرَّت بكم الحُمُرُ فيها حِمارٌ أَبْتَرُ فانْبِشُوني ، فإنكم تجدوني حيّاً . فدَفَنُوه ، فمرَّت بهم الحُمُرُ فيها حِمارٌ أَبْتَرُ . فقلْنَا : انْبِشُوه ؛ فإنَّه أمَرَنا أن نَنْبُشَهُ . فقال لهم عمارةُ : لا تَنْبُشُوهُ ، لا والله لا تُحدِّثُ مُضَرُ أنَّا نَنْبُشُ مَوْتانا[3] .

---

(١) المؤلف عبد القادر فياض حرفوش .

(٢) عمارة بن زياد ـ حاشية البداية ٢٤٩ .

(٣) البداية والنهاية ٣/ ٢٤٩ ـ لقد ذكرت رواية ابن كثير لما فيها من اختلاف عن الروايات التي أوردتها وبذلك تكون الصورة قد أصبحت واضحة حول خالد ابن سنان .

زَيْدُ[*] بن عَمْرو بن نُفَيْل

هو زيد بن عمرو بن نُفَيْل بن عبد العُزَّىٰ . . . العدوي[1] ، وأمّه : حيّة بنت جابر بن أبي حبيب بن مالك بن نصر بن حَرام بن نَصر بن عامر بن سُلَيم بن سَعْد بن قيس بن فَهْم ، وأخَواهُ لأُمِّه : الخطَّابُ ، وعبدُ نُهم ، ابنا نُفَيل ؛ كان عمرو بن نُفَيْل خَلف عليها بعد أبيه .

كان زَيْدُ بن عَمْرو بن نُفَيْل قد ترك عبادة الأوثان ، فكان لا يأكل ما ذُبح لغير الله ؛ وكان يقول : « يا مَعشر قُريش ، أرسَلَ اللهُ قَطْر السماءِ ، وأَنْبَتَ بقل الأرض ، وخلق السائمة ورَعتْ فيه ، وتذبحونها لغير الله ؟ والله ما أعلم علىٰ ظهر الأرض أحداً علىٰ دين إبراهيم غيري » ويستقبل الكعبة ثمَّ يقول :

أَنْفـي لِـرَبِّ البيْـتِ عَـانٍ رَاغِـمُ ... مَهْمَـا يُجَشِّمْنـي فـإِنِّـي جـاشِـمُ
عُـذْتُ بِمَـا عـاذَ بِـهِ إِبْـرَاهيـمُ ... مُسْتَقْبِـلُ الكَعْبَـةِ وهـو قَـائِـمُ

وقال أيضاً :

فَـلا العُـزَّىٰ أدينُ ولا ابْنَتَيْهـا ... وَلاَ صَنَمَـيْ بَنـي طَسْـمٍ أَديـنُ

وقال أيضاً :

أَرَبّـاً وَاحـداً أَمْ أَلْـفَ رَبٍّ ... أَدِيـنُ إذا تُقَسَّمَـتِ الأُمـورُ
أَلَـمْ تَعْلَـمْ بِـأَنَّ اللهَ أَفنـىٰ ... رِجـالاً كـان شَـأْنَهُـمُ الفُجُـورُ
وأَبْقـىٰ آخـريـنَ بِبَـرِّ قَـوْمٍ ... فَيَـرْبُـو مِنْهـمُ الطِّفْـلُ الصَّغيـرُ

(*) تاريخ الطبري ٢/ ٢٩٥ ، الكامل في التاريخ ١/ ٥٩٣ ، ٦١٦ ، ٢/ ٤٦ ، جمهرة النسب ١٠٥ جمهرة أنساب العرب ١٥٠ نسب قريش ٣٦٤ . تاريخ الخلفاء ٥٢ .

(١) جمهرة النسب ١٠٥ وكذلك ورد نسبه في نسب قريش وجمهرة أنساب العرب .

رَأيْنَـا المَـرْءَ يَعْثُـرُ ذاتَ يَـومٍ   لَمَـا يَتَـرَوَّحُ الغُصْـنُ المَطيـرُ[1]

وسُئل رسولُ ﷺ عن زَيد ؛ فقال : « يُبْعَثُ يومَ القيامة أُمَّة وَحْدَهُ »[2] .

إخباره عن نبي سيأتي :

قال الطبري : كانت الأمم تتحدّث بمبعثه وتخبر علماء كلّ أمة منها قومها بذلك[3] . أي عن مبعث النبي محمد ﷺ .

قال عامر بن ربيعة : سمعتُ زَيْد بن عَمرو بن نُفَيل يقول : أنا أنتظِر نبيّاً من ولد إسماعيل ، ثم من بني عبد المطلب ولا أراني أدركه ، وأنا أومن به وأصدّقه ، وأشهد أنه نبيّ ، فإن طالت بك مدة فرأيته ، فأقرئه مني السلام ، وسأخبرك ما نَعْتُه حتىٰ لا يخفىٰ عليك ! .

قلت : هَلمّ .

قال : هو رجل ليس بالقصير ولا بالطويل ، ولا بكثير الشعر ، ولا بقليله ، وليست تفارق عينيْه حمرة ، وخاتم النبوة بين كتفيْه ، وإسمه أحمد ، وهذا البلد مولِدُه ومبعثه ، ثم يخرجه قومه منها ، ويكرهون ما جاء به ، حتىٰ يهاجر إلىٰ يثرب فيظهر أَمرُه ؛ فإيّاك أن تُخدَعَ عنه ، فإنّي طُفْت البلاد كُلها أطلب دين إبراهيم ، فكل من أسأل من اليهود والنصارىٰ والمجوس يقولون : هذا الدين وراءك ، وينعتونه مثل ما نَعَتُّه لك ؛ ويقولون : لم يبق نبيٌّ غيره .

قال عامر : فلمّا أسلمتُ أخبرتُ رسول الله ﷺ قول زَيْد بن عَمرو وأقرأته

---

(١) نسب قريش ٣٦٤ ، ٣٦٥ . كما وردت القصيدة بكاملها في سيرة ابن هشام ١/ ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، مع قصائد أخرىٰ .

(٢) نسب قريش ـ ٣٦٥ .

(٣) الطبري ٢/ ٢٩٥ .

منه السلام ، فرد عليه رسول الله ﷺ وترحم عليه وقال : رأيتُه في الجنة يسحبُ ذيولا [١] .

قال أبو بكر الصديق : كنت جالساً بفناء الكعبة ، وكان زَيْد بن عَمرو بن نُفَيْل قاعداً ، فمرّ به أُميّة بن أبي الصَّلْت ، فقال : كيف أصبحت يا باغي الخير ؟ قال : بخير ، قال : وهل وجدت ؟ قال : لا فقال :

كــلُّ ديــنٍ يــومَ القيــامــةِ إلاّ ... مــا مضـىٰ فــي الحنيفيّــة بُــورُ

أما إنّ هذا النّبيّ الذي يُنتظر منا أو منكم ، قال : ولم أكن سمعتُ قبل ذلك بنبيٍّ يُنتظر ويُبعث ، قال : فخرجت أُريد ورقة بن نوفل ـ وكان كثير النظر إلىٰ السّماء ، كثير همهمة الصّدر ، فاستوقفته ثم قصصت عليه الحديث ، فقال : نعم يا ابن أخي ، إنّا أهل الكتب والعلوم ، ألا إن هذا النبي الذي يُنتظر من أوسط العرب نسباً ـ ولي علم بالنّسب ـ وقومُك أوسط العرب نسباً .

قلت : يا عم وما يقول النّبيّ ؟ قال : يقول ما قيل له ، إلاّ أنّه لا يَظلم ، ولا يُظلم ، ولا يُظالم ، فلما بُعث الرسول ﷺ آمنت به وصدّقته [٢] .

مُعتقد زَيْد بن عَمْرو :

قال ابن إسحاق : وأمّا زَيْد بن عَمرو بن نُفيل فوقف فلم يدخل في يهوديّة ولا نَصْرانية ، وفارق دين قومه ، فاعتزل الأوثان والميتة والدم والذبائح التي تُذبح علىٰ الأوثان [٣] ، ونهىٰ عن قتل الموءودة [٤] ، وقال : أعبدُ ربَّ إبراهيم وبادىٰ قومه بعيب ما هم عليه .

---

(١) الطبري ٢/ ٢٩٦ وفي الكامل بالتاريخ ٤/ ٤٦ ، ٤٧ الرواية نفسها .

(٢) تاريخ الخلفاء ٥٢ .

(٣) انظر حاشية السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٢٢٥ ، شرح شرحاً مطولاً حول ذلك .

(٤) كان زيد ـ فيما يقال ـ يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته : لا تقتلها ، أكفيك مئونتها ، فيأخذها ، فإذا ترعرعت قال لأبيها : إن شئت دفعتها إليك وإن شئت كفيتك مئونتها .

قال ابن إسحاق : وحدثني هشام بن عُروة عن أبيه ، عن أُمِّه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت : لَقَدْ رأيت زَيْد بن عَمرو بن نُفيل شَيخاً كبيراً مُسنداً ظهره إلىٰ الكعبة ، وهو يقول يا معشر قريش ، والذي نفسُ زَيْد بن عَمرو بيده ، ما أصبح منكم أحدٌ علىٰ دين إبراهيم غيري ، ثم يقول : اللَّهمَّ لو أني أعلم أي الوجوه أحب إليك عَبدتك به ، ولكني لا أعلمه ، ثم يسجد علىٰ راحته[1] .

قال ابن إسحاق : وحُدّثت أن ابنَه سعد بن زَيْد بن عَمرو بن نُفيل ، وعُمر بن الخطاب ، وهو ابن عمِّه قالا لرسول الله ﷺ : أنستغفر لِزَيْد بن عمرو ؟ .

قال : نعم ، فإنه يُبعث أمةً وحدَه[2] .

زيد بن عمرو بن نُفَيل والكعبة :

قال ابن إسحاق : وحُدثت عن بعض أهل زَيْد بن عَمرو بن نُفَيل ، أن زيداً كان إذا استقبل الكعبة داخل المسجد ، قال لبَّيك حقاً حقا ، تَعبُّداً ورِقا .

عُـذْتُ بمـا عَـاذَ بـهِ إبـراهيـمْ   مُستقبـلَ القبلـة وهـو قـائـم

إذ قال :

أنْفـي لـك اللَّهُـمَّ عـانٍ راغـمْ   مهمـا تُجشِّمني فـإني جـاشـم[3]

البرَّ أبْغِىٰ لا الخال[4] ، ليس مُهَجِّر[5] كمن قال .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(٢) سيرة ابن هشام/ ٢٢٦ .

(٣) العاني : الأسير . وتجشمني : تكلفني .

(٤) الخال : الخيلاء والكبر .

(٥) المهجر : الذي يسير في الهاجرة ، أي القائلة ، وقال يقيل : إذا نام في القائلة ، أي ليس من هجر كمن آثر الراحة في القائلة والنوم .

قال ابن هشام : ويقال : البرُّ أبقىٰ لا الخال ، ليس مهجِّر كمن قال .

قال وقوله : « مستقبل الكعبة » عن بعض أهل العلم .

وقال زَيْد بن عَمرو بن نُفيل شعراً يدل علىٰ إيمانه وعلمه :

وأسلمتُ وَجْهي لمن أَسْلَمتْ ... له الأرضُ نحمِلُ صخراً ثِقالاَ

دَحَاهَا فلمَّا رآها اسْتَوَت ... علىٰ الماءِ أرسىٰ عليها الجِبالاَ[1]

وأسلمتُ وَجْهي لمن أسلمتْ ... له المُزْنُ تحمل عَذباً زُلالاَ[2]

إذا هي سِيقتْ إلىٰ بلدةٍ ... أَطاعَتْ فَصَبَّتْ عليها سِجالاَ[3]

منع زيد بن عمرو بن نفيل من مغادرة مكة :

قال ابن إسحاق : وكان زيد بن عمرو قد أجمع الخروجَ من مكة ليضرب في الأرض يطلب الحنيفية دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، فكانت صَفيَّة بنت الحضرمي (زوجه) كلَّما رأته قد تهيأ للخروج وأراده آذنت به الخطَّاب بن نُفَيل ، وكان الخطَّاب بن نُفيل عمه ، وأخاه لأمه ، وكان يُعاتبه علىٰ فراق دين قومه ، وكان الخطّاب قد وكَّلَ صفيّة ، وقال : إذا رأيتيه قد همَّ بأمرٍ فآذنيني به[4] .

وقال زيد بن عمرو بن نفيل يعاتب امرأته صفية بنت الحضرمي :

لا تحبسيني في الهوا ... ن صَفيَّ ما دابي ودابُهْ[5]

إنّي إذا خِفْتُ الهَوا ... نَ مُشَيَّعٌ ذُلُلٌ رِكابُهْ[6]

---

(١) دحاها : بسطها . وأرسىٰ : أثبت عليها وثقلها بها .

(٢) المزن : السحاب ؛ وقيل الأبيض منها .

(٣) السجال : جمع سجل ، وهي الدلو المملوءة ماء ، فاستعارها لكثرة المطر .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٢٢٩ .

(٥) الدأب : العادة . وسهلت همزته للقافية .

(٦) المشيع : الجري الشجاع ، والذلل : السهلة قد ارتاضت .

دُعمـــــوص أبـــــواب المُلـــــو ك وَجَـائـــبٌ للْخَـرقِ نَـابُـهْ [1]
وأخــــي ابـــن أُمِّـــي ثـــم عَمْـ ـــي لا يُـــواتينـــي خِطَـابُـهْ [2]

وكان الخطاب قد آذىٰ زَيْداً ، حتىٰ أخرجه إلىٰ أعلىٰ مكة ، فنزل حِراء[3] مقابل مكة ، ووكَّل به الخطابُ شباباً من شباب قريش ، وسُفهاء من سُفهائها ، فقال لهم : لا تتركوه يدخل مكة ؛ فكان لا يدخلها إلا سرّاً منهم ، فإذا علموا بذلك آذنوا به الخطّاب فأخرجوه وآذوْه كراهيةَ أن يُفْسد عليهم دينَهُم ، وأن يُتابعه أحدٌ منهم علىٰ فِرَاقه . فقال وهو يُعظِّم حُرمته علىٰ من استحلّ منه ما استحلّ من قومه :

لا هُـــمَّ إنـــي مُحـــرِمٌ لا حِلَّـــهْ وإنّ بَيتـــي أوســـط المَحلَّـــهْ [4]
عنـد الصَّفـا ليـس بـذي مَضلَّـهْ

ذهاب زَيْد إلىٰ العراق والشام :

ثم خرج يطلب دين إبراهيم عليه السلام ، ويسأل الرهبان والأحبار ، حتىٰ بلغ الموصل والجزيرة كلَّها ، ثم أقبل فجال الشَّام كلَّه ، حتىٰ انتهىٰ إلىٰ راهب بميفعة[5] من أرض البلقاء[6] ، كان ينتهي إليه عِلمُ أهل النَّصرانية فيما يزعمون ، فسأله عن الحنيفيّة دين إبراهيم ؛ فقال : إنك لتطلب ديناً ما أنت

---

(١) الدعموص : دويبة تغوص في الماء مرة بعد مرة ، يشبه بها الرجل الذي يكثر الولوج في الأشياء . يريد ولا جافىٰ أبواب الملوك ، وأنه يكثر الدخول عليهم .

(٢) لا يواتيني : لا يوافقني . انظر القصيدة كاملة في السيرة النبوية ١/ ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

(٣) حراء (بكسر الحاء المهملة والمد) : جبل بينه وبين مكة نحو ثلاثة أميال ، علىٰ اليسار الذاهب إلىٰ منىٰ .

(٤) محرم : ساكن بالحرم . والحلة : أهل الحل ، يقال للواحد والجمع : حلة .

(٥) الميفعة بفتح الميم : الأرض المرتفعة .

(٦) البلقاء : كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرىٰ قصبتها عَمَّان وفيها قرىٰ كثيرة ومزارع واسعة (معجم البلدان) ١/ ٥٧٩ .

بواجد مَنْ يحملك عليه اليومَ ، ولكن قد أضلَّ زمانَ نبيّ يخرج من بلادك التي خرجت منها ، يُبعث بدين إبراهيم الحنيفيَّة ، فالحق بها ، فإنه مبعوثٌ الآن ، هذا زمانه ، وقد كان شامَّ[1] اليهودية والنَّصرانية ، فلم يَرْضَ شيئاً منهما ، فخرج سريعاً ، حين قال له ذلك الراهب ما قال ، يريد مكة ، حتىٰ إذا توسَّط بلاد لخم عَدوْا عليه فقتلوه فقال ورقة بن نوفل بن أسد يبكيه :

رَشدتَ وأَنْعَمْتَ ابنَ عمروٍ وإنَّما ... تَجَنَّبْتَ تَنُّوراً من النَّارِ حاميَا[2]
بِـدِينـكَ ربّـاً ليـس ربٌّ كمثلـهِ ... وَتركِكَ أَوْثانَ الطَّواغي كما هِيا[3]
وإدراكـك الـدِّيـنَ الـذي قـد طَلَبْتَـهُ ... ولمْ تَكُ عن تَوْحيدِ ربِّكَ سَاهيا
تُـلاقـي خَليـلُ الله فيهـا ولـمْ تَكُـنْ ... من النَّاس جَبَّاراً إلىٰ النارِ هاويا[4]

قال ابن هشام : يُروىٰ لأميَّة بن أبي الصلت البيتان الأوّلان منها .

كان زيد يخالف قومه في دينهم ، هم يشركون ويعبدون الأصنام ، ويضطهدونه ، وهو يبحث عن حقيقة توارثها في ذاكرته هو دين الحنيفية دين إبراهيم ، أينما ذكروا له من يرشده إلىٰ هذا الدين ، وجه مسيِّره إليه ربما واصل الليل بالنهار ما بين العراق والشام مخلفاً مكة وراءه ، وما أن قيل له سيظهر أو ظهر نبيٌّ بين ظهرانيكم حتىٰ عاد إليها مسرعاً ليبارك الدعوة ويشارك فيها ويؤيد رسولها ، ولكن اللصوص عَدوا عليه وقتلوه في أرض لخم ولم يمهلوه فغدروا به ، وذُكر للنبي ﷺ وذكره علىٰ أحسن صورة ، وهو من رجال الجاهلية الذين كان قلبهم يعمر بالإيمان ، وكفاه شهادة النبي محمد ﷺ وسجل التاريخ إسمه بأحرف من نور .

---

(١) شامَّ : استخبر ، استعارة من الشم .
(٢) أنعمت : أي بالغت في الرشد .
(٣) الطواغي : جمع طاغية ، وهو هنا : ما عبد من دون الله .
(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٢٣٢ .

ولم يُقبل زيد علىٰ عبادة الأوثان ولم يعتنق أياً من الديانتين اليهودية أو النصرانية في ذاك العصر ، إنما كان ينتظر ديناً جديداً يُبشر الناس به في كل عصر إلىٰ أن ظهر فجر الإسلام علىٰ العالم دين الرحمة والإنسانية ونزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين[1] .

* * *

(١) تعليق المؤلف عبد القادر فياض حرفوش .

القسم الثالث

المتنبؤون في صدر الإسلام

١ ـ أسد بن كرز .

٢ ـ الأسود العنسي .

٣ ـ الفجاءة بن عبد ياليل .

٤ ـ أمية بن أبي الصلت .

٥ ـ سجاح التميمية .

٦ ـ سواد بن قارب .

٧ ـ طليحة الأسدي .

٨ ـ مسيلمة بن ثمامة بن حبيب (الكذاب) .

٩ ـ دور عبد الله بن سبأ ـ ابن السوداء .

أسد[*] بن كُرز

رَبُّ بَجيلة :

هو أَسَدُ بن كُرْز بن عَامر بن عَبد الله بن عَبد شمس بن غَمْغَمة بن جَرير بن شِقّ[1] . ولأَسد صُحبة ، وكان أَسَدُ يُدعىٰ في الجاهلية رَبّ بجيلة ، وكان ممن حرّم الخمر في جاهليته تنزهاً عنها ، وله يقول القائل : القتَّال السُّحَمي :

فـأبلِـغْ ربَّنـا أسـدَ بـن كُـرْزٍ　　　بـأنَّ النَـأْيَ لـم يَـكُ عـن تقـالـي

وله يقول القتَّال يعتذر :

فـأبلِـغْ ربَّنـا أسـدَ بـن كُـرْزٍ　　　بـأنـي قـد ضَللـتُ ومـا اهتـدَيْـتُ

وله يقول تأبط شراً :

وجـدتُ ابـنَ كُـرزٍ تستهـلّ يمينـه　　　وَيُطلـق أَغْـلالَ الأسيـر المُكبَّـلِ[2]

وكان أسد بن كُرز شاعراً فاتكاً مغواراً قال لبني سُحمة :

ألا أَبلِغـا أبنـاء سُحمـة كلّهـا　　　فتـىٰ خثعـم عنـي وذلٌّ لِخثعَـمُ

فمـا أَنتـمُ منـي ولا أنـا منكـمُ　　　فـراش حـريـق العَـرفـجِ المُترنِّـمِ[3]

وأدرك أسد بن كرز وابنه يزيد الإسلام فأسلما .

(*) جمهرة أنساب العرب ٣٨٨ ، الإصابة ١/٢٠٦ أسد الغابة ١/٢٠٣ والأغاني ٢٢/٧ نهاية الأرب ١٧١ .

(١) أغاني ٢٢/٧ ، وجمهرة أنساب العرب ٣٨٨ . وفي الإصابة « ابن صَعْب البَجَلي ثم القَسْري » جد خالد أمير العراق .

(٢) أغاني ٢٢/٧ .

(٣) أغاني ٢٢/٨ .

وكان أسد قد أنجد جرير بن عبد الله البجلي علىٰ قضاعة ، فقال الشاعر جعدة بن عبد الله الخزاعي يذكر ذلك :

تـدارك ركـضُ المـرءِ مـن آل عبقـرٍ جـريـراً وقـد رانـت عليـه حـلائبُـهْ
فنفّس واسْتَرْخىٰ به العَقْدُ بَعْدَما تغشّـاهُ يـومٌ لا تُـوارىٰ كـواكبُـهْ
وقـال ابـنُ كُـرزٍ ذو الفعَـال بِنَفْسـهِ ومـا كنـت وصّـالاً لـه إذ تُحـارِبُـهْ
إلـىٰ أسـدٍ يـأوي الـذَّليـلُ ببيتـهِ ويلجـأُ إنْ أعيـتْ عليـهِ مـذاهبُـهْ
فتـىً لا يَـزَال الـدَّهـرَ يحمـلُ مُعظمـا إذا المُجْتَدي المسؤول خنّتْ رَواجبُهْ [١]

لقد أوردت اسم أسد بن كُرز البجلي لأنهم كانوا ينادونه في الجاهلية (ربّنا) ولتوضيح ذلك جاء في لسان العرب :

الرَّبُّ : هو الله عز وجل ، هو ربُّ كلِّ شيءٍ ، أي مالكه ، وله الرُّبوبيّة علىٰ جميع الخلق ، لا شريك له ، وهو رَبُّ الأرباب ، ومالك الملوك والأملاك .

ولا يقال الربُّ في غيرِ الله ، إلا بالإضافة .

ويقال الرَّبُّ ، بالألف واللام لغيرِ الله ؛ وقد قالوه في الجاهلية للمَلكِ ؛ قال الحارث بن حِلزّة :

وهـو الـرَّب ، والشَّهيـدُ علـىٰ يَـوْ مِ الحيـارَيْـنِ ، والبَـلاءُ بَـلاءُ

وربُّ كلِّ شيءٍ : مالكه ومُستحقُّه ؛ وقيل : صاحبُه . ويقال : فلانٌ رَبُّ هذا الشيء أي مِلْكُه له . وكلُّ من ملك شيئاً ، فهو ربُّه . يقال : هو رَبُّ الدابةِ ، ورَبُّ الدارِ ، وفلانٌ ربُّ البيت . . . . وأنشد المفضل :

وقـد عَلـمَ الأقـوالُ أنْ ليـسَ فـوقـه رَبٌّ ، غيرُ مَنْ يعطي الحُظوظَ ، ويَرْزُقُ

والرَّبيبُ : الملك ؛ قال امرؤ القيس :

---

(١) أغاني : ٢٢/ ١٠ .

فمـا قـاتلُـوا عـن رَبِّهـم ورَبيبهـم   ولا آذَنُوا جاراً ، فيظعنَ سَالما[1]

وبذلك تكون الصورة قد توضحت ، وأن أسد بن كُرز لم يدع الألوهية ، وإنما كانت كلمة ربنا في الجاهلية تقال للملوك من باب التعظيم والتبجيل لهم .

* * *

(١) لسان العرب مادة (رب) .

الأسود[*] العنسي

ومن بني عَنْس : الأَسْودَ المُتَنبِّي باليَمن واسمُه عَبْهلَة بن كَعْبٍ بن غَوث بن صَعب بن مالك بن عَنْس بن مَذْحِج[١] . وجاء أيضاً : أن الأَسود لقب له واسمه عَبْهَلَة بن كَعْب بن الحارث بن عَمْرو بن عَبد الله بن سَعْد بن عَنْس بن مَذْحِج ، وأنه كان يدعىٰ (ذا الحمار) لحمارٍ كان معه قد راضه وعلمه فيقول له اجث ، فيجثو[٢] .

قال ابن دريد : هو الأَسْوَد بن كَعْب بن غَوث الذي تنبئ باليمن[٣] . وكان له نيرنجات وسحر[٤] .

وكان يقال له : « ذو الخمار » لُقب بذلك لأنه كان يقول : يأتيني ذو خمار ، وكان الأسود كاهناً مشعبذاً ويريهم الأعاجيب ، ويسبي بمنطقه قلب من يسمعه وقد تنبأ علىٰ عهد النبي ﷺ[٥] وهو من خطباء اليمن .

ونرىٰ اختلافاً بتسلسل نسبه ولكنه في كل الأحوال ينتهي إلىٰ العنس بن مَذْحج ، أما لقبه بذي الخمار أو الحمار فكلا الروايتين مقبولة ، ولكن ابن الأثير

(*) صبح الأعشىٰ ١/ ٣٢٧ ، ٥/ ٢٦ ، ٤٦ والمنتظم ٤/ ١٧ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٤ ، والبيان والتبيين ١/ ٣٥٩ ، وجمهرة أنساب العرب ٤٠٥ ، الكامل في التاريخ ٢/ ٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، تاريخ الطبري ٣/ ١٨٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣١ ، ٢٤٠ ، نشوة الطرب ١/ ٢٤٣ .

(١) جمهرة أنساب العرب ، وجاء في الكامل بالتاريخ ٢/ ٣٣٦ عيهلة .

(٢) انظر حاشية البيان والتبيين ١/ ٣٥٩ .

(٣) الاشتقاق ٤١٥ .

(٤) نشوة الطرب ١/ ٢٤٣ .

(٥) المنتظم ٤/ ١٧ ، ١٨ . ورد في البيان ١/ ٣٥٩ : ومن خطبائهم الأسود بن كعب ، الكذّابُ العنْسي .

يقول بروايته حول الخمار[1] : وكان يلقب ذا الخمار لأنّه كان معتماً متخمراً أبداً[2] . وكذلك ورد في الطبري (ذي الخمار)[3] وهذا يرجح .

الأَسْودُ العَنْسي واصطدامه بالمسلمين :

لما أسلم باذان[4] نائب كِسرىٰ ، ولاّه النبي ﷺ علىٰ جميع مخاليف اليمن ، وكان منزله بصنعاء : دار مملكة التبابعة ، وبقي حتىٰ مات بعد حجَّة الوداع . فولّىٰ النبي ﷺ ابنه شَهْر بن باذان علىٰ صنعاء ، وولّىٰ علىٰ كل جهة واحداً من الصحابة إلىٰ أن خَرجَ الأَسْوَد العَنْسي فَقَتل شَهر بن باذان ، وأخرج سائر عمال النبي ﷺ من اليمن ، فلما قُتل العَنْسي رجع عمال النبي ﷺ إلىٰ أعمالهم[5] .

يظهر أن الأسود العنسي كان يعمل في الخفاء بين قبائل اليمن ويدعو لنفسه بأنه نبي ، ووجد من قبيلته مَذْحج مؤازرة ، وشدت أزره قبائل أخرىٰ ، وما أن قُتل الأسود حتىٰ عادت المياه إلىٰ مجاريها ، وهذا يعني أن لا قناعة لديهم في دعوة الأسود إنما هي مجرد عصبية قبلية تطلب زعامة اليمن ، فما أن مات حتىٰ ظهر كل ذلك أوهام سراب وكانت ردته أول ردة في الإسلام .

---

(١) البيان والتبيين ١/ ٣٥٩ .

(٢) الكامل في التاريخ ٢/ ٣٣٦ . ورد في الطبري شعباذاً ، أو مشعبذاً ، والشعبذة ، والشعوذة كالسحر يرىٰ الشيء بغير ما عليه أصله في العين .

(٣) طبري ٣/ ١٨٥ .

(٤) إن وجود الفرس في اليمن كما ذكر الطبري ٢/ ١٤٨ يعود إلىٰ دعوة ذي يزن لهم لانقاذ بلاده من الأحباش ، ولكنه توفي قبل تحقيق ذلك ثم ذهب إلىٰ كسرىٰ معد بن يكرب وطلب منه العون العسكري فأمده بقوة مجهزة من ثمنمئة فارس وهم من المجرمين والسجناء ، بقيادة وهرز ، وكانت لهم وقعة حاسمة مع الأحباش وقتلوا قائدهم مسروق وهزموا شرّ هزيمة وبقوا في اليمن وأسلموا . ورد اسمه باذام وفي مراجع أخرىٰ باذان ـ في الكامل .

(٥) صبح الأعشىٰ ٥/ ٤٦ .

الأسود العنسي وردته في اليمن :

قبل رِدة الأَسْودَ العَنْسي في السنة الحادية عشر للهجرة كانت الأمور في اليمن قد استتب أمرها علىٰ الإسلام ، وأن النبي ﷺ فرّق أُمراءه في اليمن بعد موت باذان ، فاستعمل عَمرو بن حَزْم علىٰ نَجْران[1] ، وخالد بن سَعيد بن العاص علىٰ ما بين نَجْران وزَبيدٌ[2] ، وعامر بن شهر علىٰ هَمدان ، وعلىٰ صَنْعاء شَهْر بن باذان ، وعلىٰ عَك والأشعريّين ، الطاهر بن أبي هالة ، وعلىٰ مأرب[3] ، أبا موسىٰ الأشعري ، وعلىٰ الجَنَد ، يعلىٰ بن أُمية ، وكان مُعاذ بن جَبَل ، ينتقل في عمالة كل عامل باليمن وحضرموت[4] ، واستعمل علىٰ أعمال حضرموت ، زياد بن لبيد الأنصاري ، وعلىٰ السَّكاسِكُ[5] والسَّكون ، عُكاشة بن ثَوْر ، وعلىٰ بني مُعاوية بن كندة ، عبد الله أو المهاجر ، فاشتكىٰ النبي ﷺ فلم يذهب حتىٰ وجهه أبو بكر ، فمات النبي ﷺ وهؤلاء عُمّاله علىٰ اليمن وحضرموت .

وعلىٰ عهد رسول الله ﷺ غزا الأسود العنسي نجران فأخرج عنها عَمرو بن حَزْم ، وخالد بن سَعيد بن العاص ، وَوَثَبَ قَيْس بن عبد يَغُوث بن مَكْشوح

---

(١) نَجْران : في مخاليف اليمن من ناحية مكة . معجم البلدان ٥/ ٣٠٨ .

(٢) زَبيدٌ : اسم وادٍ به مدينة يقال لها الحُصَيب ثمّ غلب عليها اسم الوادي فلا تُعرف إلا به ، وهي مدينة مشهورة باليمن أُحدثت أيام المأمون . معجم البلدان ٣/ ١٤٨ .

(٣) مأربٌ : وهي بلاد الأزد باليمن . وهي بين حضرموت وصنعاء . وسد مأرب مشهور . معجم البلدان ٥/ ٤١ .

(٤) حَضْرَمَوْت : ناحية واسعة في شرقي عدن بقرب البحر . وبين حضرموت وصنعاء اثنان وسبعون فرسخاً . معجم البلدان ٢/ ٣١١ .

(٥) السَّكَاسِكُ : هو في لفظ جمع سَكْسَك ، ولا أدري ما هو ، فهو إذاً علم مرتجل لاسم هذه القبيلة التي نسب إليها : وهو السَّكسك بن أَشرَس بن ثور ، وهو كِندة بن عُفَيْر بن عدي بن الحارث بن مُرّة بن أُدَد بن زَيْد بن بشجُب بن زَيْد كهلان بن سبا . المصدر السابق نفسه ٣/ ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

علىٰ فَروة بن مُسَيْك ، وهو علىٰ مراد فأجلاه ونزل منزله ، وسار الأسود عن نجران إلىٰ صَنْعاء ، وخرج إليه شَهْر بن باذان فلقيه الأسود فقتله وتزوج امرأة شَهْر واسمها آزاد وهي ابنة عم فيروز ، وخرج معاذ بن جبل هارباً حتىٰ لحق بأبي موسىٰ الأشعري وهو بمأرب ، فلحقا بحضرموت ، ولحق بفروة بن مُسَيْك من تَم علىٰ إسلامه من مَذْحج .

وغَلبَ الأَسْودُ علىٰ ما بين مفازة حَضْرَموت إلىٰ الطائف إلىٰ البحرين ، والأحساء إلىٰ عدن ، واستطار أمره ، وكان معه سبعمائة فارس يوم لقي شهراً سوىٰ الركبان ، واستغلظ أمره ، وكان خليفته في مَذحج عَمرو بن مَعد يكرب ، وكان خليفته علىٰ جنده قَيْس بن عبد يَغُوث ، وأمر الأبناء (أي الفرس) إلىٰ فيروز ، وداذويه ، واستتب للأسود مُلك اليمن[١] .

أوامر النبي محمد ﷺ :

وصلت كتب النبي ﷺ إلىٰ مَنْ باليمن من المسلمين يأمرهم بقتال الأَسْوَد ، فقام معاذ بن جبل في ذلك وقويت نفوس المسلمين ، وكان الذي يحمل كتبه وَبرُ بن يَحُنّس الأزدي .

قال جشْنَس الديلمي : فجاءتنا كتب النبي ﷺ يأمرنا بقتاله إمّا مُصادمةً أو غيلةً ، يعني إليه وإلىٰ فيروز ، وداذويه ، وأن نكاتب مَنْ عنده دِين ، فعملنا في ذلك ، فرأينا أمراً كثيفاً ، وكان قد تغير لقيس بن عبد يغوث ، فقلنا : إن قيساً يخاف علىٰ دمه فهو لأوّل دعوة ، فدعوناه وأبلغناه عن النبي ﷺ ، فكأنما نزلنا عليه من السماء فأجابنا ، وكاتبنا الناس .

وكأنما علم الأسود بأن خُططاً تدور حوله فبذلك أصبح حذراً ، ويقول الديلمي : فأخبره الشيطان شيئاً من ذلك ، فدعا قَيْساً فأخبره أنّ شيطانه يأمره

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، الكامل التاريخ ٢/ ٣٣٦ ، ٣٣٧ .

بقتله لِميله إلىٰ عدوه ، فحلف قَيْس : لأنت أعظم في نفسي من أن أحدِّث نفسي بذلك .

ثم أتانا فقال : يا جشْنس ، ويا فيروز ، ويا داذويه ، فأخبرنا بقول الأَسْوَد ، فبينا نحن معه يحدثنا إذ أرسل إلينا الأسود فتهددّنا ، فاعتذرنا إليه ونجونا منه ، ولم نكَدْ وهو مُرتاب بنا ونحن نحذره ، فبينا نحن علىٰ ذلك إذ جاءتنا كتب عامر بن شَهْر ، وذي زُودٍ ، وذي مُرّان ، وذي الكلاع ، وذي ظُليم يبذلون لنا النصر ، فكاتبناهم وأمرناهم أن لا يفعلوا شيئاً حتىٰ نُبرم أمرنا وإنما اهتاجوا لذلك حين كاتبهم النبي ﷺ وكتب أيضاً إلىٰ أهل نجران فأجابوه ، وبلغ ذلك الأَسْوَد وأحس بالهلاك(١) .

مخطط لقتل الأسود العنسي :

بعد أن قَتل الأَسْوَد العَنْسي شَهر بن باذان ، تزوج امرأته آزاد ، وأراد البطش بقومها وتشتيتهم ، أو استخدامهم خولاً له ، فحقدت عليه آزاد ومن هنا كانت نقطة ضعف قتله والمدخل إلىٰ ذلك هم آقاربها الذين اعتنقوا الإسلام ، وحبكوا خطةً لاغتياله كما يروي ذلك ابن الأثير فيقول :

قال الديلمي : فدخلتُ علىٰ آزاد ، وهي امرأته التي تزوجها بعد قتل زوجها شَهر بن باذان ، فدعوتها إلىٰ ما نحن عليه ، وذكرتها قتل زوجها شَهْر ، وإهلاك عشيرتها ، وفضيحة النساء ، فأجابت وقالت : والله ما خلق الله شخصاً أبغض إليّ منه ، ما يقوم لله علىٰ حق ولا ينتهي عن محرّم ، فأعلموني أمركم أخبركم بوجه الأمر .

قال : فخرجت وأخبرت فَيروز ودَاذويه وقَيْساً .

قال : وإذ قد جاء رجل فدعا قَيْساً إلىٰ الأسود ، فدخل في عشرة من

---

(١) الكامل في التاريخ ٢/ ٣٣٨ . انظر الطبري ٣/ ٢٣١ .

مَذْحج وهمدان فلم يقدر علىٰ قتله معهم وقال له : ألم أخبرك الحق وتخبرني الكذب ؟ إنّه يعني شيطانه ، يقول لي : إلاّ تقطع من قَيْس يده يقطع رقبتك ، فقال قَيْس : إنّه ليس من الحق أن أهلك وأنت رسول الله فمرني بما أحببت أو اقتلني فموتة أهون من موتات ، فرقّ له وتركه ، وخرج قَيْس فمرّ بنا وقال : اعملوا عملكم ولم يقعد عندنا[1] .

كان الأسود العنسي قلقاً وكثرت شكوكه بمن حوله وإن توتره دعاه يوماً أن ينحر بحربته مائة ما بين بقرةٍ وبعير أمام قصره ، ثم خلّاها ، ونظر إلىٰ فيروز وقال له : أحقّ ما بلغني عنك يا فيروز ؟ وبوأ له الحربة ـ لقد هممتُ أن أنحرك .

فقال فيروز : اخترتنا لصهرك وفضلتنا ، فلو لم تكن نبيّا لما بعنا نصيبنا منك بشيء ، فكيف وقد اجتمع لنا بك أمر الدنيا والآخرة .

فقال له : اقسم هذه (أي الحيوانات التي نحرها) فقسمها ، والأسود يتوعد فيروز وأصحابه بالموت . وكانت آزاد علىٰ اتصال سري بهم ، وأخبرتهم بأن الأسود : متحرز وليس من القصر شيء إلاّ والحرس محيطون به غير هذا البيت فإن ظهره إلىٰ مكان كذا وكذا ، فإذا أمسيتم فانقبوا عليه فإنكم من دون الحرس وليس دون قتله شيء ، وستجدون فيه سراجاً وسلاحاً .

قال فيروز : فتلقاني الأَسْوَد خارجاً من بعض منازله فقال : ما أدخلك علي ؟ ووجأ رأسي حتىٰ سقطتُ وكان شديداً ، فصاحت المرأة ، (أي آزاد) فأدهشته وقالت : جاءني ابن عمي زائراً ففعلت به هذا ؟ فتركني ، فأتيت أصحابي فقلتُ : النجاء ! الهرب ! وأخبرتهم الخبر .

وأرسلت آزاد إلىٰ فيروز : لا تدعن ما فارقتك عليه ، فلم أزل به حتىٰ اطمأن .

---

(١) الكامل في التاريخ ٢/ ٢٣٩ . الطبري ٣/ ٢٣٠ ، ٣/ ٢٣٢ .

وذهب فيروز إليها ليتثبّت منها الخبر ، فتأكد وقال لها : ننقب علىٰ بيوت مبطنة ، فدخل فاقتلع البطانة وجلس عندها كالزائر ، فدخل الأسود فأخذته غيرة ، فأخبرته برضاع وقرابة منها عنده محرم فأخرجه[١] .

نهاية الأسود العنسي :

بعد أن أصبحت الخطة محكمة التنفيذ في مساء يوم كان المسلمون علىٰ حذر وأهبّة ، وأُحيط كلاً من الهمدانيّين والحميريين علماً بما سيقدمون عليه ، دخل فَيروز ، ودَاذويه ، وقَيْس بعد أن نقبوا البيت ، وهم يحذرون نباهة الحرس ويقظتهم ، فتقدم فيروز وكان أشدهم قوة وفتوة حتىٰ دنا من باب البيت سمع غطيطاً شديداً والمرأة قاعدة (أي آزاد) ، فلما قام علىٰ باب البيت أجلسه الشيطان وتكلم علىٰ لسانه وقال : ما لي ولك يا فيروز ! فخشي إن رجع أن يهلك وتهلك المرأة فعاجله وخالطه وهو مثل الجمل فأخذ برأسه فقتله ودقّ عنقه ووضع ركبته في ظهره فدقّه ثم قام ليخرج ، فأخذت المرأة بثوبه وهي ترىٰ أنه لم يقتله ، فقال : قد قتلتُهُ وأرحتك منه وقطع رأسه بالشفرة ، فخار كما يخور الثور ، وابتدر الحرس المقصورة يقولون ما هذا ؟ .

فقالت المرأة : النبيّ يوحىٰ إليه ! فخمدوا ، وفي الصباح نادوا (أي فيروز وجماعته) بشعارهم المتعارف عليه بينهم وبين أصحابهم ، ففزع المسلمون والكافرون ، ثم رفعوا الآذان الصحيح وقالوا أن عبهلة كذاب وألقوا برأسه ، وهاج أصحابه ، ثم سويت الأمور وعاد أمراء المسلمين إلىٰ مقار عملهم[٢] .

كان أول أمر العنسي إلىٰ آخره ثلاثة أشهر وقيل قريب من أربعة أشهر ، وكان قدوم البشير بقتله في آخر بيع الأول بعد موت النبي ﷺ فكان أول بشارة

(١) الكامل في التاريخ ٢/ ٢٣٩ ، ٣٤٠ .
(٢) الكامل في التاريخ ٢/ ٣٤٠ .

أتت أبا بكر وهو بالمدينة .

قال ابن عمر : أتىٰ الخبر من السماء إلىٰ النبي ﷺ في ليلته التي قُتل فيها ، فقال : قُتل العنسي ، قتله رجل مبارك من بيت مباركين ، قيل مَنْ قتله ؟ قال : قتله فيروز[1] .

قال فيروز : لما قتلنا الأسود عاد أمرنا كما كنا ، وأرسلنا إلىٰ معاذ بن جبل فصلّىٰ بنا ونحن راجون مؤملون لم يبق شيء نكرهه ، إلاّ تلك الخيول من أصحاب الأسود ، فأتى موت النبي ﷺ فانتقضت الأمور واضطربت الأرض[2] .

وأن النبي ﷺ أخبر عنهم فقال : أنه رأىٰ في منامه سوارين من ذهب فخرج فحدّث ، روىٰ عكرمة عن ابن عباس قال : خرج رسول الله ﷺ عاصباً رأسه من الصداع ، فقال : « إني رأيت البارحة فيما يرىٰ النائم أن في عضدي سوارين من ذهب فكرهتهما فنفختهما فطارا فأولتهما هذين الكذابين صاحب اليمامة وصاحب اليمن[3] .

يظهر أن الأسود كان ذو شخصية قوية التأثير علىٰ من حوله ، وربما كان مهرجاً وصاحب قصص في مجالسه ويعمل بالسحر ، ولكن تصرفاته كانت تنم عن حماقة ، وما هو إلاّ خاطب زعامة ، تحيط به جماعة من أصحابه حوالي سبعمائة فارس ، وهي قوة يُحسب حسابها في ذلك الوقت اراد بها السيطرة علىٰ اليمن بعد أن علم بمرض النبي ﷺ فانتهز تلك الفرصة فكانت بدايته سريعة ونهايته مثلها وسقط سقوطاً مريعاً .

لم أعثر من خلال المراجع والمصادر المتوفرة لدي علىٰ خطبٍ للأسود

---

(١) الكامل في التاريخ ٢/ ٣٤١ .

(٢) الكامل في التاريخ ٢/ ٣٤١ . وانظر الطبري ٣/ ٢٣٩ .

(٣) الطبري ٣/ ١٨٦ . والمنتظم ٤/ ١٨ .

العنسي لقراءة بعض ملامحه ولتكن صورته أوضح من خلالها ، وتقول بعض الروايات بأنه عندما قُتل كان في حالة سُكرٍ ، وانتهىٰ أمره كمرتد بموته وبدأت معركة مع مرتدين ادعوا النبوة سنأتي علىٰ ذكرهم[١] .

* * *

(١) تعليق المؤلف .

الفُجَاءَة(*) بن عَبْدِ يَالِيل

الفُجاءَة هو إيَاسَ بن عَبْدِ الله بن عَبْدِ يَالِيل بن عُميرة بن خُفاف من بني سُليم ، الذي أحرقه أبو بكر بالنار(١) . وفي رواية ثانية هو بُجَيْر بن إياس بن عَبْد الله بن عَبد يَاليل بن سَلمة بن عُميْرة بن خُفاف ، المرتدّ ، أحرقه أبو بكر بالنار(٢) . وفي رواية ثالثة هو بُجَيْرةُ بن إياسَ بن عَبد الله بن عَبد ياليل بن سَلمة بن عُميرة الذي أحرقه أبو بكر في الرِّدَّةِ(٣) .

ومن بين الروايات التي وردت كانت رواية الواقدي واضحة وذات إسلوب جيد فأوردتها وهي :

بعد أن سارَ خالد بن الوليد يُريد بني أَسَد ، فأقبل إلىٰ أبي بكر رجل من بني سُليم يقال له الفُجاءَة بن عبد ياليل فَدخل عليه فسلم ، وقال : (يا خليفة رسول الله ﷺ أَنَا رَجُلٌ مُسلمٌ ، وعلىٰ دِينِ الإسلام منذ كنت لا غيّرت ولا بدّلت ، وقد رَغبتُ في قِتال أهل الرِّدَّة ، وقد أَحببتُ أنْ تُعينني بقوة من خيل وسلاح حتىٰ أُفَرِّقه في قَومي وبَني عمي من بني سُليم ، وأَلحق بخالد بن الوليد ، فأُقاتل معه طُلَيْحة بن خُوَيْلد وأَصحابه .

فدفعَ إليه أبو بكر عشرة من الخيل وسلاحاً كثيراً من سيوف ورماح وقسي

(*) الكامل في التاريخ ٢/ ٣٥٠ ، تاريخ الطبري ٣/ ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، جمهرة النسب ٣٩٦ ، جمهرة أنساب العرب ٢٦١ ، كتاب الردة ١١٧ .

(١) طبري ٢٦٣ ، وكذلك ورد اسمه إياس في كتاب الكامل في التاريخ ٢/ ٣٥٠ .

(٢) جمهرة أنساب العرب ٢٦١ ورد اسمه (بجير) بالجيم .

(٣) جمهرة النسب ٣٩٦ ورد اسمه (بحيرة) بالحاء . وفي كتاب الردة فجاءة بن عبد ياليل ، وفجأة ، فُجأة ، وفَجاءة : هجم عليهم وبه سمت العرب . ومنه والد قطري الشاعر الأموي (الردة ١١٧) . وربما كان لقبه الفجاءة . ورغم الاختلاف بالاسم فإن الروايات كافة حوله هي نفسها بأنه خدع أبا بكر الصديق ، ومن ثم قُبض عليه وأحرق بالنار .

وسهام ووجه معه عشرة نفر من المسلمين .

خداع الفُجاءة لأبي بكر :

لقد كان الفُجاءة ينوي الشرَّ بالمسلمين وخدع أبا بكر خَديعة منكرة ، فانقلب عليه عدواً ماكراً ، ولكن في النهاية حاسبه أبو بكر حساباً عسيراً .

فخرج الفُجاءة من المدينة كأنه يُريد إلىٰ خالد بن الوليد ، ثم ترك الطريق إلىٰ خالد ، وعطف إلىٰ دار بَني سُليم ، فأرسل إلىٰ قوم منهم ، ودعاهم فأجابوه ، فعطفهم علىٰ هؤلاء العشرة الذين وجّه بهم معه ، فَقتلهم عن آخرهم ، ثمَّ إنّه فرق تلك الخيل والسلاح الذي أعطاه أبو بكر ، علىٰ من اتبعه من سفهاء قومه ، ثم سار فجعل يقتل الناس كلهم ، ولا يبقي علىٰ قومه ولا علىٰ غيرهم وأنشد يقول :

أَلَمْ تَرني خَدعتُ القومَ حتَّىٰ قَويتُ بما أَخَذتُ مِنَ السلاحِ
وَقُلتُ لهُ : أَبا بَكْرٍ أَعنّي علىٰ مَنْ بالبُزَاخةِ والبطاحِ[(١)]

فجعل الفُجاءة يفعل ما يفعل ، ويلتئم إليه الناس من أهل الدعارة[(٢)] والفساد ، وبلغ ذلك أبا بكر ، فأقبل علىٰ من كان عنده من بني سُليم وغيرهم من قَيْس عَيْلان فخبّرهم بما صنع الفُجَاءة ، فاغتم بنو سُليم خاصة غمّاً شديداً ، وقالوا : (والله يا خليفة رسول الله ﷺ لقد حدّثتنا أنفسنا ببعض ذلك ، ولقد قلّدنا عدو الله عاراً لا يُغسل عنا أبداً) .

ثم وثب الضَّحاك[(٣)] بن سُفيان الكلابي ، وكان شيخاً من كِلاب ،

---

(١) يقصد بني أسد وبني تميم الذين تجمعوا حول طليحة وسجاح . وهي قصيدة طويلة ـ الردة ١١٨ .

(٢) الدعارة : الفِسق .

(٣) هو الضحاك بن سفيان بن الحارث بن زائدة بن عبد الله بن حبيب بن مالك بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم السلمي ، له صحبة ، وكان صاحب راية بني سليم ورأسهم ، =

وفارسهم وعَميدهم، وشَاعرهم ، وكانت له صُحبة مع رسول الله ﷺ ، فقال : (والله يا خليفة رسول الله لقد كان عدو الله يروم الفساد ، وما كنت أقول أنه يقدم علىٰ مثل هذا ولقد كنت أُحذر قومي من بني ذكوان أن يسمعوا منه، ويأخذوا برأيه فأبا الله تبارك وتعالىٰ إلا ما أراد) ثم أنشأ الضحاك بن سُفيان يقول :

أَلا قَـاتَـل اللهُ الْفَجـاة لقـد أَتـىٰ ... بغَـدْرَتِـهِ الكُبْـرىٰ عَظيمـاً مـن الأمْـرِ
فَظَـنَّ بـه الصِّـديـقُ ظنّـاً فَخَـانَـهُ ... وَجَـرَّرَ أَثْـوابَ الخيـانَـة والمكـرِ
أَلا يا لَقَوْمي مِنْ حَوادثِ ذا الدَّهرِ ... واجْمَـاعِ قَـوم للْفَجـاةِ علىٰ الكُفـرِ
فَقُلـتُ لِقَـومـي : إنَّـهُ قَـاذِفٌ بِكُـمْ ... غَداً يا بني ذكوانَ في لجةِ الْبَحر[١]

ثم كتب أبو بكر إلىٰ خالد بن الوليد فخبّره بما صنع الفُجاءة ، وما أخذ من السلاح ، وما قتلَ من المسلمين ، وأمره أن يوجه إليه بقومٍ يطلبونه ، فيأتون به حيثما كان ، فلما ورد الكتاب علىٰ خالد بن الوليد لم يعجل بالمسير إلىٰ طُلَيْحة بن خُوَيْلد ، ولكنه دعا رجلاً من بني سُلَيْم يقال له مَعن[٢] بن واثلة ، فضم إليه ثلاثمائة فارس من أبطال عسكره ، وأمره أن يسير إلىٰ الفُجاءَة فيطلبه حيث كان من أرض الله ، فإن قدر عليه يأخذه أسيراً ، وأن يبعثه إلىٰ أبي بكر وإن قتله وجه برأسه إلىٰ أبي بكر .

فلما سَمع الفُجاءة بذلك سار إلىٰ قومه يريد لقاء المسلمين غير عاجز ، ودنا القوم بعضهم من بعض ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وكانت الدائرة في أول النهار علىٰ المسلمين ، فَقُتل منهم جماعة ، وأنشأ رجل[٣] من أصحاب

= ولما ارتد قومه عنّفهم ووعظهم وبالغ في ذلك ، فشتموه وهموا به ، فارتحل عنهم فندموا وسألوه أن يقيم فأبىٰ وأتىٰ المسلمين في المدينة ، ثم رجع مع جيش خالد الذي وجهه أبو بكر لقتالهم ، فقاتلهم حتىٰ استشهد (حاشية الردة ١١٩) .

(١) بنو ذكوان : بطن من سليم . والقصيد طويلة انظر الردة ١٢٠ .

(٢) انظر تاريخ الطبري (معن بن حاجز) ٣/ ٢٦٦ .

(٣) هو أبو شجرة السلمي ، وهو سليم بن عبد العزىٰ بن عبيد السلمي ، وقيل اسمه عمرو وأمه=

الفجاءة يقول :

سَـلِ النَّـاسَ عَنَّـا كـلُ يَـوم كَـريهَـة   إذا مـا التَقَيْنَـا دَارِ عيـنَ وَحُسَّـرا[1]
فَـرَوَّيْـتُ رُمْحـي مِـنْ كَتيبـةِ خَـالـدٍ   وَإِنِّـي لأرْجُـو بَعْـدَهـا أنْ أُعَمِّـرا[2]

دعا القوم بعضهم بعضاً ، وأحدقت الخيل بالفُجاءة ، فذهب ليحمل علىٰ رجلٍ من المسلمين ، فكبا به فرسه ، فسقط إلىٰ الأرض ، فأُخذ أَسيراً وولىٰ أَصحابه منهزمين ، فأخذهم السيف ، فقتل منهم من قتل ، وأفلت الباقون ، ثم استوثق مَعن بن واثلة من الفُجاءَة ، وقال : (يا عدو الله أخذت خيل أبي بكر ، وسلاحه ، فقتلت به المسلمين ، ورجعت عن دين الإسلام ، أظننت أن أبا بكر يغفل عن أفعالك ؟ . فسكت الفُجاءة ، ولم يقل شيئاً ، فأرسل مَعن إلىٰ خالد بن الوليد يخبره بالوقعة ، وأخذ الفجاءة ، فأرسل خالد أن وجه به إلىٰ أبي بكر ، فيرىٰ رأيه فيه ، فحمل الفُجاءة إلىٰ المدينة ، فلما وقف بين يدي أبي بكر ، ما كلمه بشيء ، ولا سأله عمَّا فعل ، ثم دعا رجلاً من بني سُليم يقال طريفة فقال : يا طُريفة خذ إليك عدوّ الله فأخرجه خارج المدينة وأحرقه بالنار إحراقاً .

فأخرج الفُجاءة ، ثم جمع له الحطب ، وشدّت يداه ورجلاه ، ووضع في وسط الحطب ، وأضرم الحطب بالنار ، وأحرق الفُجاءة حتىٰ صار فحماً فأنشأ رجل من بني سُليم يقول :

إنَّ حَـرْقَ الفَجـاءةِ مِـنْ نعـم اللَّـ   ـهِ علـىٰ مَـن أقـرَّ بـالإسـلام
أخَـذَ الخَيْـلَ والسِّـلاحَ علـىٰ العَهْـ   ـدِ فَخَـانَ الفَجـاةُ عَهْـدَ الإمـامِ

= الخنساء أسلم ثم ارتد ، انظر حاشية الردة (١٢٢) .

(١) دارعون : لابسوا الدروع . والكريهة : الحرب وهي فعيلة بمعنىٰ مفعولة أي مكروهة . والحُسّر : الحاسرون الذين لا معافر معهم ولا دروع .

(٢) في تاريخ المدينة (أعمَّرا) قال المبرد ويرىٰ (أن أعمِّرا) بكسر الميم ومعناه أن أفعل مثله بكتيبة عمر (انظر الردة ص١٢٣ ، ١٢٤) والقصيدة طويلة .

يَقْتُــلُ النَّــاسَ لا يــرىٰ أنَّ للَّــ ـــهِ جــزاءً فــي عــاقــبِ الأيّــام

لا يُبــالــي أفــي قَبيــلِ سُلَيْــمٍ جَــرَّدَ السَّيْــف أمْ قَبيــل حِــزَام[1]

ثم كتب أبو بكر إلىٰ خالد بن الوليد يخبره بما فعل الله بالفُجاءة ، ويأمره بالدخول إلىٰ أرض بني أسد ، إلىٰ طُلَيْحة بن خُوَيْلد وأصحابه .

وردت في تاريخ الطبري ٣/ ٦٤ ، ٦٥ ، رواية جاء فيها بأن الفجاءة بعد أن خدع أبا بكر ، اصطحب معه من قومه نجبة[2] بن أبي الميْثاء من بني الشريد ، فشنَّها غارة علىٰ كل مسلم في سُليم وعامر وهوازن ، فأرسل أبو بكر إلىٰ طُريفة ابن حاجز ، فسِّر إليه بمن معك من المسلمين حتىٰ تقتله ، أو تأخذه فتأتيني به ، وبعد معركة حامية قُتل نجبة ، وأسر الفُجاءة ، وأُحضر إلىٰ أبي بكر فأمر طريفة بن حَاجز أن يحرقه بالنار وقال خُفاف[3] بن نَدبةْ يذكر الفجاءة :

لِــمَ تَــأْخــذونَ سِــلاحَــهُ لِقِتــالِــهِ ولِــذاكُــمُ عنــدَ الإلٰــهِ إِثَــامُ[4]

لا دِينكُــمْ دينــي ولا أَنــا كــافِــرٌ حتــىٰ يَــزولَ إلــىٰ صَــراةَ شمــامُ[5]

ساء ذلك خُفافاً ما قام به قومه فقال هذين البيتين[6] ينعي عليهم ذلك العار ويستعلن ثباته علىٰ دين الإسلام وبراءته من ردة من ارتد من قومه .

---

(١) انظر الردة ص١٢٥ والقصيدة طويلة تحكي قصة الفجاءة وردته وعقابه .

(٢) ورد في الكامل بالتاريخ (نخبة) ٢/ ٣٥٠ ، أما الرواية هي نفسها .

(٣) وهو خفاف بن عمير بن الحرث بن عمرو وهو الشريد . . . بن بهثة بن سليم بن منصور . . . وأمه ندمة (الأصمعيات) .

(٤) الأَثـام : بفتح الهمزة وكسرها : عقوبة الإثم . (ورد صدر البيت في الطبري لِـمَ يأخذون . . .) .

(٥) شمام : جبل لباهلة في نجد . وأما صراة فالظاهر أنه جبل آخر ، ولم نجد ذلك في معجم البلدان ولا صفة جزيرة العرب ، والذي في المعجم « الصراة » وهو نهر بالعراق ، أراد حتىٰ ينقل هذا الجبل من موضعه . وورد بيت الشعر في الطبري علىٰ الشكل التالي :

لا دينهــم دينــي ولا أنــا منهــم حتــىٰ يسيــرَ إلــىٰ الصّــراة شمــام

(٦) البيتان في الأصمعيات ـ ص٣١ .

أُمَيَّةُ(*) بن أَبي الصَّلت

واسم أبي الصَّلت عبدُا لله بن أَبي رَبيعة بنَ عَوف بن عُقدة بن عَنزة[1] بن قَسيّ ، وهو ثَقيف بن مُنبِّه بن بَكر بن هَوازِن . وأُمية شاعر مخضرم .

وأُمَّ أميَّة بن أبي الصَّلت رُقيَّة بنت عَبد شَمس بن عَبد مناف .

وكان لأُمية أَربعة بنين : عَمْرو ، ورَبيعة ، وَوَهْب ، والقَاسم ، وكان القاسم شاعراً وهو الذي يقول في مدح عبد الله بن جدعان :

قومي ثَقيفٌ إن سألتَ وأُسرتي ... وبهـمْ أُدافِـع ركـن مـن عـادانـي
قـومٌ إذا نـزلَ الغـريـبُ بـدَارِهـم ... رَدُّوه ربَّ صَـواهـلٍ وقيـانِ

وكان ربيعة ابنُه شاعراً وهو الذي يقول :

وإن تـكُ حيّـاً مـن إيـادٍ فـإِنَّـنـا ... وقَيْسـاً سـواءٌ مـا بَقينـا ومـا بَقُـوا
وَنحـنُ خيـارُ النَّـاس طُـرّاً بِطـانـةً ... لقيْـسٍ وهـم خيـرٌ لنـا إن هُـمُ بقـوا

قال أبو عُبيدة : اتَّفقت العربُ علىٰ أنّ أشعر أهل المدن أهل يثرب ، ثمَّ عبد القَيْس ، ثمَّ ثَقيف ، وأَن أشعر ثَقيف أُميَّة بن أبي الصَّلت .

قال الكُمَيت : أُميَّة أشعر الناس[2] .

قال الأصمعي : ذهب أُميَّة في شعره بعامة ذكر الآخرة ، وعنترة بعامة ذكر

(*) تاريخ الطبري ١/ ٢٧٧ ، ٢/ ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٨٥ والأغاني ١٧/ ٢٢٤ ، ٤/ ٢٣ ، والمنتظم ٣/ ١٤٢ ، ١٤٣ والخزانة ١/ ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٥٣ ، ٣٨٢ . جمهرة النسب ١٣٤ ، ٣٩٠ حماسة أبي تمام ٦٧٨ ، ٨٦٧ .

(١) في مختصر تاريخ دمشق ٥/ ٤٢ : « غِيَرة » . وكذلك في البداية والنهاية ٣/ ٢٧٤ .

(٢) أغاني ٤/ ١٢٥ .

الحرب[3] .

وأبوه أبو الصَّلت الثَّقفي شاعر وهو القائل في سيف بن ذي يزن :

لن يَطلُبَ الوِترَ أمثالُ ابن ذِي يزنٍ لجَّاجَ في البحرِ للأعداءِ أحْوالا
فاشْرَبْ هنيئاً عليك التاجُ مُرتفِقاً في رأس غُمدانَ داراً منكِ محلالا[1]

أُميّة والنبوءة :

رغب أميّة عن عبادة الأوثان ، وكان يخبر بأن نبيّاً يُبعث قد أظلَّ زمانه وَيُؤَمِّلُ أن يكون ذلك النبيِّ ، فلما بلغه خروج رسول الله ﷺ وقصَّته كفر حسداً له ، ولمَّا أُنْشد رسول الله ﷺ شعره قال : آمن لسانُه وكَفَر قلبه ، وكان يحكي في شعره قصص الأنبياء ويأتي بألفاظ كثيرة لا تعرفها العرب يأخذها من الكتب المتقدِّمة وبأحاديث من أحاديث أهل الكتاب منها قوله :

بآية قام يَنْطُقُ كل شيءٍ وخانَ أمانَةَ الدِّيكِ الغُرابُ

وكانوا يقولون أَنَّ الدِّيك كان نديماً للغُراب فرهنه علىٰ الخمر وغدر به ولم يرجع وتركه عند الخمَّار فجعله الخمَّار حارساً .

وقوله أيضاً :

غيمٌ وظلماءٌ وفَضْلُ سَحابَةٍ إذ كان كَفَّنَ واسْتَرادَ الهُدْهُدُ

وكانوا يقولون إن الهدهد لمَّا ماتت أُمَّه أراد أن يبرَّها فجعلها علىٰ رأسه يطلب موضعاً فبقيت في رأسه ، فالقُنْزُعَة التي في رأسه هو قبرها وإنَّما أنتنت رِيحه لذلك .

---

(1) الخزانة ١/٢٤٧ .

(2) الشعر والشعراء ٣٠٢ ـ والوتر : الثأر والاقتصاص . ولجج : أركب لجاج البحر . وأحوال : جمع حول وهو العام ولقد وردت القصيدة في الأغاني ١٧/ ٢٣١ ، ونسبت إلىٰ أمية بن أبي الصلت قالها بين يدي سيف بن ذي يزن .

وأقول: وما هذا إلاّ محض خيال أو من الخرافات التي تناقلتها الشعوب!؟.

وقال أُميّة:

قمرٌ وساهورٌ يُسلّ ويُغمَدُ

والساهور فيما يذكر أهل الكتاب غلاف القمر يدخل فيه إذا كُسِفَ.

وقوله في الشمس:

ليسَتْ بطالعةٍ لهم في رسْلِها إلا مُعذَّبةً وإلاّ تُجلدُ

يقولون إن الشمس إذا غربت امتنعت من الطلوع وقالت: لا أطلع علىٰ قوم يعبدونني من دون الله حتىٰ تُدفع وتُجلد فتطلع.

ويسمي السماء في شعره: صافورة وحافورة وبِرْقع.

ويقول في الله عزَّ وجلَّ:

هو السَّلطيطُ فوقَ الأرضِ مُقتدرُ

ويقول: وأبدتِ الثُّغرورا.

يريد الثغر وهذه أشياء منكرة وعلماؤنا لا يرون شعره حُجّة في اللغة[١].

طمعه بالنبوة:

جاء في الأغاني: كان أُميّة بن أبي الصّلت قد نظر في الكتب وقرأها، ولبس المُسُوح تَعبُّداً وكان ممن ذكر إبراهيم وإسماعيل والحنيفيّة، وحرّم الخمر، وشك في الأوثان، وكان مُحققاً، والتمس الدِّين وطمع في النُّبوّةِ، لأنه قرأ في الكتب أن نبيّاً يُبعث من العرب، فكان يرجو أن يكونه. فلما بُعث النبي ﷺ قيل له: هذا الذي كنت تَستَريث[٢] وتقول فيه، فحسده وقال: إنما

(١) الشعر والشعراء: ٣٠٠، ٣٠١.
(٢) تستريث: تستبطئ.

كنت أرجو أن أكونه ؛ فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾[١] .

وكان أُميَّة يُحرّض قريشاً بعد وَقعة بدر ، وكان يَرثي من قُتل من قريش في وقعة بدر فمن ذلك قوله :

ماذا ببدرٍ والعَقَنْقَلِ ... من مَرازبةٍ جحاجح[٢]

وتأثر أمية بن أبي الصَّلت بالأديان الأخرىٰ ولكنه لم يؤمن بها أو يعتنقها بل كان يؤمن بدين الحنيفة وها هو يقول :

كلّ دينٍ يومَ القيامة عند الله ... إلّا دينَ الحَنيفة زُورُ[٣]

ويعبر عن ذلك الإيمان بشعره ويتساءل عن قدوم النبي العربي فيقول :

الحمدُ لله مُمْسانا ومُصْبَحنا ... بالخيرِ صبَّحَنا ربّي وَمسَّانا
ربُّ الحنيفةِ لم تَنفدْ خَزائنُها ... مملوءةً طَبَّقَ الآفاقَ سُلطانا
ألا نَبيٌّ لنا منَّا فَيُخبرنَا ... ما بعدَ غايتنا من رأس مَحيانا

فقال النبي ﷺ : « إن كاد أُميَّةُ لَيُسلِمُ »[٤] . وقال ﷺ : « آمن شِعرُه وكفر قلبه » .

قال الزُّهري : وأتىٰ أميَّة أبا بكر فقال : يا أبا بكر ، عَميَ الخبرُ فهل أحسست شيئاً ؟ قال : لا والله ! قال : قد وجدته يَخرُج العام[٥] .

---

(١) سورة الأعراف ، آية ١٧٥ .

(٢) العقنقل : كثيب رمل ببدر ، مرازبة : جمع مرزبان ، وهو الفارس الشجاع المقدم علىٰ القوم دون الملك ، وهو معرب فارسي . جحاجح : جمع جحجح وهو السيد المسارع في الكرم . أغاني ٤/ ١٢٦ .

(٣) أغاني ٤/ ١٢٦ .

(٤) أغاني ٤/ ١٣٣ .

(٥) أغاني ٤/ ١٢٧ ـ سأذكر هذه القصيدة كاملة في نهاية البحث .

أبو سفيان وأمية بن أبي الصلت :

. . . عن أبي سفيان بن حرب قال : خرجْتُ أنا وأميّةُ بن أبي الصّلتِ تُجّاراً إلىٰ الشّام ، فكُلما نَزلنا مَنْزِلاً أخرج أُميّةُ سِفْراً يَقْرأهُ علينا فكنّا كذلك حتىٰ نَزلنا بقرية من قُرىٰ النَّصارىٰ ، فَرأوه وعرفوه وأَهْدوا له وذهب معهم إلىٰ بيعهم ، ثم رَجَع في وسَطِ النهار فَطرحَ ثوبَيْه واستخرج ثَوبَيْن أَسْوَدَيْن فَلبِسَهما ، ثم قال : يا أبا سفيانَ ، هل لك في عالم من عُلماءِ النَّصارىٰ إليه تناهىٰ عِلمُ الكتب تسألُه عما بدا لك ؟ .

قلت : لا فمضىٰ هو وجاءنا بعد هدأة من الليل ، فَطرَحَ ثَوبَيْه ثم انْجدَل علىٰ فراشهِ ، فوالله ما نام ولا قام حتىٰ أصبح ، فأصبح كئيباً حزيناً ما يُكلِّمنا ولا نُكلِّمه ، فسرنا ليلتين علىٰ ما به من الهم ، فقلت له : ما رأيتُ مِثْلَ الذي رجعتَ به من عندِ صاحبِك ؟ قال : لمُنْقَلَبِي ، قلت : هل من مُنْقَلَبٍ ؟ قال : أي واللهِ لأَمُوتَنَّ ولأُحاسَبنَّ ، قلت : فهل أنت قابل أماني علىٰ ما قلت علىٰ أنك لا تبعث ولا تحاسب ، فضحك ، وقال : بلىٰ والله لَتُبْعَثَنَّ ولتُحَاسَبَنَّ ولَيَدْخُلَنَّ فريقٌ في الجَنَّة وفريقٌ في النّارِ ، قلت : ففي أيِّهما أنت أَخْبَرَكَ صاحبُك ؟ قال : لا عِلْمَ لصاحبي بذلك فيّ ولا في نفسه ، فكُنّا في ذلك لَيْلَنا يَعْجَبُ منا ونَضْحكُ منه حتىٰ قَدِمْنا غُوطةَ دِمَشْقَ . فَبِعْنا متاعَنا وأَقَمْنا شهرَيْن ثم ارْتَحَلْنا حتىٰ نَزَلنا قريةً من قُرىٰ النَّصارىٰ ، فلمّا رَأَوْه جاءُوه وأَهْدَوا له ، وذَهب معهم إلىٰ بيعهم حتىٰ جاءنا مع نصف الليل فلبس ثوبيه الأسودين ، فذهب حتىٰ جاءنا بعد هدأة من الليل ، فطرح ثوبه ثم رمىٰ بنفسه علىٰ فراشه ، فوالله ما نام ولا قام فأصبح مبثوثاً حزيناً لا يُكلمنا ولا نُكلمه .

فرحلنا فسرنا ليالي ، ثم قال : يا صخر حدثني عن عُتبة بن رَبيعة ، أَيَجتنبُ المَحارِمِ والمَظالم ؟ قلت : إي والله ، قال : ويصِلُ الرَّحِمَ وَيَأْمُرُ بصلتها ؟ قلتُ : إي واللهِ ، قال : فهل تعلم قريشاً أشرف منه ؟ قلت لا ،

قال : أو مُحْوِجٌ هو ؟ قلت : لا بل هو ذو مالٍ كثيرٍ ، قال : كم أتىٰ عليه من السِّنِّ ؟ قلت : هو ابن سبعين سنة قد قاربها ، قال : والسِّنُّ والشَّرَفُ أَزْرَيا به ؟ قلت : لا والله بل زاده خيراً ، قال : هو ذاك ، ثم قال : إن الذي رأيت بي البارحة ، إني جئت هذا العالم فسألْتُه عن هذا الذي نَنْتَظِرُ ، فقال : هو رجلٌ مِن العربِ من أَهل بيتٍ تَحُجُّه العربُ ، قال : هو من إخوانكم ومن جيرانِكم من قريش ، فأصابني شيء ما أصابني مثلُه ، إذ خرج من يديَّ فوز الدُّنيا والآخرة ، وكنت أرجو أن أكون أنا هو ، فقلت : فصفه لي ، فقال : رجلٌ شابٌ حين دخل في الكُهُولِ بُدُوُّ أمرِه ، أنه يجتنب المحارم والمظالم ، ويَصِلُ الرَّحم ويأْمُرُ بِصلَتِها ، وهو مُحْوِجٌ كريمُ الطَّرَفَيْن متوسِّطٌ في العشيرة ، وأكثر جُنْدِه من الملائِكَةِ ، قلت : وما آيةُ ذلك ؟ قال : رَجفَتِ الشَّامُ منذُ هَلَكَ عيسىٰ ابنُ مريمَ ثمانين رَجْفَةً ، كلُّها فيها مُصيبةٌ ، وبَقيتْ رَجْفَةٌ عامّةٌ فيها مُصيبة يخرج علىٰ أثرها ، فقلت : هذا هو الباطلُ ، لَئِنْ بَعَثَ اللهُ رسولاً لا يأخذُه إلا منا[1] شريفاً .

قال أُمية : والذي يحلف به لهكذا ، فخرجنا حتىٰ إذا كان بيننا وبين مكّة ليلتان أدْرَكَنا راكبٌ من خلفِنا . فإذا هو يقول : أصابتْ الشّامِ بعدكم رجفةٌ دَمَّرتْ أهلها فيها وأصابهم مصائبٌ عظيمةٌ ، فقال أُمية : كيف ترىٰ يا أبا سفيان ؟ فقلت : والله ما أظن صاحبك إلاّ صادقاً[2] .

أبو سفيان والنبي محمد ﷺ :

قال أبو سفيان : وقَدِمْنا مكّةَ ، ثم انطلقْتُ حتىٰ جئتُ أرض الحبشة تاجراً ، فمكثت بها خمسةَ أشهرٍ ، ثم قَدِمْتُ مكَّة فجاءني الناس يُسلِّمُون عليَّ

---

(١) في البداية والنهاية ٣/ ٢٧٩ « مُسِنّاً » .
(٢) المنتظم ٣/ ١٤٣ ـ الرواية كاملة في البداية والنهاية ٣/ ٢٧٥ ، ٢٧٦ وما بعدها ، وفيها زيادة علىٰ رواية المنتظم دون المساس بالمضمون .

وفي آخرهم محمد ﷺ وهند تُلاعِبُ صِبْيانها فسَلَّم عليَّ ورحَّبَ بي وسألني عن سَفري ومقدمي ثم انطلق . فقلت : والله إن هذا الفتىٰ لعجب ما جاءني أحد من قريش له معي بضاعة إلاّ سألني عنها وما بلغت ، والله إن له معي بضاعة ما أغناهم عنها وما سألني عنها ، فقالت هند : أوما علمتَ شأنَه ، فقلت وقد فَزِعتُ : وما شأنه ؟ قالت : يزعُمُ أنَّه رسول الله ، فذكرت قول النَّصرانيِّ ووَجَمْتُ ، فخرجت فلقيته ، فقلت : إن بضاعتك قد بلغت كذا وكذا ، فأرسل فخذها فلستُ آخُذُ منك ما آخُذُ من قومك ، فأبىٰ وأرسل فأخذها وأخذتُ منه ما كنتُ آخُذُ من غيره ، فلم أَنْشَبْ أن خَرجتُ تاجراً إلىٰ اليمن ، فَقَدِمْتُ الطائفَ فَنزلتُ علىٰ أُميَّة بن أَبي الصَّلت ، فقلتُ : يا أبا عثمان ، هل تذكر حديث النَّصرانيِّ ؟ قال : نعم ، قلت : فقد كان ما قال ، قال : ومن ؟ قلتُ محمدٌ بن عبد الله قال : ابن عبد المطلب ؟ قلت : ابن عبد المطلب ، فتصبب عرقاً ، وقال : إن ظهر وأنا حيٌّ لأطلُبنَّ من الله في نصره عُذراً ، فعدتُ من اليمن فنزلتُ علىٰ أُمية بالطّائف ، فقلت : قد كان أمر الرجل ما بلغَك فأين أنت منه ؟ قال : والله ما كنتُ لأومِنَ برسولٍ من غيرِ ثَقيفٍ أبداً ، فأقبلت إلىٰ مكة فوجدت أصحابه يُضْرَبُون ويُقْهَرونَ ، فقلت : فأين جُنْدُه من الملائكةِ ؟ ودَخلني ما يَدْخُلُ الناس من النفاسة[1] .

مناظرة أُمية للنبي ﷺ :

خرج أمية إلىٰ البحرين فأقام بها ثمان سنين ، ثم قدم الطائف فقال لهم : ما يقول محمد بن عبد الله ؟ قالوا : يزعم أنه نبي ، فهو الذي كنت تتمنىٰ ، فخرج حتىٰ قدم عليه فلقيه ، فقال : يا ابن عبد المطلب ، ما هذا الذي تقول ؟ قال : « أقول إني رسول الله ، وأن لا إله إلا الله » ، قال : فإني أريد أن

---

(١) المنتظم ٣/ ١٤٥ . وردت الرواية نفسها في مختصر تاريخ دمشق ٥/ ٤٢ ، ٤٦ . يقال : نَفِسْتَ عليه الشيء نفاسة إذا ظننت به ولم تحب أن يصل إليه . لسان « نفس » .

أكلمك ، فعدني غداً ، قال : « فَوَعْدكَ غداً » ، قال : أفتحب أن آتيك وحدي أو في جماعة من أصحابي ، وتاتي وحدك أو في جماعة من أصحابك ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أي ذلك شئت » ، قال : إني آتيك في جماعة .

فلما كان من الغد غدا أُمية في جماعة من قريش ، وغدا رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه حتىٰ جلسوا في ظل البيت ، فبدأ أُمية فخطب ثم سجع ثم أنشد الشعر حتىٰ إذا فرغ قال : أجبني يا ابن عبد المطلب فقال رسول الله ﷺ : ﴿ يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ ﴾[1] حتىٰ إذا فرغ منها وثب أُمية يجر رجليه إلىٰ راحلته ، وتبعته قريش تقول : ما تقول يا أُمية ؟ قال : أشهد أنه علىٰ الحق ، قالوا : فهل تتبعه ؟ قال : حتىٰ أنظر في أمره[2] .

ومن قول أُمية بن أبي الصلت في حديثه لأبي سفيان : أنا أطمع في النُّبوَّة وأخاف أن تُخطئني . . . وقد بُعث نبيٌّ من العرب فيئست من النُّبوّة فأصابني ما رأيت[3] .

وهناك روايات كثيرة حول أُمية تختلط الخرافة في كل جوانبها ، وله أشعار وقصائد سأذكر شواهد منها حول إيمانه وما كان يصبو إليه من أن يكون نبي العرب ، وهل النبوَّة تكون بالتمني والانتظار أم هي تكليف من الله عز وجل لإنسان يختاره من بين خلقه فيه مواصفات لا تكون في غيره من البشر ؟ .

وإن أمية بن أبي الصَّلت قال هذه القصيدة في أول المبعث يذكر فيها دين الإسلام ونبوة النبي محمد ﷺ :

لكَ الحمدُ والنَّعماءُ والملكُ رَبَّنا ⁂ ولا شيءَ أعلىٰ منكَ جَدّاً وأَمْجَدُ
مليكٌ علىٰ عرشِ السماءِ مُهَيْمِنٌ ⁂ لِعِزَّتِهِ تضوي الوجوهُ وتَسْجُدُ

---

(١) سورة يٓس الآية ١ ـ ٣ . إنه القرآن المعجزة ، فُصلت آياته وأُحكمتْ من لدُن عزيز حكيم .
(٢) المنتظم ٣/ ١٤٦ .
(٣) أغاني ٤/ ١٢٧ .

وسبحانَ ربِّي خالقِ النُّورِ لم يلدْ ... ولم يكُ مَوْلُوْداً بذلك أَشْهَدُ
هو الصَّمدُ الحيُّ الذي لم يكنْ له ... من الخلقِ كفؤٌ قد يُضاهِيْهِ مُضددُ
وأنَّىٰ يكونُ الخلقُ كالخالِقِ الذي ... يَدُومُ ويبقىٰ والخليقةُ تَنْفَدُ
وقد جاءَ ما لا شكَّ فيه من الهُدىٰ ... وليسَ يَرُدُّ الحقَّ إلا مُفَنِّدُ
فما لكَ في الشيطانِ والناسِ أُسوةٌ ... إذا ما صَلِيْتَ النَّارَ بل أنتَ أَبْعَدُ
وما لكَ من عُذرٍ بطاعةِ فاسقٍ ... ولا بلظىٰ نارٍ عملت لها يَدُ[1]

والقصيدة طويلة تفيض بشعور الإيمان الذي يتدفق من داخل أمية ، وكثيراً ما طلب النبي ﷺ أن يسمع شعر أمية للنفحات الروحانية التي يطلقها من إيمانه بالإله الإيمان المطلق .

وهذه قصيدة ثانية وطويلة ، ويظهر أنه قالها بعد أن شاع أمر النبي ﷺ وتبعه خلق كثير ويقول فيها :

إلهُ محمدٍ حقّاً إلهي ... وَدِيني دِينُهُ غيرُ انتحالِ
إلهُ العالمينَ وكلّ أرضٍ ... وربّ الراسياتِ من الجبالِ
وأَعْطىٰ كلَّ إنسانٍ كتاباً ... مُبِيْناً باليمينِ وبالشمالِ
ليقرأَ ما تقارَفَ ثم يُكْفَا ... حساباً نفسَهُ قبلَ السُّؤالِ
وقامَ القِسْطُ بالميزانِ عدلاً ... كما بانَ الخصيمُ من الجدالِ[2]

وفاته :

ولم يختلف أصحاب الأخبار أنه مات كافراً ، وصح أنه عاش حتىٰ رثىٰ أهل بدر ، وقيل : إنه مات سنة تسع من الهجرة في الطائف قبل أن يسلم الثقفيون[3] .

---

(١) المنتظم ٣/ ١٥٣ .
(٢) المنتظم ٣/ ١٥٤ .
(٣) خزانة الأدب ١/ ٢٥٢ .

ربما لم يظهر إسلامه ويتبع النبي ﷺ إنما له من الشعر ما يدل دلالة قاطعة علىٰ إيمانه واعترافه بنبوة محمد ﷺ وهذا شعره يثبت ذلك :

لَـكَ الحمـدُ والمـنُّ ربَّ العبـا ... دِ أنـتَ المليـكُ وأنـتَ الحكَـمْ
وَدِنْ ديـنَ رَبِّـك حتـىٰ التُّقـىٰ ... واجتنبـنَّ الهـوىٰ والضَّجَـمْ
محمـدٌ أرسَلَـهُ بـالهُـدىٰ ... فَعَـاشَ غنيّـاً ولـم يهتضـمْ
نبـيُّ هُـدىً صـادقٌ طيّـبٌ ... رحيـمٌ رؤوفٌ بـوصـلِ الـرَّحِـمْ
بـه خَتَـمَ اللهُ مَـن قبلـه ... وَمـن بعـدهِ مـن نبـيٍ خَتـمْ[1]

وقوله :

يـا ربِّ لا تجعلنـي كـافـراً أبـداً ... واجعل سريرة قلبي الدَّهرَ إيمانا[2]

وهناك عدة روايات حول وفاته ، وسأذكر أقربها للواقع لأن في البقية سعة في الخيال ، قال محمد بن إسماعيل الثقفي : شهدت أمية بن أبي الصلت حين حضرته الوفاة فأُغمي عليه طويلاً ، فرفع رأسه ونظر إلىٰ باب البيت فقال :

لبيكما لبيكما ها أنذا لديكما لا قوي فأنفر ولا بريء فأعتذر .

ثم أُغمي عليه طويلاً ثم أفاق ، فرفع رأسه ونظر إلىٰ باب البيت فقال :

لبيكما لبيكما ها أنذا لديكما لا عشيرتي تحميني ولا ذو مال يفديني .

ثم أُغمي عليه طويلاً ثم أفاق ، فرفع ، فقال :

كـلُّ حـيٍّ وإن تطـاوَلَ دَهْـرٌ ... صـائـرٌ مـرَّةً إلـىٰ أنْ يَـزولا
ليتنـي كنـتُ قبـلَ مـا قـد بَـدَا لـي ... فـي قـلالِ الجبـالِ أرعـىٰ الـوُعُـولا

ثم فاضت نفسه[3] .

---

(١) خزانة الأدب ١/ ٢٥٢ .
(٢) خزانة الأدب ١/ ٢٤٩ .
(٣) المنتظم ٣/ ١٤٨ . وفي الأعلام ١/ ٢٣ ـ توفي (٥هـ = ٦٢٦م) .

من شعره :

أشعار أُمية بن أَبي الصلت كثيرة ومتناثرة في كتب التاريخ والأدب وسأذكر هذه القصيدة لأنها تتعلق بإيمانه :

الحمـدُ لله مُمسـانـا ومُصبحنـا ... بـالخَيْـرِ صَبَّحنـا ربّـي ومَسَّـانـا
ربُّ الحَنيفـةِ لـم تَنفـذْ خَـزائنهـا ... مملـوءةً طَبَـقَ الآفـاقِ أَشْطـانـا
ألا نبـيٌّ لنـا منَّـا فَيخبـرنـا ... مـا بعـد غـايتنـا مـن رأسِ مَجـرانـا
بَينـا يُـربّبنـا آبـاؤُنـا هَلكـوا ... وبينمـا نَقتنـي الأولادَ أَبْـلانـا
وقـدْ عِلمنـا لـو أنَّ العلـمَ يَنفعنـا ... أنْ سـوفَ تلحـق أُخـرانـا بـأولانـا
وقد عجبتُ وما بالموتِ من عَجبٍ ... مـا بـال أَحيـائِنـا يبكـون مـوتـانـا !
يـا ربِّ لا تجعلَنّـي كـافـراً أبـداً ... واجعلْ سَريرةَ قلبي الدَّهْرَ إيمانا
واخْلِطْ به بِنْيتي واخْلِط به بَشري ... واللحـمَ والـدَّمَ مـا عُمِّـرتُ إنسـانـا
إنـي أعـوذُ بِمَـنْ حـجَّ الحجيـجُ لـهُ ... والـرَّافِعـونَ لـديـن اللهِ أركـانـا
مسلّميـنَ إليـه عنـد حجّهـم ... لـم يبتغـوا بثـوابِ الله أثمـانـا[1]

* * *

(١) خزانة الأدب ١/٢٤٨ ، ٢٤٩ .

ـ قبل نبوة النبي محمد ﷺ ربما كان أُمية يتمنىٰ علىٰ الله أن يكون هو ذلك النبي المنتظر ، أو من قومه أو ربما قصد من العرب :

أَلا نبـيٌّ لنـا منَّـا فيخبـرنـا ... مـا بعـد غـايتنـا مـن رأس مجـرانـا

ومن خلال شعر أُمية بن أَبي الصلت نرىٰ أن الرجل آمن وبنبوة محمد ﷺ خلافاً للروايات التي تقول أنه حسده النُّبوة وكانت الحسرة تأكل قلبه ، ولا أريد أن أُكرر ما ورد في ترجمته بل توضيح هذه الصورة فقط بما أورده من شعر ، فإنه قال بأن النبي محمد ﷺ أرسله الله بالهدىٰ ، وأنه نبي صادق طيب رحيم رؤوف يصل الرحم وبه ختم الله الأنبياء والمرسلين ، ثم يؤكد بأن إله محمد ﷺ هو إلهه ، ودينه هو دين محمد دون أدنىٰ شك . والله ورسوله أعلم . تعليق المؤلف عبد القادر فياض حرفوش .

سَجَاح(*) بنت الحارث التميمية

هي سَجَاح بنت الحارث بن عُقْفَان بن سُويد بن خالد بن أُسامة . ويقال : تنبأت أُمُّ صادر سَجاح بنت أَوْس بن حِقٍّ بن أُسامة بن الغنيز بن يَرْبُوع بن حَنظلة بن مَالك بن زَيدْ مَناة بن تَميم .

تكَّهنت فاتبعها قوم من بني تميم ، وقوم من أخوالها بني تغلب[1] .

وجاء : سَجاح المُتنبِّئة ، كانت تكنَّىٰ أم صادر ، وهي بنت أوس بن حَرِيز بن أُسامة بن العَنبَر بن يَرْبُوع[2] . وذلك أَنَّها كانت كاهنةً زماناً ، تَزعمُ أن رِئيَّها وَرِئيٍّ سَطيح واحدٌ ، ثم جَعلت ذلك الرِّئيَّ مَلكاً حتىٰ ادَّعت النُّبوَّة بعد موت النبي ﷺ ثم تَجهَّزت في قومها إلىٰ مُسيلمة الكذَّاب فقال قيس بن عاصم[3] :

أَضْحَتْ نَبيَّتُنا أُنثىٰ نُطيفُ بها ... وأَصْبَحتْ أَنبياءُ اللهُ ذُكْرانا
يا لعنةَ اللهِ والأَقوام كُلِّهمُ ... علىٰ سَجَاح وَمَنْ بالإِفكِ أَغْرانا

(*) جمهرة النسب ٢١٥ ، ٢٢١ ، جمهرة أنساب العرب ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ثمار القلوب ١/ ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، المعارف ٤٠٥ ، الردة ١٧٠ ، ١٧١ ، فتوح البلدان ١٣٨ . الطبري ٣/ ٢٦٧ ، ٢٧٥ ، الكامل في التاريخ ٢/ ٣٥٣ ، ٣٥٧ . مروج الذهب ٣/ ٤٥ . والمنتظم ٤/ ١٨ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، فصيحات العرب وبليغاتهم في النثر ١٣٦ .

(١) فتوح البلدان ١٣٨ . وفي جمهرة النسب سجاح بنت أوس بن حِقّ بن أُسامة بن العَنْبَر بن يَربُوع بن حَنْظَلة بن مالك بن زَيْد مَناة بن تميم .

(٢) جمهرة أنساب العرب ٢٢٦ .

(٣) قيس بن عاصم بن سنان المنقري ، كان سيداً جواداً ، وفد علىٰ النبي ﷺ في وفد بني تميم فأسلم ، فاستعمله الرسول ﷺ علىٰ صدقات قومه ، وكان حرم الخمر علىٰ نفسه في الجاهلية معجم الشعراء ١٩٩ ، الأغاني ١٤/ ٦٩ .

أَعنـي مُسيلمـةَ الكـذَّابَ لا سُقيَـتْ أَصـداؤه مـاءَ مُـزْنٍ حيثمـا كـانـا[1]

قال الجاحظ : لم نَعلم أحداً قَطُّ ادَّعىٰ أنَّ الله أرسله إلىٰ قوم وآمنوا به ثم زَعمَ أنه كاذبٌ سوىٰ طُليحة وسَجاح ؛ فإنَّهما تنَبَّئآ ثم أظهرا التَّوبة ، وجلسا يُحدِّثان من كان مؤمناً بهما وصدَّقهما ، ويُخبرانهم بأنَّهما كانا فيما يدَّعيان مُبطلين كاذبين ، وإذا لم تستح فاصنع ما شئت[2] .

وقال الشاعر :

أَضـلَّ الله سَعْـيَ بنـي تميـمٍ كمـا ضلّـتْ بخُطبتهـا سَجـاحِ[3]

إدعاء سَجَاح النبوة وقيادتها الجيش لغزو المدينة :

ادعت سَجاح النُّبوّة ، وتبعها رجال من قومها ، غَيْلان بن خَرشة ، والحارث بن الأهتم ، وجماعة من تميم ، وكان لها مؤذن يؤذن لها ويقول : أشهد أن سَجاح نبيّة الله[4] .

ولقد ذُكر لها من المؤذنين كل من : الجَنُبَةُ بن طَارق بن عَمْرو بن حَوط بن سَلمي بن هَرميّ[5] . . وشبَث بن رِبْعِيّ الرِّياحي[6] .

وأقبلت سَجاح بنت الحارث من الجزيرة ، وكانت ورهطها في بَني تَغْلب تقود أَفْنَاءَ رَبيعة ، معها الهُذيل بن عمران في بني تغلب ، وعَقَّة بن هِلال في النِّمر ، وتاد بن فلان في إياد ، والسّليل بن قَيْس في شَيبان[7] ، وجاء هجوم

---

(١) ثمار القلوب ١/ ٤٨٥ .

(٢) ثمار القلوب ١/ ٤٨٦ .

(٣) مروج الذهب ٣/ ٤٥ .

(٤) الردة ١١١ .

(٥) جمهرة النسب ٢١٥ ، وجمهرة أنساب العرب ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(٦) فتوح البلدان ١٣٨ ، ١٣٩ .

(٧) طبري ٣/ ٢٦٩ ـ إن الهذيل بن عمران ، ترك التنصر واستجاب لها . وتاد : وهو =

سَجاح والناس في قلق واختلاف فيما بينهم وارتباك في كل قبيلة بين مؤيد للردة . ومناصر للإسلام ، وقال الشاعر عُفَيف بن المنذر في ذلك :

أَلَمْ يأتيكِ والأنباءُ تَسْري ... بما لاقَتْ سَراةُ بني تَميم
تَداعىٰ من سَراتهمُ رِجالٌ ... وكانوا في الذَّوائب والصَّميم
وألجُوْهم وكان له جِنابٌ ... إلىٰ أَحياء خاليةٍ وخِيمِ[1]

وإن هؤلاء الرؤساء الذين أقبلوا معها لتغزو بهم أبا بكر ، فلما انتهت إلىٰ الحَزْن[2] راسلت مالك بن نُويرة ودَعته إلىٰ الموادعة فأجابها . وفثأها[3] عن غزوها ، وحملها علىٰ أحياء من تميم . قالت : نعم ، فشأنك بمن رأيت ، فإني أنا امرأة من بني يَرْبُوع ، وإن كان مُلك فالمُلك مُلككم ، فأرسلت إلىٰ بني مالك بن حَنْظَلة تدعوهم إلىٰ الموادعة ، فخرج عطارد بن حاجب وسَروات بني مالك حتىٰ نزلوا في بني العَنْبَر علىٰ سَبْرة بن عمرو هرّاباً كرهوا ما صنع وكيع وخرج أشباههم من بني يربوع ؛ حتىٰ نزلوا علىٰ الحُصين بن نِيار في بني مازن ، وقد كرهوا ما صنع مالك ، فلما جاءت رسلُها إلىٰ بني مالك تطلب الموادعة ، أجابها إلىٰ ذلك وكيع ، فاجتمع وكيع ومالك وسَجاح ، وقد وادع بعضهم بعضاً ، واجتمعوا علىٰ قتال الناس وقالوا : بمن نبدأ ؟ بخَضّمّ ، أم

= أبو عدي بن وتاد الإيادي . حاشية طبري ٣/ ٢٦٩ .

(١) طبري ٣/ ٢٦٩ .

(٢) الحزْن والحزْم : الغليظ من الأرض . والحَزْون في بلاد العرب ثلاثة ، حَزْنُ جعدة وهم من ربيعة وبين حزن جعدة وحزن بني يربوع حزن غاضرة ـ وجاء أيضاً : الحزون في جزيرة العرب ثلاثة : حزن بني يربوع وحزن غاضرة من بني أسد ، وحزن كلب من قضاعة . وحَزْنُ يربوع وهو قرب فَيد ، وهو من جهة الكوفة ، وهو من أجل مرابع العرب ، فيه قيعان ، وقال جرير :

ساروا إليك من السَّهبا ، ودونهم ... فَيحانُ فالحزن فالصَّمّان فالوَكَف

انظر معجم البلدان ترجمة ٣٧٠٤ .

(٣) فثأها ـ كفها .

ببَهدىٰ ، أم بعوف والأبناء ، أم بالرِّباب ؟ وَكَفّوا عن قَيس لما رأوا من تردّدِه وطمعوا فيه ، فقالت : « أعِدُّوا الرِّكاب ، واستعدوا للنّهاب ، ثم أغيروا علىٰ الرِّباب ، فليس دونهم حجاب » .

وصمدتْ[1] سَجاح للأحفار حتىٰ تنزِل بها ، وقالت لهم : إن الدَّهْنا حجاز بني تميم ، ولن تعدوَ الرِّباب ؛ إذا شدها المصاب ، أن تلوذ بالدجاني والدهاني ، فلينزلها بعضكم . فتوجه الجفول ـ يعني مالك بن نُويرة ـ إلىٰ الدجاني فنزلها ، وسمعتْ بهذا الرِّباب فاجتمعوا لها ؛ ضبَّتها ، وعبد مناتها ، فولي وكيع[2] وبشر[3] بني بكر من ضبَّه ، ووَليَ ثَعلبة بن سَعد بن ضبَّة عقَّة ، ووَليَ عبد مَناة الهُذيلُ[4] . فالتقىٰ وكيع وبشر وبنو بكر من بني ضبَّة فهُزما ، وأُسِرَ سماعة[5] ووكيع وقعقاعٍ[6] ، وقتلتْ قتلىٰ كثيرة ، فقال في ذلك قَيْس بن عاصم ، وذلك أوّل ما استبان فيه الندم :

رأيتُكَ قد صَاحَبْتَ ضَبَّةَ كارهاً … علىٰ نَدَبٍ في الصَّفْحَتَيْن وَجيع
ومُطلِقُ أَسْرىٰ كان حمقاً مَسيرُها … إلىٰ صَخَراتٍ أَمْرُهُنَّ جَميع[7]

فصرفتْ سَجاح والهُذيل وعقَّة بني بكر ، للموادعة التي بينها وبين وكيع بن مالك ـ وكان عقَّة خالَ بشر ـ وقالت : اقتلوا الرِّباب ويصالحونكم ويطلقون أسراكم ، وتحملون لهم دماءهم ؛ وتحمَد غبَّ رأيهم أخراهم . فأَطلقتْ لهم ضبَّة الأسرىٰ ؛ ووَدُا القتلىٰ ، وخرجوا عنهم .

---

(١) صَمدتْ : قَصدتْ .
(٢) هو وكيع بن مالك . فهرس الطبري ١٠/ ٤٩ .
(٣) هو بشر والي بني بكر من بني ضبَّة . فهرس الطبري ١٠/ ١٩٤ .
(٤) هو الهُذيل بن عمران .
(٥) من أصحاب سجاح .
(٦) هو القعقاع بن معبد التميمي . فهرس الطبري ١٠/ ٣٧٥ .
(٧) طبري ٣/ ٢٧٠ .

فقال في ذلك قيس بن عاصم يُعيِّرهم صُلح ضبَّة ، إسعاداً لضبَّة وتأنيباً لهم ، ولم يدخل في أمر سَجاح عمريّ ولا سعدي ولا ربِّي ، ولم يطمعوا من جميع هؤلاء إلا في قَيْس حتَّىٰ بدا منه إسعاد ضبَّة ، وظهر منه الندم ، ولم يمالئهم من حَنْظَلة إلا وكيع بن مالك ، ومالك بن نُويرة ؛ فكانت مما لأتهما موادعة علىٰ أن ينصر بعضهم بعضاً ويحتاز بعضهم لبعض ، وقال أصَمُّ التيمي في ذلك :

أَتَتْنا أختُ تَغلب فاستهدّتْ ... جَلائب من سَرَاةِ بني أَبينا
وأَرْسَتْ دَعوةً فينا سَفاهاً ... وكانت من عمائر آخرينا
فما كُنَّا لنَرْزيهم زِبالاً ... وما كانت لتُسْلم إذ أُتينا
أَلا سَفِهَتْ حلومُكُمُ وضلَّتْ ... عَشِيَّةَ تَحْشُدونَ لها ثُبينَا[1]

ثم إنّ سَجاح خرجت في جُنود الجزيرة ، حتىٰ بلغت النِّبَاج[2] فأغار عليهم أوس بن خُزيمة الهُجَيْمي فيمن تأشَّبَ إليه من بني عمرو ، فأسِر الهُذيل ؛ أسره رجلٌ من بني مازن ثم أحد بني وَبر ، يدعىٰ ناشرة[3] ، وأسِرَ عَقَّة[4] ، أسره عبدة الهُجَيْمي ، وتحاجزوا علىٰ أن يترادّوا الأسرىٰ ، وينصرفوا عنهم ، ولا يتجاوزوا عليهم ، ففعلوا ، فردوها وتوثَّقوا عليها وعليهما أن يرجعوا عنهم ولا يتَّخذوهم طريقاً إلا من ورائهم ، فوفوا لهم .

ولمَّا رجع الهُذيل وعقَّة إليها واجتمع رؤوساء أهل الجزيرة قالوا لها : ما تأمريننا ؟ فقد صالح مالك ووكيع قومهما ، فلا ينصروننا ولا يزيدوننا علىٰ

---

(١) الطبري ٣/ ٢٧١ .

(٢) في بلاد العرب نباجان أحدهما علىٰ طريق البصرة يقال له نباج بني عامر وهو بحذاء فيد ، والآخر نباج بني سعد بالقريتين ، وقيل النباج بين مكة والبصرة للكريزيين ، ونباج آخر بين البصرة واليمامة . ومعنىٰ النِّباجُ : الآكام العالية . انظر (معجم البلدان ترجمة ١١٨٧٥) .

(٣) هو ناشرة التغلبي الكامل في التاريخ ١/ ٥٣٢ ، ٥٣٣ .

(٤) هو عقة بن هلال النّمري المصدر السابق نفسه ٢/ ٣٥٤ .

أن نجوز في أرضهم ، وقد عاهدنا هؤلاء القوم .

فقالت : اليمامة ؛ فقالوا : إن شوكة أهل اليمامة شديدة ، وقد غلُظَ أمر مُسيْلمة .

فقالت : « عليكم باليمامة ؛ ودفُّوا دَفِيفَ الحمامة ؛ فإنها غزوة صَرّامة ، لا يلحقكم بعدها ملامة » . فنَهَدَتْ لبني حنيفة ، وبلغ ذلك مُسيْلمة فَهَابَها ، وخافَ إن هو شغل بها أن يَغلبه ثُمامة ابن أُثال علىٰ حَجْر أو شرحبيل بن حَسَنة ، أو القبائل التي حولَهم ، فأهدىٰ لها ؛ ثم أرسل إليها يستأمنها علىٰ نفسه حتىٰ يأتيها .

لقاء سَجاح ومُسيلمة الكذاب كما وردت في الطبري :

بعد أن أذنت له وآمنته ، نزلت الجنود علىٰ الأمواه ، فجاءها وافداً في أربعين من بني حَنيفة ـ وكانت راسخةً في النَّصرانيّة ، قد علمت من علم نصارىٰ تغلب ـ فقال مُسيلمة : لنا نصف الأرض ، وكان لقريش نصفها لو عدلَتْ ، وقد رد الله عليكِ النّصف الذي رَدَّتْ قريش ، فَحَباكِ به ، وكان لها لو قبلتْ .

فقالت : « لا يردّ النّصف إلّا من حنَفَ[1] ، فاحمل النَّصف إلىٰ خيل تراها كالسَّهَف »[2] .

فقال مسيلمة : « سمع الله لمن سمع ، وأطمعه بالخير إذ طمع ؛ ولا زال أمره في كلّ ما سرّ نفسه يجتمع . رآكم ربّكم فحيَّاكم ، ومن وحشة خلّاكم ؛ ويوم دينه أنجاكم ، فأحياكم علينا من صلوات معشر أبرار ، لا أشقياء ولا فجّار ، يقومون الليل ويصومون النهار ، لربّكم الكُبار ، رب الغيوم والأمطار » .

---

(١) حنف : مال .

(٢) السهف : فلوس السمك الصغار ، أرادت أنها هزيلة .

وقال أيضاً : « لمّا رأيت وجوههم حَسُنَت ، وأبشارهم صَفت ، وأيديهم طَفُلَت ؛ قلت لهم : لا النساء تأتون ، ولا الخمر تشربُون ، ولكنَّكم معشر أبرار ، تصومون يوماً ، وتكلفون يوماً ، فسبحان الله ! إذا جاءت الحياة كيف تحيَوْن ، وإلىٰ ملك السماء ترقَوْن ! فلو أنها حبّة خرْدَلة ، لقام عليها شهيد يعلم ما في الصدور ، ولأكثر الناس فيها الثُّبور » .

وفي رواية ثانية للطبري يقول عن لقاء سَجاح ومسيلمة الكذاب .

ذكر أنّ مُسيلمة لما نزلتْ به سجاح ، أغلق الحِصْن دُونها ، فقالت له سَجاح : انزل ، قال : فنحِّي عنكِ أصحابَكِ ، ففعلت . فقال مُسيلمة : اضربوا لها قُبَّةً وجَمِّروها لعلها تذكر الباه ؛ ففعلوا ، فلمَّا دخلت القُبَّة نزل مُسيلمة فقال : ليقف ها هنا عشرة ، وها هنا عشرة ، ثم دارسها فقال : ما أوحىٰ إليك ؟ .

فقالت : هل تكون النساءُ يبتدئن ! ولكن أنت قُلْ ما أوحىٰ إليك ؟ .

قال : « ألم تر إلىٰ ربك كيف فعل بالحُبْلىٰ ، أخرج منها نسمة تسْعىٰ ، من بين صِفاق[1] وحشىٰ » .

قالت : وماذا أيضاً ؟ .

قال : أوحىٰ إليّ : « أنّ الله خلق النساء أفراجا ، وجعل الرجال لهن أزواجا ، فنولج فيهن قُعْساً إيلاجا ، ثم نُخْرجُها إذا نشاء إخراجا ، فينتجن لنا سِخالاً إنتاجا » .

قالت : أشهد أنك نبيّ .

قال : هل لكِ أن أتزوجك فآكل بقومي وقومك العرب ! .

قالت : نعم .

---

(١) الصفاق : الجلد الأسفل الذي تحت الجلد الذي عليه الشعر .

قال :

ألاَ قُومي إلىٰ النّيك فقد هُيّ لك المَضْجَعْ
وإنْ شئتِ فَفي البَيْتِ وإن شئتِ فَفي المخدَعْ
وإن شئتِ سلقناكِ وإن شئتِ علىٰ أَرْبَعْ[1]
وإن شئتِ بثُلْثيهِ وإن شئتِ بهِ أجْمَعْ[2]

قالت : بل به أجمع ، قال بذلك أوحي إليّ ، فأقامت عنده ثلاثاً ثم انصرفت إلىٰ قومها ، فقالوا : ما عندك ؟ .

قالت : كان علىٰ الحقِّ فاتّبعتُه فتزوجته ، قالوا : فهل أصدَقَك شيئاً ؟ قالت : لا ، قالوا : ارجعي إليه ، فقبيحٌ بمثلك أن ترجع بغير صَدَاق ! فرجعت ، فلمَّا رآها مُسيلمة أغلق الحِصْن ، وقال : ما لك ؟ قالت : أصدقني صداقاً ، قال : من مؤذنك ؟ قالت : شَبَث بن رِبْعي الرِّياحي ، قال : عليّ به ، فجاء فقال : نادِ في أصحابك أنَّ مُسيلمة بن حبيب رسولُ الله قد وضع عنكم صلاتين ممَّا أتاكم به محمد : صلاة العشاء الآخرة ، وصلاة الفجر . وكان من أصحابها الزِّبرقان بن بدر ، وعُطارد بن حاجب ونُظراؤهم .

وذكر الكلبي أن مَشيخة بني تميم حدّثوه أن عامَّة بني تميم بالرّمل لا يصلونهما ، فانصرفت ومعها أصحابها ، فيهم الزِّبرقان بن بدر ، وعُطارد بن حَاجب ، وعَمْرو بن الأهْتَم ، وغَيلان بن خَرَشة وشَبَث بن رِبْعي .

وقال حكيم بن عيَّاش الأعور الكلبي ، وهو يُعيِّر مُضَر بسَجاح ويذكر ربيعة :

أَتوْكُمْ بِدينٍ قائِم وأُتيتمُ بِمُنْتَسِخ الآيات في مُصْحَفٍ طَبِّ[3]

---

(١) سلقها : ألقاها علىٰ قفاها ليباضعها .

(٢) وردت الأبيات نفسها في الأغاني ٢١/٣٦ أما في المنتظم فجاء البيت الأول ألا قومي إلىٰ المخدع . . . أما صدر البيت الثالث فقد جاء في المنتظم فإن شئت علىٰ اثنين . . . ٤/٢٣ .

(٣) طبري ٣/ ٢٧٤ .

فصالحها مُسيلمة علىٰ أن يحمل إليها النصف من غَلّات اليمامة ، وأبت إلّا السنة المقبلة يُسلِفها ، فباح لها بذلك ، وقال : خَلّفي علىٰ السلف من يجمعه لك ، وانصرفي أنت بنصف العام ؛ فرجع فحمل إليها النّصف ، فاحتملته وانصرفت به إلىٰ الجزيرة وخلفت الهُذيل وعقّة وزياداً لينجز النّصف الباقي ، فلم يفجأهم إلا دُنُو خالد بن الوليد منهم ، فارفضوا . فلم تزل سَجاح في بني تغلب حتىٰ نقلهم معاوية عام الجماعة في زمانه[1] . إلىٰ العراق وأسلمت وحسن إسلامها وانتقلت إلىٰ البصرة وماتت بها وصلىٰ عليها سَمُرة بن جُندب وهو علىٰ البصرة لمعاوية قبل قدوم عبيد الله بن زياد من خراسان وولايته البصرة[2] .

لما انصرفتْ سَجاح إلىٰ الجزيرة ، ارعوىٰ مالك بن نُويرة ، وندم وتحير في أمره ، وعرف وكيع وسماعة قُبح ما أتيا ، فرجعا رجوعاً حسناً ، ولم يتجبّرا ، وأخرجا الصدقات فاستقبلا بها خالداً ؛ فقال : خالد : ما حملكما علىٰ موادعة هؤلاء القوم ؟ فقالا : ثأرٌ كنا نطلبه في بني ضبَّة ، وكانت أيام تشاغل وفرص وقال وكيع بن مالك في ذلك :

فـلا تَحْسَبـا أنّـي رجعـتُ وأنّنـي ... مُنِعْـتُ وقـد تُحْنَـىٰ إلـيَّ الأصـابـعُ
ولكنني حـامَيْـتُ عـن جُـلِّ مـالـكٍ ... ولاحظـتُ حتـىٰ أكحلتنـي الأخـادعُ
فلمّـا أتَـانـا خـالـدٌ بلـوائـه ... تَخطّـتْ إليـه بـالبُطـاح الـوَدَائـعُ

فلم يبق في بلاد بني حَنْظَلة شيء يُكره إلّا ما كان من مالك بن نُويرة ومن تأشّب إليه بالبُطاح ، فهو علىٰ حاله متحيِّرٌ شَجٍ[3] .

---

(١) طبري ٣/ ٢٧٥ .
(٢) الكامل في التاريخ ٢/ ٣٥٧ وجاء في الأعلام أن وفاتها كانت سنة (٥٥هـ) . وانظر ترجمة لها في كتاب فصيحات العرب وبليغاتهم في الجاهلية والإسلام . في النثر ـ عبد القادر فياض حرفوش .
(٣) تاريخ الطبري ٣/ ٢٧٦ .

=

وفي رواية الأصبهاني جاء :

قيل للأحنف وكان ممن زَفَّ سجاح إلىٰ مُسيلمة . ما وجدته ؟ .

قال : ما هو بنبي صادق ولا مُتنبئ حاذق .

كان أصحاب سجاح يكذبون مُسيلمة ، وأصحاب مُسيلمة يكذبون سجاح فقالت سجاح : نذهب إليه فإن كان نبياً أطعناه .

= سَجاح عندما قادت جيشاً بِعُدتِهِ وعِتاده ، بدت أنها امرأة غير عادية تبز الرجال ، لما تميزت به من قوة الشخصية وحب السيطرة وبسط النفوذ .

ولكن شخصيتها تضاءلت وتقزمت وهزلت عندما استسلمت لِمُسيلمة واعترفت بنبوته ، وهنا تعرت من كل صفة جيدة بعدما حصل لها من لقاء أساء لسمعتها ووقعت في أحضان مُسيلمة ظهرت علىٰ حقيقتها بأنها امرأة عادية لا تتمتع ببعد نظر وتنقصها الخبرة والدهاء ، الذي يتطلبه قيادة الجيش وتحقيق الهدف ، وهنا أسقط مُسيلمة عنها قناع النُّبوة الذي تدعيه ، وقدم لها بعض العطاءات وعادت تجر ذيول الخيبة .

وأسأل نفسي لماذا قبلت سجاح أن تقود جيشاً لتدك عاصمة الإسلام المدينة المنورة ، وبذلك تكون عاملًا مساعداً للمرتدين في جزيرة العرب للقضاء علىٰ دولة الإسلام الفتية . وربما كان هناك أكثر من سبب :

١ ـ ربما كان وراءها من يدفعها من أخوالها بني تغلب الذين يعتنقون النصرانية خوفاً من ظهور الدين الجديد في جزيرة العرب ، وربما يمتد علىٰ أرض العرب قاطبة أو يتعداها ، وقد يمس وجودهم ودينهم .

٢ ـ ربما خطط لِسَجاح البيزنطيين وبعض من أخوالها من قادة تغلب ، كونها تنتمي لقبيلة تميم من كبريات قبائل العرب وكذلك اتصالها بتغلب . ولقد خشي البيزنطيون من أن دولة الإسلام الجديدة قد تشكل خطراً علىٰ وجودهم في أرض العرب .

٣ ـ وإنني أستبعد أن تكون سَجاح تلك المرأة المتمردة التي تشكل جيشاً جراراً وتغزو جزيرة العرب دون دوافع سياسية . ولكنها لم تكن موفقة ولم ينفعها سجعها .

باعتقادي أنها عاشت معذبةً نادمةً لأن الناس كان ينظرون إليها بأن هذه المرأة الكاذبة التي ادعت النُّبوة . ورغم ذلك عفىٰ عنها المسلمون ـ وبقي التاريخ في حياة الشعوب ذاكرة لا تنسىٰ . المؤلف عبد القادر فياض حرفوش .

فذهبت بقومها فأغلق باب حصنه وشارطها علىٰ الدخول وحدها ، فلما خلت به قالت : ما أنزل الله عليك ؟ .

قال : أنه يحل لي أن أنكح المتزوجات وتصبوا إلي المرأة الفضيلة نجدها فيَّ وتدع زوجها .

قالت : فهل من آية غيرها ؟ .

قال : لم أومر بآية غيرها فأقلع عنها حتىٰ تقبل أو ترد .

قالت : قد ركنت إلىٰ ذلك .

ثم واقعها فخرجت إلىٰ قومها فقالت إني وجدت نبوته صادقة وتزوجته[1] .

وبقية الرواية مشهورة ومذكورة .

* * *

---

(١) محاضرات الأدباء للأصبهاني ٤/ ٤٣١ .

سَوادُ(*) بْنُ قَارِبِ

هو سَوَاد بن قارِب الأَزدي الدَّوْسيّ ، وقال ابن أبي خَيثمة : هو سّدوسيّ من بني سَدوس ، وكان كاهناً في الجاهليَة ، له صحبة ، وكان شاعراً[1] .

بين عمر بن الخطاب وسَواد بن قارب :

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أَتهم عن عبد الله بن كَعْب ، مولىٰ عثمان بن عفَّان ، أنه حدَّث : أن عمر بن الخطاب ، بينا هو جالس في الناس في مسجد رسول الله ﷺ إذ أقبل رجل من العرب داخلاً المسجد ، يريد عمر بن الخطاب ، فلما نظر إليه عُمرُ رضي الله عنه قال : إن هذا الرجل لعَلىٰ شِرْكه ما فارقه بعدُ ، أو لقد كان كاهناً في الجاهلية ، فسلَّم عليه الرجل ، ثم جلس ، فقال له عمر : هل أسلمتَ ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال له : فهل كنت كاهناً في الجاهلية ؟ فقال الرجل : سبحان الله يا أمير المؤمنين ! خِلْتَ في ، واستقبلتني بأمر ما أراك قلته لأحد من رعيتك منذ وليتَ ما وليتَ ، فقال عمر : اللهمَّ غفرا[2] ، قد كنَّا في الجاهلية علىٰ شر من هذا ، نعبد الأصنام ، ونعتنق الأوثان ، حتىٰ أكرمنا الله برسوله وبالإسلام ، قال : نعم ، والله يا أمير المؤمنين ، لقد كنت كاهناً في الجاهلية ، قال : فأخبرني ما جاءَكَ به صاحبُك ، قال : جاءني قبل الإسلام بشهر أو شَيْعِه[3] ، فقال : ألم تَرَ إلىٰ

(*) أسد الغابة ٢/ ٥٩٠ ، الإصابة ٣/ ١٨١ ، سيرة ابن هشام ١/ ٢٠٩ ، الاستيعاب ٢/ ٢٣٣ ، المنتظم ٢/ ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، الوافي بالوفيات ١٦/ ٣٥ .

(١) أسد الغابة ٢/ ٥٩٠ .

(٢) كلمة تقولها العرب إذا أخطأ الرجل علىٰ الرجل ، ومعناها : اللهم اغفر لي غفرا .

(٣) شيعه : دونه بقليل .

الجنّ وإبلاسها[1] ، وإياسها[2] من دينها ، ولُحوقها بالقِلاص[3] وأحلاسها[4] .

قال ابن هشام : هذا الكلام سجع ، وليس بشعر[5] .

وردت رواية تقول : ثم سأله (أي عمر) عن بدء حديثه في الإسلام وما أتاه به رِئيُّهُ من ظهور رسول الله ﷺ ، فأخبره أنه أتاه رِئيُّه ثلاث ليالٍ متواليات هو فيها كلها بين النائم واليقظان فقال له : قم يا سواد واسمع مقالتي واعقلْ إن كنت تعقل قد بُعث رسولٌ من لؤي بن غالب يدعو إلىٰ الله وإلىٰ عبادته ، وأنشده في كل ليلةٍ من الليالي الثلاث ثلاثة أبيات معناها واحد وقافيتها مختلفة وأولها :

عَجِبتُ لِلجنِّ وتَطلابِها ... وشَدِّها العيسَ بأقْتَابِها
تَهوي إلىٰ مكَّة تَبغي الهُدىٰ ... ما صَادقُ الجنِّ ككذّابِها
فارحلْ إلىٰ الصَّفوةِ من هاشمٍ ... ليسَ قُدامَها فأذْنَابِها[6]

قال : فقمتُ في الثالثة وقلت : قد امتحن الله قلبي ، فَرحلتُ ناقتي ثم أتيت المدينة فإذا رسول الله وأصحابه حوله ، فدنوت فقلت : اسمع مقالتي يا رسول الله فقال : هاتِ ، فأنشأت أقول :

أَتَاني نَجيِّي بعدَ هَدءٍ ورَقْدةٍ ... ولم يك فيما قد بلوتُ بكاذبِ
ثلاثَ ليالٍ قولُهُ كلَّ ليلةٍ ... أتاكَ رسولٌ من لؤي بن غالبِ

---

(١) أبلس الرجل : إذا سكت ذليلاً أو مغلوباً .
(٢) الإياس : اليأس .
(٣) القلاص من الإبل : الفتية .
(٤) الإحلاس : جمع حلس ، وهو كساء من جلد يوضع علىٰ ظهر البعير .
(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٢٠٩ ، ٢١٠ .
(٦) انظر الأبيات في الوافي بالوفيات ١٦/ ٣٥ ، ٣٦ ، والاستيعاب ٢/ ٢٣٤ . وأسد الغابة ٢/ ٥٩١ ، والإصابة ٣/ ١٨٢ .

فشمَّرتُ من ذَيلي الإزارَ ووسطَّتْ لي الذّعلبُ الوَجْناءُ بين السباسبِ
فــأشهــدُ أنَّ الله لا شــيءَ غيــرهُ وأنَّـكَ مـأمـونٌ علـىٰ كُـلِّ غـائـبِ
وأنَّـكَ أدنـىٰ المـرسليـنَ وسيلـةً إلىٰ الله يا ابنَ الأكرمينَ الأطايبِ
فَمُرنا بما يأتيكَ يا خيرَ مَنْ مشىٰ وإنْ كانَ في مَا جَاءَ شَيبُ الذوائب
وكُنْ لي شَفيعاً يومَ لا ذو شفاعةٍ سِواكَ بِمُغنٍ عن سَواد بنِ قَاربِ[1]

ولقد قال ابن خلدون عن الكهنة : ولا يصدُّهم عن ذلك ويوقعهم في التكذيب إلا قوة المطامع في أنها نُبوَّة لهم ، فيقعون في العناد كما وقع لأمية بن الصلت فإنَّه كان يطمع أن يتنبأ ، وكذا وقع لابن الصياد[2] ولمسيلمة وغيرهم فإذا غلب الإيمان وانقطعت تلك الأماني آمنوا أحسن إيمان كما وقع لطليحة الأسدي وسواد بن قارب وكان لهما في الفتوحات الإسلامية من الآثار الشاهدة بحسن الإيمان .

أوردت رواية سواد بن قارب كونه كان من الكهان في الجاهلية وكان له رئي في الجن وذلك لمعرفة اعتقادهم في الجن وعبادة الأصنام والشمس والقمر والنار وذلك قبل الإسلام . أما سواد فلم يخبر عنه بأنه ادعىٰ النُّبوة سوىٰ علاقته بالجن الذي يخبره الأخبار .

* * *

(١) انظر هذه القصيدة في الاستيعاب ٢/ ٢٣٤ ، والوافي بالوفيات ١٦/ ٣٦ .
(٢) ابن الصياد : جاء في الطبري ٤/ ٩١ وفي الكامل في التاريخ ٢/ ٥٥٠ وكان صافي بن صيّاد مع المسلمين في خيل النعمان فأتىٰ صافي باب السوس فدقه برجله ، فقال : انفخ بظار ! وهو غضبان ، فتقطعت السلاسل ، وتكسرت الأغلاق ، وتفتحت الأبواب ، ودخل المسلمون ، وألقىٰ المشركون بأيديهم ، ونادوا : الصلح ، الصلح ، فأجابهم إلىٰ ذلك المسلمون بعدما دخلوها عنوة ، واقتسموا ما أصابوا (الكامل في التاريخ ٢/ ٥٥٠) وكان علم الرهبان والقسيسون لا يفتح السوس إلا الدّجال أو قوم فيهم الدجال وقالوا للعرب فإن كان فيكم فستفتحونها . (المنتظم ٤/ ٢٣٥) .

طُلَيْحةُ(*) بن خُوَيْلد الأَسَدي

هو طُلَيْحة بن خُوَيلد بن نَوْفل بن نَضْلة بن الأَشْتَر بن حَجْوان بن فَقْعَس الذي ادّعىٰ النُّبوة ثم أسلم[1] .

وجاء أيضاً : هو طُلَيْحة بن خُوَيلد بن نُوْفَل بن نَضْلَة بن الأَشْتَرَ بن حَجْوان بن فَقْعُس بن طَريف بن عَمرو بن قُعين بن الحارث بن ثَعْلَبة بن دُودَان بن أَسد بن خُزيمة الأَسدي الفَقْعَسي[2] . زعموا أنه كان يعدل بألف فارس ، وهو الذي ارتد ببني أَسد يوم بُزاخة[3] .

وَفدُ بني أَسد علىٰ الرسول ﷺ : وعن محمد بن كَعْب القرظي قال :

قدم عشرة نَفر من بَني أَسد وافدين علىٰ سيدنا رسول الله ﷺ سنة تسع ، وفيهم طُلَيْحة بن خُوَيلد ، ورسول الله ﷺ جالس في المسجد مع أصحابه ، فأسلموا ، وقال متكلمهم : يا رسول الله ، إنا شهدنا أن الله وحده لا شريك له ، وأنك عبده ورسوله ، وجئناك يا رسول الله ، ولم تبعث إلينا بعثاً ونحن لمن وراءنا سلم . فأنزل الله تعالىٰ : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[4] .

(*) مختصر تاريخ دمشق ١١/ ٢١٤ ، الكامل في التاريخ ٢/ ٣٤٣ ، الطبري ٣/ ٢٥٣ ، انظر فهرس كتاب الردة ـ ٨٢ . المنتظم ٤/ ٢٤ ، ٢٨٢ ، معجم البلدان ١/ ٤٨٤ ، الروض المعطار ٩٢ . جمهرة أنساب العرب ١٩٦ جمهرة النسب ١٧٠ .

(١) جمهرة أنساب العرب ١٩٦.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ١١/ ٢١٤ .

(٣) جمهرة النسب ١٧٠ . وبزاخة : ماء لطيء ، وقيل لبني أسد بأرض نجد ، وكانت فيه الوقعة العظيمة بين طُليحة وخالد بن الوليد، أيام أبي بكر الصديق (معجم البلدان ١/ ٤٨٤ ، ٤٨٥) .

(٤) سورة الحجرات ٤٩/ ١٧ . مختصر تاريخ دمشق ١١/ ٢١٤ . والكامل في التاريخ ٢/ ٢٨٧ .

ارتد طليحة وتنبأ في حياة النبي ﷺ فوجه إليه ضرار بن الأزور عاملاً علىٰ بني أسد وأمرهم بالقيام علىٰ من ارتد . فضعف أمره حتىٰ لم يبق إلا أخذه[1] . وضربه مخنف بن السليل يوماً بسيف فلم يهلك ، لكنه غشي عليه ، فقال قوم : إن السلاح لا يحيك في طُليحة ، فصار ذلك فتنةً ، وما زال في نقصان والمسلمون في زيادة إلىٰ أن جاءت وفاة النبي ﷺ فتناقض أمر المسلمين[2] . وتبعه كثير من العرب عَصبية ، فلهذا كان أكثر أتباعه من أَسد وغَطفان وطَيء ، فسارت فزارة وغطفان إلىٰ جنوب طَيْبة ، وأقامت طيء علىٰ حدود أراضيهم وأَسد بسُميراء ، واجتمعت عبس وثَعلبة بن سعد ، ومُرّة بالأَبرق من الرَّبَذة ، واجتمع إليهم ناس من بني كنانة ، فلم تحملهم البلاد فافترقوا فرقتين ، أقامت فرقة بالأبرق ، وسارت فرقة إلىٰ ذي القَصّة ، وأمدّهم طلحة بأخيه حبال ، فكان عليهم وعلىٰ من معهم من الدّئل وَلَيث ومُدْلج ، وأرسلوا إلىٰ المدينة يبذلون الصلاة ، ويمنعون الزكاة ، فقال أبو بكر : والله لو منعوني عِقالاً لجاهدتهم عليه[3] . وكان عقل الصدقة علىٰ أهل الصدقة وردّهم ، فرجع وفدهم ، فأخبروهم بقلّة مَنْ في المدينة وأطمعوهم فيها ، فلما لبثوا إلاّ ثلاثاً حتىٰ طرقوا المدينة غارة مع اللّيل ، وكان المسلمون قد أحكموا خطتهم للإيقاع بالمرتدين ، فوضع أبو بكر كلاً من علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وطلحة والزبير وابن مسعود علىٰ أنقاب[4] المدينة ، فوافوا الأنقاب ليلاً وعليها المقاتلة ، فمنعوهم ، وخرج أبو بكر بعد تعبية الناس إليهم وعلىٰ ميمنته النعمان بن مُقرِّن ، وعلىٰ ميسرته عبد الله بن مُقرِّن ، وعلىٰ أهل الساقة سُويد بن مُقرِّن ، فما طلع الفجر إلاّ وهم والعدو علىٰ صعيد واحد ، فما شعروا بالمسلمين حتىٰ وضعوا فيهم السيوف ، فما ذرّ قرن الشمس حتىٰ ولوهم

---

(١) الكامل في التاريخ ٢/ ٣٤٣ .

(٢) المنتظم ٤/ ٢٤ .

(٣) الكامل في التاريخ ٢/ ٣٤٤ .

(٤) الأنقاب : واحدها النّقب : الطريق إلىٰ الجبل .

الأدبار وغلبوهم على عامّة ظهرهم وقُتل رجال ، واتبعهم أبو بكر حتىٰ نزل بذي القَصّة ، وكان أوّل الفتح ، ووضع بها النعمان بن مقرِّن في عدد ، ورجع إلىٰ المدينة ، فذلّ له المشركون ، فوثب بنو عَبْس وذُبيان علىٰ مَنْ فيهم من المسلمين فقتلوهم ، فحلف أبو بكر ليقتلنّ في المشركين بمن قتلوا من المسلمين وزيادة ، وازداد المسلمون قوة وثباتاً .

بعد عودة جيش أسامة أخذ قسطاً من الراحة في المدينة ، ثم خرج أبو بكر فيمن معه ، فناشده المسلمون ليقيم ، فأبىٰ وقال : لأواسيكم بنفسي ، وسار إلىٰ ذي حُسىٰ ، وذي القَصّة حتىٰ نزل بالأبرق فقاتل مَنْ به، فهزم الله المشركين وأخذ الخَطبة أسيراً ، فطارت عبس وبنو بكر ، وأقام أبو بكر بالأبرق أياماً ، وغلب علىٰ بني ذبيان وبلادهم وحماها لدوابّ المسلمين وصدقاتهم[1] .

ولما انهزمت عَبْسٌ وذبيان رجعوا إلىٰ طُليحة وهو ببزاخة ، وكان رحل من سَميراء[2] إليها ، فأقام عليها ، وعاد أبو بكر إلىٰ المدينة ، وطرقت إليها صدقات كثيرة ، وقطع البعوث وعقد الألوية ، فعقد أحد عشر لواء ، بينها لواء خالد بن الوليد وأمره بطُليحة بن خويلد فإذا فرغ سار إلىٰ مالك بن نُويرة بالبُطاح إن أقام له[3] .

---

(١) الكامل في التاريخ ٢/ ٣٤٥ .

(٢) سَميراء : هو منزل بطريق مكة بعد تُوز مصعداً وقبل الحاجز ، قال السكوني : حوله جبال وآكام سودٌ بذلك سمي سميراء ، وأكثر الناس يقول بالقصر ، وقيل هما موضعان ، المقصود منهما هو الذي في طريق مكة وليس فيه إلا الفتح ، وفي حديث طليحة الأسدي لما ادعىٰ النُبوة أنه عسكر بسميراء هذه بالمد ، قال مُطير بن أُشيم الأسدي :

ألا أيّها الـرّكبـان إنّ أمـامكـم   سَميـرا مـاء رِبُّـهُ غيـر مَجهَـلِ

وقال مُرّة بن عياش الأسدي :

جلـت عـن سَميراء الملوكُ وغـادروا   بهـا شـرّ قِـنّ لا يُضيـف ولا يَقْـري

معجم البلدان ٣/ ٢٩٠

(٣) الكامل في التاريخ ٢/ ٣٤٦ .

مسير خالد وجيشه :

كان أبو بكر بعث عدي بن حاتم قبل خالد إلىٰ طيّء وأتبعه خالداً وأمره أن يبدأ بطيء ومنهم يسير إلىٰ بُزَاخَة[1] ثم يثلّث بالبُطاح ولا يبرح إذا فرغ من قوم حتىٰ يأذن له ، وأظهر أبو بكر للناس أنه خارج إلىٰ خيبر بجيش حتىٰ يلاقي خالداً ، يُرهب العدوّ بذلك .

وقدم عدي علىٰ طيء فدعاهم وخوّفهم ، فأجابوه وقالوا له : استقبل الجيش فأخّره عنّا حتىٰ نستخرج مَنْ عند طُليحة منا لئلا يقتلهم ، فاستقبل عدي خالداً وأخبره بالخبر ، فتأخر خالد ، وأرسلت طيء إلىٰ إخوانهم عند طُليحة فلحقوا بهم ، فعادت طيء إلىٰ خالد بإسلامهم ، ورحل خالد يريد جَديلة ، فاستمهله عدي عنهم ، ولحق بهم عدي يدعوهم إلىٰ الإسلام ، فأجابوه فعاد إلىٰ خالد بإسلامهم ، ولحق بالمسلمين ألف راكب منهم ، وكان خير مولود في أرض طيء ، وأعظمه بركة عليهم[2] .

تلقىٰ خالد أمر قيادته بعد أن انتهىٰ من الفُجاءة بن عبد ياليل بالدخول إلىٰ أرض بني أسد ، إلىٰ طُليحة بن خويلد وأصحابه ، فسار خالد حتىٰ إذا صار ببني أسد ندمت بنو غطفان على إتباعهم طُليحة بن خويلد ، ولم يحبوا أن يكونوا الأذناب لبني أَسد ، وكان فيهم زياد بن عبد الله الغطفاني[3] ، فهرب في جوف الليل مع جماعة من بني عمه إلىٰ خالد ، فأكرمه خالد ، ورفع قدره ، ثم كتب إلىٰ أبي بكر بخبره .

---

(١) بُزَاخَةُ : قال الأصمعي : بُزاخة ماءٌ لطيء بأرض نجد . وقال أبو عمرو الشيباني : ماءٌ لبني أسد كانت فيه وقعة عظيمة في أيام أبي بكر الصديق مع طُلَيْحة بن خُوَيْلد الأسدي . وكان قد تنبأ بعد النبي واجتمع إليه أسد وغطفان فقوي أمره . معجم البلدان ١/ ٤٨٤ ، ٤٨٥ .

(٢) الكامل في التاريخ ٢/ ٣٤٧ .

(٣) له إدراك ، وهو ممن ثبتوا علىٰ الإسلام زمن الردة ، فخرج عن دار قومه ولحق بخالد ، فصار في جيشه . انظر الإصابة ٤/ ٨٦ .

وكتب الغطفاني إلىٰ عُيينة[1] بن حصن الفزاري بهذه الأبيات :

أَبلـغ عُيينـةَ إنْ مَـررتَ بـدارِهِ ... قَـولاً يَسيـرُ بـهِ الشَّفيـقُ النَّـاصِـحُ
أَعُييـنَ إنَّ طُليحـةَ بـنَ خُـويلـد ... كَلـبٌ بـاكنـافِ البُـزاخـةِ نَـابـح
كَـمْ مِـنْ رئيسٍ مِـنْ فَـزارةَ صـالـح ... والنَّـاسُ مِنهـمْ صـالحـونَ وَطـالـحُ
قـد قَـادَ قـومَـكَ طَلحـةُ بـن خُـويلـدٍ ... والْقَومُ قائدُهُمْ كذوبٌ فاضِحُ[2]

فلما وصل هذا الشعر إلىٰ عُيينة بن حِصن الفزاري أقبل علىٰ قومه من بني فَزارة فقال :

(اعلموا أنَّا ما صنعنا شيئاً ، وإنَّا لنرىٰ النقص والعار في مسيرنا هذا مع طُليحة بن خُويلد ، ولسنا ندري كيف يكون الأمر غداً ، لنا أم علينا ، ولقد لبسنا في مسيرنا هذا ثوب المخازي) .

وهناك رواية تقول : بأن أمة سوداء كانت واقفة علىٰ الماء تسقي غنماً وهي تقول :

بَنـي أَسـدٍ أيْـنَ الفـرارُ ؟ ... إذا مَـا أَنـاخَ بِكُـمْ خَـالـدُ
رَحيـبُ الـذِّراعِ بسَفْـكِ الـدِّمَـا ... أَلا إنَّـهُ الأسَـدُ الـلاّبـدُ[3]

فقال لها عُيينة بن حِصن : (ويلك ، يا سوداء ، من يقول هذا الشعر ؟) .

---

(١) هو عُيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ، كان زعيم غطفان في الردة ، وقاتل ومن ارتد من قومه مع طُليحة يوم بزاخة وكان معه سبعمائة فارس ، ثم انصرفوا عنه لما تبين لهم كذبه ، ثم تمكن خالد منه فأرسله إلىٰ أبي بكر ليرىٰ منه رأيه ، فدخل المدينة ويداه مغلولتان إلىٰ عنقه ، فأخذ الصبيان ينحسونه بجريدة النخل ، ثم عفا عنه أبو بكر وأطلقه . انظر الكامل في التاريخ ٢/ ٣٤٧ ، وكتاب العفو والاعتذار ١/ ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٥١ .

(٢) كتاب الردة ١٢٧ ، ١٢٨ ، والقصيدة طويلة .

(٣) رَحْب الذِّراع : أي واسع القوَّة عند الشَّدائد . وفي حديث ابن عوف رضي الله عنه : قَلِّدوا أمركم رَحب الذِّراع . (لسان العرب) .

فقالت : (لا والله ما أدري غير أني سمعت دوّياً من هذا الغدير وقائلاً يقول هذه الأبيات[1]) .

فاغتّم عُيينة وانكسر لذلك إنكساراً شديداً ، ثم أقبل علىٰ طُليحة بن خُويلد وهو جالس في بني عمه ، فقال له : (أبا عامر ، أتاك جبريل منذ نزلت هذا المنزل ؟) قال طُليحة : لا . قال : (فهل ترجو أن يأتيك ؟) قال : (نعم ولِمَ سألت عن ذلك ؟) . قال : (إني سمعت هذه الأمة السوداء تزعم أنها سمعت من هذا الغدير كذا وكذا) قال : (فضحك طُليحة ثم قال : ترىٰ سحر قريش وصل إلينا من المدينة ؟) .

ثم أقبل قُرَّة بن سَلمة بن هُبيرة القُشيري[2] ، علىٰ بني عَامر بن صَعْصَعَة فقال : « يا بني عامر هذا خالد بن الوليد قد أظلكم في المهاجرين والأنصار ، وقد تقارب من أرضكم ، فلو صاحَ بخيله صيحةً لصّبحكم ، فاتقوا ربكم ، وارجعوا عن هذا الذي أنتم عليه ، فأنتم قتلتم بالأمس ، المنذر بن عمرو السَاعدي[3] ، وكان من أخيار أصحاب محمد ﷺ ثم إنكم خفرتم ذمة أبي

---

(١) الأبيات خمسة . وربما كانت من نظمها إلا أنها خشيت إن اعترفت بذلك أن تلاقي حتفها فبررت موقفها بما ادعته . انظر الردة ص١٢٩ .

(٢) من بني كعب بن عامر بن صعصعة ، وفد علىٰ رسول الله ﷺ فولاّه صدقات قومه ، ولما قبض الرسول ﷺ ارتد وتبع طُليحة الأسدي ، ثم تمكن خالد منه فأوثقه وارسله إلىٰ أبي بكر الصديق فعفا عنه ، الإصابة ٥/ ٢٣٨ وكتاب العفو والاعتذار ١/ ١٥٠ ، ١٥٢ .

(٣) خزرجي أنصاري ، استشهد يوم بئر معونة . وحديثه أن عامر بن مالك أبا براء ملاعب الأسنة قدم علىٰ النبي ﷺ فقال له : ابعث معي من شئت من عندك وأنا جار لهم ، فبعث رهطاً منهم المنذر بن عمرو الساعدي ، فسمع عامر بن الطفيل ، فاستنفر لهم بني سليم ، فنفر معه رهط بني عصية وبني ذكوان فكانت وقعة بئر معونة وقتل المنذر ومن معه . انظر الإصابة ٣/ ٤ .

بُراء[١] ، ورَدَكم عامر بن الطفيل[٢] ، عن دين الإسلام ، وإني خائف علىٰ طُليحة بن خُويلد أن يظفر به خالد فإذا قد هلك هلكنا معه[٣] .

فأبىٰ قومه أن يطيعوه ، ثم قالوا : (لا والله لا نعطي الدنيّة في ديننا أبداً ، ونحن أحق بالزكاة من ابن أبي قحافة) .

فقال لهم قُرَّة بن سلمة (بأنكم إن لم تعطوا الدنيّة في دينكم أن تسفكوا دماءكم بإجماعكم علىٰ كفركم) . ثم أنشأ يقول :

أَرَاكمْ أُناساً مُجمعينَ علىٰ الكُفْرِ   وأنْتُـمْ غَـداً نهْـبٌ لجَيْـشِ أبـي بكـرِ
بَنـي أسَـدٍ لا تـأَمَنُـوا اليـومَ خَـالـداً   يُصبكُمْ غداً مِنهُ بِقَاصِمةِ الظَّهرِ[٤]
بَنـي عَــامــرٍ مَـا عِنْـدَ قُـرَّةَ مِنْعَـةٌ   إذا الخيلُ جَالتْ بالمثقَّفَةِ السُّمْرِ[٥]

فأبىٰ القوم أن يطيعوه ، ولجوا في طغيانهم وارتدادهم .

الاستعداد للمعركة من الطرفين :

دنا خالد بن الوليد من أرض بني أَسَد ، ثم دعا بعُكاشة بن مُحصن الأَزْدي ، وثَابت بن أَرْقَم الأَنْصاري ، ومَعبد بن عَمرو المَخْزُومي وقال لهم : (انطلقوا وتحسسوا الخبر عن طُليحة بن خُوَيْلد وأصحابه ، وعن موضع

---

(١) أبو براء : هو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري الكلابي (ملاعب الأسنة) انظر الإصابة ٢/ ٢٤٩ .

(٢) عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر الكلابي ، مات كافراً بعد أن نكث ذمة عمه أبي براء ، وغدر بنفر من المسلمين ، أرسلهم رسول الله ﷺ مع عمه المذكور . انظر الإصابة ٢/ ٢٤٢ ـ ٢٤٩ .

(٣) كتاب الردة ١٣١ .

(٤) القاصمةُ : يقال نزلت بهم قاصمة الظَّهر ؛ أي : المصيبة الشديدة . والقصم : السريع الانكسار .

(٥) المثقفة السمر : الرماح المستقيمة . والقصيدة طويلة كلها تهويل من قوة جيش خالد انظر الردة ص١٣٢ .

عسكره) . فبينما هم كذلك إذ وقع عليه نفر من أصحاب طُليحة فقتلوهم ، وخالد بن الوليد لا يعلم بشيء من ذلك ، غير أنه لما أبطأ عليه خبرهم ، كأنه أنكر أمرهم ، فركب في نفرٍ من أصحابه وسار ، وإذا هم بالقوم قتلىٰ فاغتم لذلك غماً شديداً ، ثم أمر بهم فحملوا ودفنوا في عسكر المسلمين .

وبلغ بني أسد أن خالد بن الوليد قد دَنا من أرضهم ، فأقبلوا علىٰ طُليحة بن خُوَيْلد ، فقالوا : (يا أبا عامر ، إنّا نظنّ أن هذا الرجل قد سار إلىٰ ما قبلنا ؛ وذلك أنّا قتلنا ثلاثة أنفس من أصحابه ، فلو بعثت من يتحسس لنا خبره) .

فقال طُليحة : (نعم ما رأيتم ، إن بَعثتم بفَارسين بَطلين علىٰ فَرسين عَتيقين أَدْهَميْن أغرين مُحجلين من بني نَصر بن قعين أَتياكم من القوم بعَيْن) .

فقال بعض أصحابه : (أبا عامر أشهد أنك لنبي حقاً ، فليس هذا الكلام إلاّ من كلام الأنبياء)(١) .

ثم بعث القوم بفارسين علىٰ ما وصف طُليحة ليتحسا أخبار خالد بن الوليد ، فرجعا يركضان وهما يقولان : (هذا خالد بن الوليد قد أقبل في المهاجرين والأنصار) . فازداد القوم فتنةً إلىٰ فتنتهم ، وجعل طُليحة يشجع أصحابه ويقول : (يا مَعشرَ بَني أَسْد ، لا يهولنكم ما قد اجتمع إلىٰ خالد من هذا الجيش ، فإنهم علىٰ باطل ، وغرور وأخرىٰ فإنهم لهجوا بهذه الصلاة ، فهم يظنون أنهم محسنون ، ولقد أتاني جبريل يخبرني عن ربي أنه ليس يحتاج إلىٰ تعفير وجوهكم ، وفتح أدباركم ، ولا يريد منكم ركوعاً ، ولا سجوداً ، ولكن يريدكم أن تذكروه قياماً وقعوداً ، فانظروا ان تمنعوا القوم أموالكم ، كما منعتموها في جاهليتكم ، وأما عُيينة بن حِصْن فقد أخبرني عنه جبريل أنه قد خاف من حرب القوم ، وأيم الله لو كانت له نية صادقة لما خاف أبداً إذا كان

---

(١) كتاب الردة/ ص١٣٣ ، ١٣٤ .

علىٰ هذا الدين). ثم أنشأ طُليحة بن خُويلد يقول :

بَنـي أَسَـدٍ لا تُطعمُـوا صَـدَقَـاتكُـمْ مَعَاشرَ حَيٍّ مِنْ لُؤَيٍّ بنِ غَالبِ[1]
وَحـامُـوا علـىٰ أمـوالِكُـمْ بِـرِمَـاحِكُـمْ وبالخَيْلِ تَرْدي والسُّيُوفِ القَواضبِ[2]
كَمَـا كُنْتُـم بـالأَمْـرِ فـي جـاهِليَّـةٍ تَهابُكُمُ الأحياءُ مِنْ كُلِّ جَانبِ[3]

ثم تقدم إلىٰ طُليحة بن خُويلد جماعة من أصحابه فقالوا : (يا أبا عامر ، إنّا قد أضرَّ بنا العطش ، فهل عندك من حيلة ؟؟) فقال طُليحة : (نعم اركبوا علالا[4] ، فاضربوا أميالا ، وجاوزوا الرمالا ، وشارفوا الجبالا ، ويمموا التلالا ، تجدوا هناك قلالا) . فركب بعض بني أسد فرساً لطليحة يقال له علال ، ثم سار إلىٰ ذلك الموضع الذي وصف طليحة ، فإذا هو بماء عذب زلال ، فشرب منه وملأ سقاءً كان معه ، ثم رجع إلىٰ قومه فخبرهم بذلك فمضوا إلىٰ ذلك الموضع فاستقوا وازدادوا فتنة إلىٰ فتنتهم[5] .

المعركة :

جعل خالد بن الوليد يتأنىٰ بطُليحةَ بن خويلد ، ويرسل إليه الرسل ويحذره سفك دماء أصحابه ، وطُليحة يأبىٰ ذلك ، ولج في طغيانه .

---

(١) يعني قريشاً .
(٢) تردي : ترجم بحوافرها في سيرها وعدوها . وقيل الرديان : التقريب . وقيل الرديان : عدو الفرس . والقواضب : جمع قضيب وهو اللطيف أو القاطع منها .
(٣) القصيدة طويلة وفيها تشجيع لأتباعه وتذكيرهم بنسبهم ويثير فيهم العصبية وأنه لا يهاب حرب قريش . انظر الردة/ ١٣٥ .
(٤) علال اسم فرس لطليحة .
(٥) الردة ١٣٥ ، ١٣٦ .
ـ ربما وضع طُليحة الماء في القلال (الجرار) في ذلك الموضع بمعرفة بعض خواصه ، وطلب منهم ، أن يطلبوا منه ماءً ، فيخبرهم بذلك أنه يعلم علم الغيب ليخدعهم ، وما طليحة إلاّ كغيره من الرجال ! تعليق المؤلف .

فعندها عزم خالد علىٰ حرب القوم ، وزحف إليهم فوافاهم بأرض يقال لها بُزَاخة ، وإذا بطُليحة قد عبّأ أصحابه ، وعبّأ خالد أصحابه . فكان علىٰ ميمنته عَدي بن حاتم الطائي ، وعلىٰ ميسرته زَيْد الخَيْل ، وعلىٰ الجناح الزِّبرقان التَّميميّ ، ودَنا القوم بعضهم من بعض ، واختلط القوم ، واقتتلوا ، فَقُتل من الفريقين جماعة ، وحملت بنو أَسَد ، وغَطفان ، وفَزراة ، فقاتلوا بين يدي طُلَيْحةٍ أشد القتال ، وهم ينادون (لا نبايع أبا الفصيل[1] ، يعنون أبا بكر الصديق ، وجعل عدي بن حاتم[2] يحمل عليهم في أصحابه ، فيقاتلهم وهو يقول : (والله لنقاتلكم أبداً ، أو تكنونه بالفحل الأكبر) .

وأنشأ حُريث بن زَيْد الخيل[3] يقول :

ألا أبْلِـغْ بَنـي أسَـدٍ جَميعـاً ... وهـذا الحي مِنْ غَطَفَـان قيلـي[4]
بـأنَّ طُليحـةَ الكـذابَّ أهـلٌ ... لَحَـاهُ اللهُ لِلجَـدْعِ الأصيـلِ
متـىٰ نَغْـزوكُـمُ نَـرْجِـعْ بِنَهَـبٍ ... وَنُشـفِ الصّـدر مِـنْ دَاء العَليـلِ
مِـنَ الحَيّيْـنِ مِـنْ أسـدٍ جميعـاً ... وَمِـنْ غَطَفَـانَ نَهْتِـفُ بـالْعَـويـلِ
إلـىٰ أَنْ تقبلـوا الإسْـلامَ كَـرْهـاً ... بِحـدِّ الـرُّمـحِ والسّيْـفِ الصَقيـلِ[5]

وجعل عَدي بن حاتم ، وزَيْد الخَيْل ، وقبائل طيء يقاتلون بين يدي خالد بن الوليد قتالاً لم يقاتلوا مثله في يوم من أيامهم التي سلفت ، وقد مدحهم خالد بن الوليد يقول :

---

(١) الفصيل : ولد الناقة إذا فصل عن أمه . والبَكْر : الفتي من الإبل .

(٢) انظر ترجمته في كتاب قبيلة طيء في الجاهلية والإسلام ـ وفيه حوالي مائتي علم من أعلام طيء بين شاعر وعالم لمؤلف هذا الكتاب .

(٣) هو حريث بن زيد الخيل بن مهلهل الطائي ، شاعر فارس مخضرم . (انظر ترجمته في كتاب قبيلة طيء) لمؤلف هذا الكتاب .

(٤) قيلي : قولي .

(٥) انظر القصيدة كاملة في كتاب الردة ص١٣٧ ، ١٣٨ .

جَـزىٰ الله عَنَّـا طَيِّئـاً فـي بِـلادِهـا ... بِمُعْتَــرِكِ الأبطــالِ خيْــرَ جَــزَاءِ
هُمُ أهْلُ أربابِ السَمَاحَةِ والنّدىٰ ... إذا مـا الصَّبَـا أَلْـوَتْ بكُـلِّ خَبـاءِ
هُمُ قَصَرُوا قَيْساً علىٰ الدِّين بَعْدَمَا ... أجَــابُــوا مُنَـادي فِتْنَــةٍ وَعَمَــاءِ
مِـراراً فَمنهـا يَـوْمُ أَعلـىٰ بُـزاخَـةٍ ... وَيَــومُ شِعَــارٍ دِيّــةٌ بِبُكَــاءِ[1]

واشتد القتال ، وعظم الأمر ، وعفت الحرب الفريقين جميعاً ، وأقبل عُيينة بن حِصن إلىٰ طُليحة بن خُوَيْلد ، وهو واقف علىٰ باب خيمته ، وفرسه علال إلىٰ جنبه ، وامرأته نوار جالسة بين يديه ، فقال له عُيينة : (أبا عامر ، هل أتاك جبريل بعد ؟) .

قال طُلَيْحة : لا .

فرجع فلم يزل يُقاتل حتىٰ بلغ منه الجهد ، واشتد به الأمر ، ثم رجع إلىٰ طُليحة فقال : (أبا عامر ، هل أتاك جبريل ؟) .

فقال : لا .

فقال عُيينة : فحتىٰ متىٰ ويحك ، بلغ منه الجهد واشتد بنا الأمر ، فأحجم الناس عن الحرب .

ثم رجع فلم يزل يقاتل وبني عمه من بني فزارة حتىٰ ضجر من الطعان والضراب ، ثم رجع فقال : (يا أبا عامر هل أتاك جبريل ؟) .

قال نعم ، قد أتاني .

قال عُيينة : (الله أكبر ، هات الآن ما عندك ، وما الذي قال لك جبريل ؟) .

قال : نعم ، قال جبريل عليه السلام (إن رجالاً تقوم لرجال ، وإن لك وله حديثاً لا تنساه الناس أبداً) .

---

(١) انظر الأبيات في كتاب الردة ص١٣٩ .

ثم أقبل عُيينة علىٰ بني عمه من فزارة فقال لهم : (ويحكم يا بني عمي ، هذا والله رجل كذاب ، والآن صح عندي كذبه لتخليطهِ في كلامه ، ثم أنشأ عُيينة يقول :

خـفَّ عِلمـي أطـاعنـي أصحـابـي   والهَـوىٰ فـي طُليحَـة الكَـذَّاب
مَـا لَنـا اليـومَ مـن طُليحـةَ رأيٌ   غيـرُ شَـدُ النَّجـا وتَـركِ القُبَـابِ[1]

ثم ولّىٰ عُيينة بن حِصن منهزماً مع بني عمه من فَزارة ، وانهزمت بنو أَسد وغَطفان ، وسيوف المسلمين في أقفيتهم كأنها الصواعق .

فقال طُليحة بن خويلد : (ويلكم ما بالكم ؟ منهزمون ؟) .

فقال له رجل منهم : (أنا أخبرك يا أبا عامر لم ننهزم ، نحن قوم نُقاتل نريد البقاء ، وهؤلاء يقاتلون ويحبون الفناء) .

فقالت نوار امرأة طُليحة : (أما إنه لو كانت لكم نية صادقة لما انهزمتهم عن نبيكم) .

فقال لها رجل منهم : (يا نوار لو كان زوجك هذا نبياً لما خذله ربه) .

فلما سمع طُليحة ذلك صاح بامرأته : (ويلك يا نوار ، اقتربي مني ، فقد اتضح الحق وزهق الباطل) .

ثم استوىٰ طُليحة علىٰ فرسه ، وأردف امرأته من ورائه وفرَّ منهزماً مع من انهزم ، واحتوىٰ خالد ومن معه من المسلمين علىٰ غنائم القوم ، وعامة سلبهم وأولادهم[2] ، فأنشأ رجل[3] من المهاجرين يقول :

---

(١) انظر الأبيات في كتاب الردة ص١٤٠ ، ١٤١ .
(٢) الردة ١٤١ ، ١٤٢ .
(٣) هو مكنف بن زيد الخيل الطائي ، وهو أكبر ابنا زيد ، وبه كني ، وأسلم مكنف وحسن إسلامه وصحب النبي ﷺ وشهد قتال الردة مع خالد بن الوليد . (انظر قبيلة طيء في الجاهلية والإسلام) لمؤلف هذا الكتاب .

سَـائِـلْ طُليحـةَ يَـوْمَ وَلّـىٰ هـارِبـاً بِلِوىٰ بُزَاخَةَ ، والدِّمَاء تَصَبَّبُ[1]
ضَلّـوا وغَـرَّهُـمُ طُلَيْحـةَ بـالمُنـىٰ حَقـاً ودَاعـي رَبِّنـا لا يَكْـذِبُ[2]
وَنَجـا طُليحـةُ مُـرْدَفـاً امْـرَاتَـهُ وَسْطَ الْعَجَاجَةَ كالسّقاءِ الْمُحْقَبِ[3]

فجمع خالد غنائم القوم ، فوكل بها نفراً من المسلمين يحفظونها ، ثم خرج في طلب القوم يتبع آثارهم ، حتىٰ وافاهم بباب الأجرب ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فأمر عُيينة بن حِصن الفَزاري ، وأسر معه جماعة من بني عمه ، وأفلت طُليحة بن خُوَيْلد فَفَرَّ هارباً علىٰ وجهه نحو الشام ، حتىٰ سار إلىٰ بني حنيفة ، فلجأ إليهم ، واستجار بهم فأجاروه ، فأنشأ بعض المسلمين يقول :

وعصـت بنـو أَسـد أبيهـم وبنـوهـن طُليحـة الكـذّابِ[4]

ثم جمع خالد الأسارىٰ جميعهم من بني أَسد ، وغَطفان ، وفَزارة وعزم أن يوجه بهم إلىٰ أبي بكر ، فأنشأ رجل منهم يقول :

صَـدّنـا والهَـوىٰ لـهُ أَسْبـابُ عـن هَـوانـا طُليحـةُ الكَـذّابُ
يـا عُيَيْـنَ بـنَ حِصْـن آلِ عَـديٍّ أنتُـم مِـنْ فَـزَارَةٍ أذْنَـابُ[5]

ثم أمر خالد بالمجامع[6] ، ووجه بهم مع الغنائم إلىٰ المدينة ، فلما

---

(١) اللوىٰ : منقطع الرملة .
(٢) غرَّهم : خدعهم . والمنىٰ : جمع أمنية وهي ما يقدره الإنسان ويتصوره في نفسه مما يحبه ويشتهيه .
(٣) العجاجة : واحدة العجاج وهو الغبار . المحقب : المردف . وذكر الطبري ٣/ ٢٥٦ . أن طُليحة بن خويلد عندما حاقت به الهزيمة يوم بزاخة قام فوثب علىٰ فرسه وقال : (من استطاع منكم أن يفعل مثل ما فعلت وينجو بأهله فليفعل) . انظر القصيدة كاملة في كتاب الردة ١٤٢ ، ١٤٣ .
(٤) انظر الأبيات في الردة ١٤٤ .
(٥) انظر القصيدة في الردة ص١٤٥ .
(٦) المجامع : المقصود بها الأغلال . والجامعة : الغل ؛ لأنها تجمع اليدين إلىٰ العنق ـ كأيدي الأسارىٰ أثقلتها الجوامع .

أشرفت الغنائم على المدينة خرج الناس ينظرون إلى الأسارى ، فإذا هم بعُيينة بن حِصنْ على بعير ، ويده مجموعة إلى عنقه ، فجعل المسلمون يشتمونه ، ويلعنونه وهو ساكت لا ينطق بشيء ، وهم ينحسونه بالعسبان[1] ، ويقولون له : (يا عدو الله أكفرت بعد إيمانك وقاتلت المسلمين ؟) .

فقال : (والله ما آمن ذلك الرجل بالله ساعة قط) . يعني نفسه ، ثم أُتيَ به حتى أُدخل على أبي بكر ، فأوقفه بين يديه ، فقال له أبو بكر : « يا عدو الله ، أسلمت ، وقرأت القرآن ، ثم رجعت عن دين الإسلام كافراً ، لأضربنّ عنقك صبراً[2] » .

قال عُيينة : (يا خليفة رسول الله ﷺ أعرف بي منك لم يخف عليه شيء من أمري ، ولقد خرج من الدنيا وإني لمقيم على النفاق غير أني تائبٌ إلى الله وإليك في يومي هذا ، فاعف عني عفا الله عنك) .

فعفا عنه أبو بكر ، وصفح عن بني عمه ، وأحسن إليهم وكساهم ، فأنشأ عُيينة بن حصن يقول :

إنّي لشَاكِرٌ نِعْمَةِ الصدِّيق ... ذاكَ المعَصَّب بالأمورِ عتيقِ[3]
إذْ قالَ قائِلهم عُيينةُ هَالِكٌ ... وَجَرَتْ ظُنُونُ النّفْس بالتَحقيقِ[4]

ثم قدم قُرَّة بن سَلمة بن هُبيرة القُشيري حتى أُوقف بين يدي أبي بكر ويداه مجموعتان إلى عنقه ، فقال أبو بكر : « اضربوا عنقه » .

---

(١) العسبان : جمع عسيب وهو جريدة من النخل مستقيمة دقيقة يكشف خوصها . والجمع أعسبة ، وعُسب . . . وعُسبان .

(٢) الصبر : نصب الإنسان للقتل .

(٣) المعصب : السيد المطاع تعصب به الأمور أي ترد إليه ، وتدار به ، وعتيق : أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

(٤) انظر القصيدة في الردة ص١٤٧ .

فقال قُرَّة : يا خليفة رسول الله ﷺ إني رجل مسلم يشهد لي بذلك عمرو بن العاص ، وذلك أنه مر بي منصرفاً من عُمان ، فقريته ، وأكرمته ودَللته على الطريق ، وهو عارف بإسلامي) .

فدعا أبو بكر بعمرو بن العاص فقال له : « يا عبد الله ، ما الذي عندك من الشهادة بقُرَّة بن هُبيرة فإنه يزعم أنك تشهد له بالإسلام ؟» .

فقال عمرو بن العاص : (نعم يا خليفة رسول الله ، عندي من الشهادة أني مررت به وأنا منصرف من عُمان فلما نزلت إليه سمعته يقول : (والله لئن تجافى أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ عن زكاة أموالنا وإلاّ فما له في رقابنا طاعة) .

فقال قرة بن هبيرة : (لم يكن القول على ما تقول يا عمرو) .

فقال عمرو : (بلى والله يا خليفة رسول الله ، لقد سمعته يقول هذه المقالة ، وعلمت أنه قد عزم على العصيان ، ومنع الزكاة وأنشأت أقول هذه الأبيات :

يـا قُـرَّ ، إنَّـكَ لا مَحَـالَـةَ مَيِّـتٌ   يَوْماً ، وإنَّكَ بَعْدَ مَوْتِكَ رَاجِعُ[1]
ليـسَ الخليفـةُ تـاركـاً لِـزَكـاتِكُـمْ   مـا دامَ سَلـعٌ فـي البسيـطِ وفَـارِعُ[2]
إن تَمنعـوهـا تَـأتِكُـمْ مَبْثُـوثَـةٌ   قُبَّ البُطُونِ مِنَ الفَجَاجِ طَوالِعُ[3]

فلما قلت هذه الأبيات رأيته وقد بين الغضب في وجهه ثم أنشأ يقول :

---

(١) قرّ : منادى مرخم والأصل (قُرّة) .

(٢) سلع : موضع أو جبل بالمدينة . فارع : حصن بالمدينة ، يقال إنه حصن حسان بن ثابت . والبسيط : أراد البسيطة أي الأرض . ويقال مكان بساط وبسيط أي مستوٍ .

(٣) قب البطون : ضامرة ، الفجاج : جمع فج وهو الشعب الواسع بين جبلين . انظر القصيدة كاملة في الردة ص١٤٩ ، ١٥٠ .

إنَّ عَمْـــراً يَـــرىٰ نَصيحَـــةَ غِـــش ويَـــرىٰ كُـــلَ مـــا أقُـــولُ خَبَـــالا[1]
ليـــسَ مـــا وافَـــقَ الهَـــوىٰ بصَـــوَابٍ أنْ يكـــونَ المُسَـــوّدُونَ نِعَـــالا[2]
قُلتُ : خَلّوا ، عن الغَريبِ وكُفُّوا عَـــنْ أذَاهُـــمْ وثَمـــروا الأمـــوالا[3]

فهذا يا خليفة رسول الله ﷺ ما كان من مقالتي ومقالته ثم إني رحلت عنه ، فلمّا قرّبت فرسي وركبته سمعته يقول :

يا عَمْرُو ، يا بن العَاصِ ، يا بْنَ وائلِ
لا يُـــوحِشَنْـــكِ اليَـــومَ قَـــولُ قَـــائِـــلِ
أو عَـــدتَنَـــا يَـــا عَمْـــرُو بـــالقنـــابـــلِ[4]
إنْ تـــأتِنَـــا تَعْضُـــضْ علـــىٰ الأنَـــامِـــلِ[5]

فقال قُرَّة بن هبيرة : (يا هذا ، فقد كان هذا الذي ذكَرت ، فكم وإلىٰ كم هذا التحريض ؟) .

فسكت عمرو بن العاص ، وتكلم عمر بن الخطاب فقال : (سوأة لك يا عمرو ، رجل نزلت عليه فآواك وأحسن ضيافتك ، وأطعمك وأسقاك ، ثم تكلم بكلام بينه وبينك ، فأجبته علىٰ كلامه ، ثم رحلت عنه ، فالآن لمّا نظرت إليه في هذه الحالة أسيراً قد جُمعتْ يداه إلىٰ عنقه وَثَبْتَ قائماً علىٰ قدميك وهويت عليه بجهدك) .

فاستحيا عمرو ، وندم علىٰ ما تكلم والتفت عمر إلىٰ أبي بكر ، فقال : (يا خليفة رسول الله ﷺ هذا رجل من سادات العرب ، وأشراف بني عامر ،

---

(١) الخبال : الفساد .
(٢) المسوّدون : الأسياد الذين سودهم قومهم .
(٣) خلّىٰ عن الشيء : أرسله وخلىٰ سبيله . ثمّر ماله : نَماه . انظر القصيدة كاملة في الردة ١٥٠ ، ١٥١ .
(٤) القنابل : جمع قَنْبَلة وهي الجماعة من الناس ، والطائفة من الخيل .
(٥) تعضض علىٰ الأنامل : كناية عن الندم . انظر القصيدة في كتاب الردة ص١٥١ ، ١٥٢ .

وما أولاك بالصفح عنه بعد أن قدرت عليه ، فقد كان منه ما كان من غيره ، فاعف عنه كما عفوت عن غيره .

فقال أبو بكر : (قد عفوت عنه) . ثم أطلقه أبو بكر وكساه وأحسن إليه ، وأطلق من كان معه من بني عمه ، فأنشأ قُرَّة يقول :

جَـزىٰ اللهُ تَيْـمَ بَنـي مُـرَّة   وإنْ جُـرعَـتْ كـأسُهَـا المُـرّهْ[1]
أَرَدْتَ الفِـرارَ ، وأيْـنَ الفِـرا   رُ ، مـن اللهِ رَبِّـكَ يَـا قُـرّهْ
حَلفْـتُ لِقـومِ بنـي عَـامـرٍ   وكـانـت يَمينـي لهُـمْ بَـرّهْ[2]

وبلغ طُلَيْحة بن خُوَيْلد ، أن عُيينة بن حِصن ، وقُرَّة بن هُبَيْرة قد حُملا إلىٰ المدينة ، وقد عفا عنهما أبو بكر الصديق فندم علىٰ ما كان منه أشد الندامة ، ثم إنّه وجه إلىٰ أبي بكر من الشام مع بعض الواردة بقصيدة يذكر فيها ندمه علىٰ ما وقع وحدث من قتل وردة عن الإسلام وهذه بعض الأبيات التي يقول فيها :

نَدِمْتُ علىٰ ما كانَ مِنْ قَتْلِ ثَابتٍ   وعُكـاشـة الغُنمي والمـرءِ مَعْبَـدِ[3]
فَهَـلْ يَقْبَـلْ الصِّـدِّيـقُ أنّـي مُـراجِـعٌ   وَمُعْطٍ بما أحْدَثْتُ من حَدَثٍ يدي[4]
وَمَـا كُنْـتُ إلاَّ مُشْـرِكـاً وَمُنَـافِقـاً   ولَسْـتُ بِنَصْـرانـي وَلاَ مُتَهـوِّدِ

---

(١) وتيم بني مرة : رهط أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

(٢) اليمين البرّة : الصادقة انظر القصيدة في الردة ص١٥٣ .

(٣) هو ثابت بن أقرم البلوي ، حليف الأنصار خرج مع عكاشة الغُنمي طليعة لجيش خالد بن الوليد ، وخرج طُليحة وأخوه حبال طليعة لأصحابهما فالتقوا فاقتتلوا ، فَقُتل ثابت وعكاشة بن محصن الأسدي الذي ورد في حديث الرسول ﷺ يدخل الجنة سبعون ألفاً من أمتي علىٰ صورة القمر ليلة البدر ، قال يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم ، قال : إنك منهم فقام رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال ﷺ : سبقك بها عكاشة وبردت الدعوة) . أخرجه البخاري ١١/ ٣٥٩ في الرقاق باب من يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب . . وانظر حاشية الردة ص١٥٤ . والمرء معبد : هو معبد بن عمرو المخزومي ، وكان خالد بن الوليد قد أرسله مع عكاشة وثابت كما ورد سابقاً .

(٤) راجع الشيء : عاد إليه : استسلم وانقاد . والحدث : الأمر الحادث المنكر الذي ليس بمعتاد ولا معروف في السنة .

وأنّي مـن بَعْـدِ الضَّـلالَـةِ شَـاهِـدٌ شَهـادَةَ حَـق لسْـتُ فيهـا بِمُلحِـدِ[١]
بــأنَّ إلــهَ النَّــاسِ رَبّــي وأنَّنــي ذَليـلٌ وأنَّ الـدِّيـنَ دِيـنُ مُحَمَّـدِ[٢]

فلما انتهىٰ شعره إلىٰ أبي بكر ، وقُرئ عليه رق له رقة شديدة ، وعلم أنه ندم علىٰ ما كان منه .

وجعل طُليحة بن خُويلد يقدم في الرجوع إلىٰ دار الإسلام ويؤخر إلىٰ أن توفي أبو بكر واستخلف عمر ، فقدم عليه طُلَيْحة مُسلماً تائباً فلما رآه عمر قطب في وجهه ، ثم قال : (يا طُليحة ، كيف ترجو النجاة من النار ، وقد قتلت ثابت بن أرقم[٣] الأنصاري ، وعُكاشة بن مُحصن الأزدي[٤] ؟) .

قال طُلَيْحة : (يا أمير المؤمنين ذانك رجلان أكرمهما الله بالجنة وساق إليهما الشهادة علىٰ يدي ، ولم يَقتلني بأيديهم فأكون في النار) .

فأعجب عمر بمقالته فقرّبه ، وأدناه ، وأقام طُليحة عنده إلىٰ أن تحركت الفُرس بعد ذلك ، فوجه به مع سَعد بن أبي وقاص فقاتل بالعراق قتالاً شديداً وقاتل أيضاً بنهاوند ، ولم يزل ناصراً لدين الإسلام حتىٰ لحق بالله[٥] .

وهذا بعض كلام طُلَيْحة بن خُوَيْلد إبان رِدته أو نبوته الكاذبة :

والحمام واليمام ، والصرد الصوام ، قد ضمن من قبلكم أعوام ، ليبلغن ملكنا العراق والشام ، والله لا نسحب ولا نزال نضرب حتىٰ نفتح أهل يثرب[٦] .

---

(١) الملحد : ألحد في الدين . ولحد فيه إذا حاد عنه . والعادل عن طريق الحق ، والمدخل فيه ما ليس منه .
(٢) انظر القصيدة كاملة في الردة ص١٥٤ ، ١٥٥ .
(٣) هكذا ورد في الأصل وفي طبعة باريس . والصواب (أقرم) كما سبق ذكره .
(٤) الصواب (الأسدي) كما سبق ذكره . انظر حاشية الردة ١٥٥ .
(٥) كتاب الردة للواقدي ١٥٦ .
(٦) المنتظم ٤/ ٢٤ .

طُلَيْحة والفتح الإسلامي :

واشترك طُلَيْحة الأسدي في الفتوحات الإسلامية في العراق وأبلىٰ بلاءً حسناً ، وربما أراد أن يكفر عن ماضيه وعن سمعته وما ألحق بها من مساوئ بادعائه النُّبوة وغدره بالمسلمين .

ويروي ابن الأثير قصة عن شجاعة طُلَيْحة وجرأته في سنة (١٤هـ) حينما كان يقوم باستكشاف واستطلاع قوات العدو ومعه عدة من المسلمين في حرب القادسية ، فيقول :

ومضىٰ طُلَيْحة حتىٰ دخل عسكر رستم وبات فيه يجوسه ويوسّم ، فهتك أَطناب بيت رجل عليه واقتاد فرسه ، ثم هتك علىٰ آخر بيته وحل فرسه ، ثم فعل بآخر كذلك ، ثم خرج يعدو به فرسه ونُذِر به الناس فركبوا في طلبه ، فأصبح قد لحقه فارس من الجند فقتله طُلَيْحة ثم آخر فقتله ، ثم لحق به ثالث فرأىٰ مصرع صاحبَيْه ، وهما إبنا عمّه ، فازداد حنقاً ، فلحق طُلَيْحة فكر عليه طليحةُ وأسره ولحق النَّاس ، فرأوا فارسَي الجند قد قُتلا وأُسر الثالث وقد شارف طُليحة عسكره ، فأحجموا عنه ، ودخل طُلَيْحة علىٰ سَعْد ومعه الفارسيّ وأخبره الخبر ، فسأل الترجمان الفارسيَّ ، فطلب الأمان ، فآمنه سَعْد ، قال : أخبركم عن صاحبكم هذا قبل أن أخبركم عمن قِبَلي ، باشرتُ الحروب منذ أنا غلام إلىٰ الآن وسمعتُ بالأبطال ولم أسمع بمثل هذا أن رجلاً قطع فرسخين إلىٰ عسكر فيه سبعون ألفاً يخدم الرجل منهم الخمسة والعشرة فلم يرضَ أن يخرج كما دخل حتىٰ سلب فرسان الجند وهتك عليهم البيوت ، فلما أدركناه قتل الأول وهو يُعَدّ بألف فارس ، ثم الثاني وهو نظيره ، ثم أدركته أنا ولا أظنُّ أنّني خلّفتُ من بعدي مَنْ يعدلني وأنا الثائر بالقتيلين فرأيت الموت واستؤسرتُ . ثم أخبره عن الفرس وأسلم ولزم طُلَيْحة ، وكان من أهل البلاء

بالقادسية[١] وسمّاه سَعْد مُسلماً[٢] .

وفي يوم أرماث أرسل سَعْد نفراً من ذوي الرأي والنجدة منهم طُلَيْحة الأسدي ، وعمرو بن مَعدي كرب ، ومن الشعراء الحُطيئة ، وأَوس بن مَغراء ، وعبيدة بن الطبيب وغيرهم ، وأمرهم بتحريض النّاس علىٰ القتال ففعلوا .

وكانت المبارزة فاعتوروا الطعن والضرب ، وقال غالب بن عبد الله الأسدي :

قــد علمَــتْ واردة المَشَــائــحِ ذاتُ اللبّــان والبَيــان الــواضــحِ
أنّــي سِمــامُ البَطَــل المســالــحِ وفــارجُ الأمــرِ المهــم الفــادحِ

فخرج إليه هرمز ، وكان من ملوك الباب ، وكان متوّجاً ، فأسره غالب فجاء به سعداً ورجع ، وخرج عاصم بن عمرو التميمي وهو يقول :

قـد علمَـتْ بَيْضَـاءُ صَفـراءُ اللَّبَـبْ مثـل اللُّجيـنِ إذ تَغَشّـاهُ الـذّهـبْ
أنــي امــرُؤٌ لا مَــنْ يَعيبُــهُ السَّبَــبْ مثْلـي علـىٰ مثلـكَ يُغـريـه العَتَـبْ

فطارد فارسياً فانهزم ، فاتبعه عاصم حتىٰ خالط صفهم فحموه ، فأخذ عاصم رجلاً علىٰ بغل وعاد به ، وإذا هو خباز الملك معه من طعام وخبيصٌ ، فأتىٰ به سعداً فنفّله أهل موقفه .

وخرج فارسي فطلب البراز ، فبرز إليه عمرو بن معدي كرب ، فأخذه وجلد به الأرض ، فذبحه وأخذ سوارَيْه ومنطقته .

وحملت الفيلة عليهم ففرقت بين الكتائب ، فنفرت الخيل ، وكانت

---

(١) القادسية بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً وبينها وبين العذيب أربعة أميال . وبهذا الموضع كان يوم القادسية بين سعد بن أبي وقاص والمسلمين والفُرس في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سنة (١٦هـ) . معجم البلدان ٤/ ٣٣١ .

(٢) الكامل في التاريخ ٢/ ٤٦٠ ، ٤٦١ .

الفرس قد قصدت بجَيلة بسبعة عشر فيلاً ، فنفرت خيل بجيلة ، فكادت بجيلة تهلك لنفار خيلها عنها وعمّن معها ، وأرسل سعد إلىٰ بني أسد أن دافعوا عن بجيلة وعمَّنْ معها من الناس فخرج طُليحة[1] بن خُويلد ، وحمّال بن مالك في كتائبهما فباشروا الفيلة حتىٰ عدلها ركبانها ، وخرج إلىٰ طُلَيْحة عظيم منهم ، فقتله طُلَيْحة ، وقام الأشعث بن قَيْس في كِنْدة فقال : يا معشر كِنْدة لله در بني أَسد أي فَريّ يَفْرون ، وأيّ هذٍّ يَهُذُّون عن موقفهم ، أغنىٰ كل قوم من يليهم ، وأنتم تنتظرون من يكفيكم ، أشهد ما أحسنتم أُسوة قومكم من العرب .

وقال عمر بن شأس الأسدي :

جَلبنـا الخيـلَ مـن أكنـاف نيـقٍ ... إلـىٰ كسـرىٰ فـوافقتهـا رِعـالا
قَتَلنـا رُستمـاً وبنيـه قسـراً ... تُثيـر الخَيـلُ فَـوْقَهُـمُ الهَيـالا

وفي يوم أرماث استخدم الفرس الفيلة وكانت المعركة حامية الوطيس ونجح القائد عاصم بن عمرو التميمي في هزم الفيلة ، وكانت الخسائر كثيرة من الجانبين[2] .

واشترك طُلَيْحَة في ليلة الهَرير ، وهي الليلة التي قَتل فيها هِلال بن عُلَّفة القائد الفارسي رستم[3] .

قال جابر بن عبد الله : والذي لا إله إلاّ هو ما اطَّلعنا علىٰ أحد من أهل

---

(١) الكامل في التاريخ ٢/ ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ .

(٢) وجاء في جمهرة خطب العرب ١/ ٢٣٠ في هذه المعركة طليحة الأسدي يناشد قومه « يا عشيرتاه : إن المنَّوة باسمه الموثوقُ به وإنّ هذا لو علم أن أحداً أحق بإغاثة هؤلاء منكم استغاثهم ، ابتدئوهم الشّدة وأقدموا عليهم إقدام الليوث الحِربة فإنما سميتم أسداً لتفعلوا فعله ، شدُّوا ولا تصدوا ، وكُروا ولا تفروا ، لله درُّ ربيعة ! أيّ فري يَفْرون ، وأي قِرن يُغنون ! هل يوصل إلىٰ مواقفهم ؟ فأغنُوا عن مواقفكم أعانكم الله ، شدُّوا عليهم باسم الله » .

(٣) الكامل في التاريخ ٢/ ٤٨١ ـ وليلة الهرير من أيام القادسية .

القادسية أنه يريد الدنيا مع الآخرة ، فلقد اتهمنا ثلاثة نفر فما رأينا كأمانتهم وزهدهم ، وهم طُلَيْحة الأَسدي ، وعَمرو بن مَعدي كَرب ، وقَيْس بن المكْشُوح .

وقال عُمر بن الخطاب رضي الله عنه لما قُدِم عليه بسيف كسرىٰ ومنطقته وبزِبْرِجه : (إنّ قوماً أدوا هذا لذوو أمانة) فقال الإمام علي كرم الله وجهه : إنّك عَففتَ فعفَّتْ الرعيّة[1] . كما اشترك طُلَيْحة في وقعة نهاوند سنة إحدىٰ وعشرين للهجرة[2] .

وفاة طُلَيْحة :

وهناك اختلاف بين المراجع في تحديد تاريخ وفاته ، فلقد ذكر كل من ابن حجر في الإصابة ٣/ ٤٤٠ ، والذهبي في سير أعلام النبلاء ١/ ٣١٧ وابن عساكر في مختصر تاريخ دمشق ٢١/ ١٢٧ بأن طُلَيْحة بن خُوَيْلد استشهد في معركة نهاوند سنة (٢١هـ) .

بينما ذكر الطبري ٤/ ٤٤٢ في سنة (٣٦هـ) وأما عُمارة بن شهاب فأقبل حتىٰ كان بزُبالة لقيه طُليحة بن خُويلد ، وقد كان حين بلغهم خبر عثمان خرج يدعو إلىٰ الطلب بدمه ويقول : لهفي علىٰ أمر لم يسبقني ولم أدركه :

يــا ليتنــي فيهــا جــذع　　　أكــرُّ فيهــا وأضــع

وذكر ابن الأثير في الكامل في التاريخ ٣/ ٢٠٢ (سنة ٣٦هـ) يقول وأما عُمارة بن شهاب فلما بلغ زُبالة[3] لقيه طُلَيْحة بن خُوَيْلد ، وكان خرج يطلب

---

(١) الكامل في التاريخ ٢/ ٥١٧ .

(٢) الكامل في التاريخ ٣/ ٩ ، ١١ .

(٣) زُبالة : منزل بطريق مكة من الكوفة ، وهي قرية عامرة . وقال أبو عبيد السَّكُوني : زُبالة بعد القاع من الكوفة وقبل الشقوق فيها حصن وجامع بني غاضرة من بني أسد . (معجم البلدان ٣/ ١٤٥) .

بثأر عثمان وهو يقول : لهفي علىٰ أمر لم يسبقني ولم أدركه ! وقال عُمارة : ارجع فإن القوم لا يريدون بأميرهم بدلاً فإن أبيت ضربت عنقك . وكان عُمارة من ولاة الإمام علي كرم الله وجهه .

هذا يدل علىٰ أن طُليحة لم يستشهد في معركة نهاوند وأنه عاش بعدها فترة طويلة ولم يحدد تاريخ وفاته .

* * *

مُسيلمة(*) بن ثُمامة بن حَبيب (الكذَّاب)

هو مُسيلمة بن ثُمامة بن كَثير[1] بن حَبيب بن الحَارث ، بن عَبْد الحارث ابن عَدي بن حنيفة يُكنىٰ أبا ثمامة[2] .

أهل اليمامة :

لمَّا كتب رسول الله ﷺ إلىٰ ملوك الآفاق في أوَّل السنة السابعة ويقال : في السنة السادسة كتب إلىٰ هَوذة بن علي الحَنفي ، وأهل اليمامة يدعوهم إلىٰ الإسلام ، وأنفذ كتابه بذلك مع سَليط بن قَيْس بن عَمرو الأَنْصَارِي ثمَّ الخَزْرَجي ، فَبعثوا إلىٰ رسول الله ﷺ وَفدهم وكان في الوفد مُجّاعة بن مُرارَة ، فأقطعه رسول الله ﷺ أرضاً مواتاً سأَله إيَّاها ، وكان فيهم أيضاً الرَجَّال بن عُنفُوة فأَسْلم وقرأ سورة البقرة ، وسوراً من القرآن الكريم إلاّ أنّه ارتدَّ بعدُ ، وكان فيهم مُسيلمة الكذّاب ، فقال مُسيلمة لرسول الله ﷺ إن شئت خلَّينا لك الأمر وبايعناك علىٰ أنَّه لنا بعدك .

فقال له رسول الله ﷺ لا ونِعْمَة عَيْن ولكنَّ الله قاتلك .

وكان هَوذة بن علي الحنفي قد كتب إلىٰ النبي ﷺ يسأله أن يجعل الأمر له من بعده علىٰ أن يُسلم ويصير إليه وينصره .

(*) جمهرة النسب ١٥٤ ، ٢٢١ ، ٥٤٣ ، جمهرة أنساب العرب ٣١٠ . الكامل في التاريخ ٢/ ٢٩٨ ، ٣١٤ ، ٣٦٠ طبري ٣/ ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٨١ ، ٢٩٤ ، المنتظم ٤/ ١٧ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢٤ ، صبح الأعشىٰ ١/ ٣٣٩ ، ٤٣٤ . فتوح البلدان ١١٩ ـ ١٤٠ ، سيرة ابن هشام ١/ ٣١١ ، ٣/ ٧٢ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ . الردة ١٢٢ ـ ١٦٨ .

(١) ورد في جمهرة النسب (كبير) ٥٤٣ .

(٢) جمهرة أنساب العرب ، ٣١٠ . ومُسيلمة من المعمرين ، وتسمىٰ بالرحمن في الجاهلية (حاشية السيرة ١/ ٣١١) .

فقال رسول الله ﷺ لا ولا كَرامة اللهمَّ اكفنيه فمات بعد قليل[١] .

فلمَّا انصرف وَفد بني حَنيفة إلىٰ اليمامة ادَّعىٰ مُسيلمة الكذَّاب النُّبوَّة ، وشهد له الرَجَّال بن عُنْفُوة بأن رسول الله ﷺ أشركه في الأمر معه فاتبعه بنو حَنيفة وغيرهم ممَّن باليمامة ، وكتب إلىٰ رسول الله ﷺ مع عُبادة[٢] بن الحارث أحد بني عامر بن حَنيفة :

من مُسيلمة رسول الله

إلىٰ

محمد رسول الله

أمَّا بعد : فإنَّ لنا نصف الأرض ، ولقريش نصفها ولكن قريشاً لا ينصفون[٣] . والسلام عليك . فكتب إليه رسول الله ﷺ :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد النبي إلىٰ مُسيلمة الكذّاب

أمَّا بعد ﴿ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[٤]

والسَّلامُ علىٰ من اتَّبع الهُدىٰ[٥]

وفي رواية ثانية فقدم عليه رسولان بهذا الكتاب فقرآ كتاب مُسيلمة : فقال لهما ﷺ : فما تقولان أنتما ؟ قالا : نقول كما قال ، فقال : أما والله لولا أن الرُّسُلَ لا تُقتل لضربت أعناقكما[٦] .

---

(١) فتوح البلدان ١١٨ ، ١١٩ .

(٢) وهو ابن النَّوَّاحة الذي قتله عبد الله بن مسعود بالكوفة وبلغه أنَّه وجماعة معه يؤمنون بكذب مُسيلمة (فتوح البلدان ١١٩) .

(٣) ورد في الطبري ٣/ ١٤٦ ولكن قريشاً قوم يعتدون .

(٤) سورة الأعراف آية/ ١٢٨ .

(٥) فتوح البلدان ١١٩ ، ١٢٠

(٦) طبري ٣/ ١٤٦ وقد وردت الرواية نفسها في سيرة ابن هشام ٣ و٤/ ٦٠٠ .

وفي رواية ثالثة عن قدوم وفد بني حنيفة في السنة العاشرة علىٰ رسول الله ﷺ فكان منزلهم في دار ابنة الحارث ، امرأة من الأنصار ، ثم من بني النجار . وكان فيهم مُسيلمة الكذاب .

عن ابن إسحاق قال : حدَّثني بعضُ علمائنا من أهل المدينة ، أنّ بني حنيفة أتت بمسيلمة إلىٰ رسول الله ﷺ تستره بالثياب ، ورسول الله جالس في أصحابه ومعه عسيبٌ من سَعف النَّخل ، في رأسه خُوصات فلما انتهىٰ إلىٰ رسول الله ﷺ وهم يسترونه بالثياب ، كلم رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله : لو سألتني هذا العسيب[1] الذي في يدي ما أعطيتك[2] ! .

وعن ابن إسحاق ، عن شَيخٍ من بَني حَنيفة من أهل اليمامة ، قال كان حديث مُسيلمة علىٰ غير هذا ؛ زعم أن وفد بني حنيفة أتوا رسول الله ﷺ وخلفوا مُسيلمة في رحالهم ، فلما أسلموا ذكروا له مكانه ، فقالوا : يا رسول الله إنّا قد خلّفنا صاحباً لنا في رحالنا وركابنا يحفظهما لنا ، قال . فأمر له رسول الله بمثل ما أمر به للقوم ، وقال : أما إنه ليس بشركم مكاناً ، يحفظ ضبعة أصحابه ، وذلك الذي يريد رسول الله ﷺ . قال : ثم انصرفوا عن رسول الله وجاءوا مُسيلمة بما أعطاه رسول الله ؛ فلما انتهىٰ إلىٰ اليمامة ارتد عدو الله وتنبأ وتكذَّب لهم ، وقال : إني قد أُشركت في الأمر معه ، وقال لوفده : ألم يقل لكم رسول الله حيث ذكرتموني : « أما إنه ليس بشركم مكاناً » ! ما ذلك إلا لما كان يعلم أني قد أشركت معه ، ثم جعل يسجع السّجعات ، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن : « لقد أنعم الله علىٰ الحُبلىٰ ، أخرج منها نسمة تَسعىٰ ، من بين صفاق وحشىٰ » . ووضع عنهم الصلاة وأحل لهم الخمر والزنا ، ونحو ذلك .

---

(١) العسيب : جريد النخل .

(٢) تاريخ الطبري ٣/ ١٣٧ .

فَشهد لرسول الله ﷺ أنه نبيٌّ[١] .

بعد وفاة النبي ﷺ برز من المرتدين قادة أشداء يقودون جيوشاً من قبائل العرب أمثال سجاح التميمية ، والأسود العنسي ، وطُليحة الأسدي ، ومُسيلمة الكذّاب باليمامة الذي سنأتي علىٰ ذكر المعركة التي وقعت بين جيشه وجيش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد ، بعد أن ذكرنا أخباره مع سجاح في ترجمة لها .

وأعد أبو بكر رضي الله عنه الجيوش لإعادة الأمور إلىٰ نصابها واقتلاع الردة من جذورها ، وكان من أصعبها مواجهة مسيلمة وخلفه قومه من بني حنيفة ، وسأعتمد هنا علىٰ رواية الواقدي قال : ثم كتب أبو بكر رضي الله عنه إلىٰ خالد بن الوليد ، وهو يومئذ مقيم بالبطاح :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله بن عثمان خليفة رسول الله ﷺ

إلىٰ

خالد بن الوليد ومن معه من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان

أما بعد : يا خالدُ فإنِّي قد أَمَرْتُكَ بالجد في أمرِ الله ، وُمجاهدة من تولىٰ عنه إلىٰ غيره ، ورَجِعَ عن دين الإسلام والهُدىٰ ، إلىٰ الضلالةِ والرَدىٰ ، وعَهدي إليك يا خالدُ أن تَتقي الله وحده لا شريك له ، وعليكَ بالرفقِ والتأني ، وَسِرْ نحو بَني حَنيفة إلىٰ مُسيلمة الكذَّاب واعلم بأنك لم تلق قوماً يُشبهون بَني حَنيفة في البأس والشِّدة ، فإن قدمتَ عليهم فلا تبدأهم بقتال حتىٰ تَدعوهم إلىٰ دَاعيةِ[٢] الإِسلام ، واحرصْ علىٰ صَلاحِهم فمن أَجابكَ منهم فاقبلْ ذلك

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ١٣٨ .

(٢) وداعية الإسلام كلمة التوحيد . والمعنىٰ أن يعرض المسلمون علىٰ المرتدين الرجوع إلىٰ الإسلام قبل حربهم .

منهم ، ومن أَبىٰ فاستعملْ فيه السيف ، واعلمْ يا خالد بأنَّكَ إنما تُقاتل قوماً كفاراً باللهِ وبالرسول محمد ﷺ فإذا عزمتَ علىٰ الحربِ فباشرها بنفسكَ ، ولا تتكلْ علىٰ غيرك ، وَصُفَّ صُفوفكَ ، واحكمْ تَعبئتكَ واحزمْ علىٰ أَمْرِكَ ، واجعلْ علىٰ ميمنتِكَ رَجُلاً ترضاهُ ، وعلىٰ ميسرتك مثله ، واجعلْ علىٰ خيلكَ رَجُلاً عَالماً صابراً ، واستشرْ مَنْ مَعكَ من أَكابرِ أَصحاب رسول الله ﷺ فإن الله تعالىٰ مُوفقك بمشورتهم ، واعرفْ للمهاجرين والأنصار حقهم وفضلهم ، ولا تكسل ، ولا تفشل ، وأَعُدَّ السَّيف للسيِّف ، والرَّمح للرُّمح ، والسَّهم للسَّهم ، واستوصِ بمن معك من المُسلمين خيراً ، وليِّن الكلام ، وأَحسنْ الصُحبة ، واحفظْ وصيّة نَبيك محمد ﷺ في الأنصار خاصة ، وأن تُحسن إلىٰ مُحسنهم ، وتَتَجاوز عن مسيئهم . وقل لا حول ولا قوة إلاّ بالله[١] .

فلما ورد الكتاب علىٰ خالد بن الوليد جمع أصحابه ، ثم أقرأهم الكتاب ، وقال : (ما الذي ترون الآن من الرأي ؟) فقالوا : (الرأي رأيك وليس فينا أحد يخالفك) .

فعندها عزم خالد علىٰ المسير إلىٰ مُسيلمة وأصحابه .

وكتب الشاعر حسان بن ثابت الأنصاري إلىٰ مُحكم بن الطُفيل وزير مُسيلمة ، قصيدة فيها انذار لهم جميعاً ويُسفه مُسيلمة الكذّاب ويخبرهم بحزم خالد بالقدوم إليهم علىٰ رأس جيش جرار ، والشاعر في ذاك الوقت يقوم مقام الإعلام في وقتنا الحاضر ، والقصيدة هي :

يا مُحْكَمَ بنَ طُفَيْلٍ قد نَصَحْتُ لكم   أتاكم اللَّيْثُ لَيْثُ الحَضْرِ والبَادِي[٢]

---

(١) الردة ١٧٣ ، ١٧٤ .

(٢) نسبت القصيدة إلىٰ زياد بن لبيد البياضي ، وكان محكم بن الطفيل صديقاً لزياد بن لبيد من الأنصار ، فقال له خالد في الطريق لو ألقيت إلىٰ محكم شيئاً تكسره به فإنه سيد أهل اليمامة وطاعة القوم له ، فأرسلها إليه . . . » ويقال بعث بها حسان بن ثابت من المدينة . وترجح أنها لحسان بن ثابت (حاشية الردة ـ ١٧٤) .

يا مُحكَمَ بن طُفَيْلٍ قد أُتيحَ لكم ... للهِ درُّ أبيكُـــمْ حَيَّــةَ الـــوادي[1]
يــا مُحكَــمَ بــن طُفَيــلٍ إنكــم نفــرٌ ... كــالشَّــاءِ أسْلَمَهـا الـراعـي لآسـادِ[2]
ما في مُسيلمةَ الكذَّابِ من عِوَضٍ ... مــن دارِ قـــومٍ وأمـــوالٍ وأولادِ[3]
فـاكفُـف حنيفـةَ عنهـم قبـل نـاعيـةٍ ... تنعىٰ فوارسَ حربٍ شجْوَها بادِ[4]
ويــلُ اليمــامــةِ ويــلٌ لأقــوام لــهُ ... إن جالت الخيلُ فيها بالقنا الصادِي[5]
واللهِ واللهِ لا تثنــــىٰ أعنتُهـــــا ... حتىٰ تكونوا كأهلِ الحِجر أو عادِ[6]
لا تَـأمنـوا خــالــداً بــالبُـرد ملتثمـاً ... وَسْطَ العَجاجةِ مثلَ الضيغم العَادي[7]
تعْـدُو بـه سُـرُحُ الـرِّجليـن طـاويـةٌ ... قُــبٌّ مشَـرَّفـةُ المتنيـنِ والهـادِي[8]

فلما وصل هذا الشعر إلىٰ مُحكم وزير مُسيلمة قرأه ، وأرسل إلىٰ وجوه اليمامة فجمعهم ثم قال : (يا بني حنيفة ، هذا خالد بن الوليد ، قد سار إليكم ، في جمع المهاجرين وإنكم تلقون غداً قوماً يبذلون أنفسهم دون صاحبهم ، فابذلوا أنفسكم دون صاحبكم) .

فقالت بنو حنيفة : (سيعلم خالداً غداً إذا نحن التقينا أننا بخلاف من لقي

---

(١) يقولون : فلان حية الوادي : إذا كان شديد الشكيمة حامياً لحوزته (اللسان : حيا) . والمراد في البيت خالد بن الوليد .
(٢) في هذا البيت يقلل الشاعر من شان بني حنيفة فهم كالشاء أسلمها الراعي لآساد .
(٣) وفي هذا البيت يسفه بني حنيفة مُسيلمة وينعته لهم بالكذاب من أجل أن يفقدوا ثقتهم به .
(٤) الشجو : الحزن والهم .
(٥) جال : جال في الحرب جولة ، وجال بعضهم علىٰ بعض في الحرب ، وبينهم مجاولات . وجال القوم جولة : انكشفوا ثم كرُّوا .
(٦) الحجر : ديار ثمود ناحية الشام عند وادي القرىٰ . عاد : قوم هود عليه السلام .
(٧) البرد : ثوب فيه خيوط أو وشي . واللثام : ما علىٰ الفم من النِّقاب . والعجاجة : الغبار ما ثورته الريح . والعادي : الأسد . والضيغم : الأسد كذلك .
(٨) السُّرح من الإبل : السريعة المشي . وطاوية : ضامرة . والقب : الضامرة . والهادي : العنق لتقدمه . والمتن : الظهر الردة ١٧٦ .

من العرب) .

فقال مُحكم بن الطفيل : (فهذا الذي أريد منكم) . ثم كتب إلىٰ خالد بهذه الأبيات :

أيـا بـنَ الـوليـدِ ويـا خـالـدُ ... ويـا أيهـا الأسـدُ الـلابِـدُ[1]
لـرُبَّ أنـاسٍ قـد أفنيتَهُـم ... وأنـتَ إلـىٰ مِثلهـا عـائـدُ
ورُبَّ أنـاسٍ لهُـم سَـورةٌ ... قصـدتَ وأنـتَ لهـم عـامِـدُ[2]
فـأنـتَ تـدُلُّ علـىٰ حُـرْمَـةٍ ... وأنـتَ علـىٰ فعلهـم حـاقِـدُ
فـأمَّـا اليمـامـةَ فـاشْـدُدْ لهـا ... حَيـازِمَـكَ اليـومَ يـا خـالـدُ[3]
سَتلقـىٰ اليمـامـةَ ممنـوعـةً ... بصُـمِّ القَنـا عِـزُّهـا تـالِـدُ[4]
وَبيـضِ السُّيُـوفِ بـأيـدي الـرِّجـا ... ل يحِـنُّ لهـا الكـفُّ والسـاعِـدُ
وهـام تطيـرُ بـأقحـافهـا ... وشَـدَّ عليـك لَهُـم واحـدُ[5]
فـإن تلقهـم تلقهـم مَعشـراً ... متـىٰ يَنـزلـوا بـك سيتـأسـدوا
إذا مـا قضـىٰ القـومُ حَـقَّ الـرِّمـا ... ح ، وقالوا : الطِّعانَ بها جَالَدُوا
فـإن أنـتَ قـاربْتَهُـم قـاربـوا ... وإن أنـتَ بـاعـدتهـم بـاعَـدوا
بـهِ يَـأمَـنُ القـومَ أمـوالَهـم ... كمـا أمِـنَ الجَـدُّ والـوالِـدُ

---

(١) الأسد اللابد : ذو اللبدة وهي الشعر المجتمع علىٰ زبرة الأسد . يشبه خالداً بالأسد اللابد .
(٢) السورة : السطوة .
(٣) أشد حيازيمك للأمر : كناية عن التشمير والاستعداد له . قال علي كرم الله وجهه :
أشـدد حيـازيمـك للمـو ... تِ فـإنّ المـوت لاقيكـا
(٤) التالد : القديم الأصيل . والحيزوم : الصدر .
(٥) الهام : جمع هامة وهي الرأس . وقحف الرجُل : ما انفلق من جمجمته فبان . ولا يدعي قحفاً حتىٰ يبين . ولا يقولون لجميع الجمجمة قحفاً إلا أن يتكسر منها شيء فيقال للمتكسر قحف (اللسان ـ قحف) . وشّد : هجم .
ـ الردة ١٧٨ .

فأجابه حسان بن ثابت الأنصاري يقول :

حنيفـــةُ قـــد كـــادَكِ الكـــائِـــدُ   وبعـــدَ غـــدٍ جَمْعُهُـــمْ هـــامِـــدُ[1]
فَـــويـــلُ اليمـــامـــةِ وَيْـــلٌ لهـــا   إذا مـــا أنـــاخَ بهـــم خـــالـــدُ
فـــلا تـــأمنـــوهُ علـــىٰ غِـــرَّةٍ   وهـــل يُـــؤمَـــنُ الأســـدُ الـــلابـــدُ
هـــو القـــاتِـــلُ القـــومَ يـــومَ البُـــزَاخِ   وقـــد طـــاعنـــوهُ وقـــد جـــالَـــدوا[2]
وأَوْطـــا بَنـــي أَسَـــدٍ ذِلـــةً   وذبيـــانَ أوْطـــا وقـــد عَـــانَـــدُوا[3]
فـــولَّـــىٰ طُلَيْحَتُهُـــم هـــاربـــاً   ومـــا مِثْلُـــهُ منكـــمُ واحـــدُ[4]
وقـــادَ عُيينَـــةَ فـــي غُلّـــهِ   فسُـــبَّ بـــه الجَـــدُّ والـــوالِـــدُ[5]
وأَمْكَنَـــهُ اللهُ مـــن قُـــرَّةٍ   ومَـــالِـــكٍ إذْ كُفْـــرُهُ تـــالـــدُ[6]
وأنتـــم غـــداً مِثْلُـــه بَهْلَـــةٌ   يُعَنّـــىٰ بهـــا الصـــادرُ الـــواردُ[7]

وبلغ بني حنيفة أن خالداً قد سار إليهم في الحد[8] والحديد ، والخيل

---

(١) هامد : ميت .

(٢) بُزاخة : ماء لبني أسد كانت فيه وقعة عظيمة في أيام أبي بكر الصديق مع طُليحة بن خُويلد الأسدي . وقال القعقاع بن عمرو يذكر يوم بُزاخة :

ويوماً علىٰ ماء البُزاخة ، خالدٌ   أثـــار بهـــا فـــي هبـــوة المـــوت عثيـــرا

(معجم البلدان ١/ ٤٨٤) .

(٣) بني أسد : قوم طليحة .

(٤) يذكر هروب طليحة من المعركة رغم الشهادة بشجاعته في المعارك .

(٥) والغُل : جامعة توضع في العنق أو اليد .

(٦) هو قرة بن هبيرة من المرتدين ، ومالك بن نويرة اليربوعي من المرتدين قتله خالد ، أما هبيرة فوقع أسيراً .

(٧) بهلة : إبل سرّحت للرعي بغير راع فهي مهملة . وناقة باهل : غير مصررة يحلبها من شاء (اللسان ـ بهل) يشبه بها بني حنيفة في ضعفهم وعدم قدرتهم علىٰ الامتناع من خالد والمسلمين (الردة ١٧٩) .

(٨) الحدُّ والحدّة سواء وهي ما يعتري الإنسان عند الغضب . والحديد : السلاح .

والجنود ، فاجتمعوا إلىٰ رجل من أكابرهم يُقال له ثُمامة(١) بن أُثال ، وكان ذا عَقلٍ وفَهم ورأي وكان مخالفاً لمُسيلمة علىٰ ما هو عليه ، فقالوا : (يا أبا عامر ، إنه قد سَار هذا الرجل إلىٰ ما قِبلنا ، يُريد قَتْلَنا ، وبوارنا ، واستئصالنا عن جديد الأرض ، فهذا مُسيلمة بن حَبيب بين أظهرنا ، وقد ادعىٰ ما قد علمت من النُّبوة ، فهات الذي عندك من الرأي .

فقال لهم ثُمامة : ويحكم يا بني حَنيفة ، اسْمَعُوا قَولي تَهْتَدُوا ، وأَطيعوا أَمْري ترشدوا ، واعلموا أن محمد بن عبد الله نبي مُرسل ، لا شك في نُبوتهِ ، وهذا مُسيلمة رجلٌ كذابٌ لا تَغْتَروا به ولا بقوله وكذبه ، فإنكم قد سمعتم القرآن الذي أتىٰ به محمد ﷺ عن ربه إذ يقول :

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾(٢) .

فأين هذا الكلام من كلام مُسيلمة ؟ فانظروا في أموركم ، ولا يذهبنَّ هذا عنكم ، ألا وإني خارج إلىٰ ابن الوليد في ليلتي هذه ، وطالب منه الأمان علىٰ نفسي ، ومالي ، وأهلي ، وولدي .

فقال القوم : نحن معك يا أبا عامر ، فكن من ذلك علىٰ علم(٣) .

ثم خرج ثُمامة بن أُثَال في جوفِ اللَّيل في نفرٍ من بَني حَنيفة ، حتىٰ صاروا إلىٰ خالد ، فاستأمن إليه فأمَّنهُ خالدٌ وأَمَّن أصحابه .

وأرسل ثُمامة إلىٰ مُسيلمة بهذه الأبيات ينصحه ويهدده ويتهمه بالكذب فيقول:

---

(١) هو ثُمامة بن أثال بن النُّعمان بن مَسلمة بن عُبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة بن لُجيم . (أسد الغابة ١/ ٤٧٧) .

(٢) سورة غافر ١ ـ ٣ . وذو الطول : ذو الفضل والنعمة المبسوطة علىٰ خلقه .

(٣) الردة ١٨٠ .

مُسيلمـــــةُ ارجـــــعْ ولا تَــــدَّعِ فـإنَّـكَ فـي الأمـرِ لـمْ تُشْـرَكِ[١]
كَـــذبــتَ علـىٰ اللهِ فــي وَحيــهِ وكــانَ هــواكَ هَــوىٰ الأنَــوكِ[٢]
وَمَنَّـــاكَ قَــومُــكَ أنْ يَمنعـــوكَ وإنْ يــأتِهــم خَــالــدٌ تُتْــرَكِ[٣]
سَحَبْــتَ الــذُّيُــولَ إلــىٰ سَــوْءةٍ علــىٰ مَــنْ يَقُــلْ مِثلــهُ يَهْلَــكِ[٤]
فَمَــا لَــكَ فــي الجـو مــن مَصعـدٍ وَمَا لكَ في الأرضِ مِنْ مَسلكِ[٥]

استطلاع خالد في أرض اليمامة :

وسار خالد بمن معه من المهاجرين والأنصار ، حتىٰ إذا تقارب من أرض اليمامة نزل إلىٰ جنب واد من أوديتها ، ثم بعث بجماعة من أصحابه يزيدون علىٰ مائتي فارس ، وقال لهم : (سيروا في هذه البلاد فائتوني بكل ما قدرتم عليه ، فساروا فإذا هم برجل من أشراف بني حنيفة ، يُقال لهُ مُجَّاعة[٦] بن مرارة ومعه ثلاثة وعشرون رجلاً من بني حنيفة[٧] .

فدنا منهم المُسلمون فقالوا : من أنتم ؟ قالوا : نحن قوم من بني حنيفة ، فقال المسلمون : (فلا أَنْعَمَ الله بكم عيناً[٨] يا أعداء الله) . ثم أحاطوا بهم ، فأخذوهم وجاءوا بهم إلىٰ خالد بن الوليد حتىٰ أَوقفوهم بين يديه ، فقال لهم

---

(١) إشارة إلىٰ كذب مسيلمة في رسالته إلىٰ رسول الله ﷺ التي جاء فيها (. . . فإن لنا نصف الأرض ، ولقريش نصفها . . . .) . وهل في النبوّة شراكة ؟ .
(٢) إنه يتهمه بأنه يكذب علىٰ قومه فلا وحي يوحىٰ إليه . والأنوك : الأحمق .
(٣) ولا يمنعك أحداً عندما يأتي خالد إليكم .
(٤) السوءة : الأمر الشائن والعمل الشائن . إن عجز البيت مضطرب .
(٥) أي ليس من مهرب لك يا مسيلمة في الجو أو الأرض . (الردة ١٨١ ، ١٨٢) .
(٦) هو مُجَّاعة بن مُرارة بن سُلْمىٰ ، وقيل سليم ، بن زيد بن عُبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة الحنفي اليمامي ، من رؤساء بني حنيفة . (الإصابة ٥/ ٥٧٩) .
(٧) الردة ١٨١ ، ١٨٢ .
(٨) لا أنعم بكم عيناً : لا أقر بكم عين من تحبونه .

خالد : يا بني حنيفة ما تقولون في صاحبكم مُسيلمة؟ فقالوا: نقول : إنَّه شَريك مُحمد بن عَبد الله في نُبوتهِ. فقال رجل يقال له سارية[1] بن عامر: يا أَبا سُليمان، ولكني لا أَقولُ ذلك . قال خالد : يا مُجَّاعة ما تقول فيما يقول أصحابك هؤلاء ؟ فقال مُجَّاعة : أَقولُ إني قدمتُ المدينة ، وبها رسول الله ﷺ فآمنتُ به وصدَّقتهُ أنا وصاحبي هذا، سَارية بن عامر، ولا والله ما غَيّرنا ولا بَدْلنا، غير أنه لم يكن لنا بُد من مُداراة مُسيلمة خوفاً علىٰ أَنفسنا وأَموالنا ، وأَولادنا .

فقال له خالد : فاعتزل أنت وصاحبك هذا ناحية من هؤلاء الكفار ، ثم قدّم خالد بقية القوم فضرب أعناقهم صبراً ، ثم عمد إلىٰ مُجَّاعة ، فقال مُجَّاعة : أيها الأمير ، إني لم أزل مُسلماً ، وأنا اليوم علىٰ ما كنت عليه أمس ، وقد رأيتك عجلت علىٰ هؤلاء القوم بالقتل ، وأنا خائف علىٰ نفسي منك ، ولكن أيها الأمير إن كان رجل كذّاب خرج بين أظهرنا ، فادّعىٰ ما ادّعىٰ ، فليس عليك أن تأخذ البريئ بأمر السقيم ، فإنّ الله تبارك وتعالىٰ يقول : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[2] .

ثم أنشأ مُجَّاعة[3] يقول :

أَتُـرىٰ خـالـداً يُقَتِّلُنـا اليَـوْ ... مَ بِـذَنْـبِ الأُصيفـرِ الكـذَّابِ[4]
عِنـدَنـا اليـومَ فـي مُسيلمـةَ الـرَّ ... دُ لِتِلـكَ القُـرىٰ وطُـولِ العِتَـابِ
لـمْ نَـدعْ مِلَّـةَ النَّبـيِّ ولا نَحْـ ... ـنُ رَجَعْنَا عنها علىٰ الأعقابِ[5]
إنْ يكُـنْ خـالـدٌ يُـريـدُ دَمـي اليـ ... ـومَ فَمـا إنْ أرادَهُ بصـوَابِ

---

(١) ثبت علىٰ الإسلام زمن الردة ، وأُسر مع مجاعة بن مرارة قُبيل معركة اليمامة ؛ فلما جيء به لخالد عرف فيه وفي صاحبه الثبات علىٰ الإسلام فعفا عنهما .

(٢) سورة الأنعام : آية ١٦٤ .

(٣) الردة ١٨٣ .

(٤) وصف مُسيلمة أنه كان (رُويجل ، أُصيفِر ، أُخينس) .

(٥) المِلَّة : الشَّريعةُ أو الدِّين .

وَلَسَفْـكُ الـدِّمَـا أخـفُّ عليـهِ ... يا لـكَ الخيرُ مِـنْ طَنينِ الـذُّبابِ
قُلْـتُ للنَّفـسِ إذْ تَعـاظَمَـك المـو ... تُ فَعُدِّي مَنْ ماتَ من أصْحابي[1]
مِـنْ عَـديٍّ وعـامـرٍ وَمَنـاةٍ ... وبَنـي الـدُّولِ تلكُـمُ أحْبـابـي[2]
وَلَنـا أسـوةٌ بمـنْ أكـلَ الـدَّهـرُ ... ولَيْـس الـرؤسُ كـالأَذْنـابِ[3]

ثم أقبل عليه سارية بن عامر ، فقال : أيها الأمير ، من خاف سيفك رجا عدلك ، ومن رجا عدلك رجا أماناً منعماً ، وقد خفتك ورجوتك ، وأنا بحمد الله علىٰ دين الإسلام ، ما غيّرت ولا بدلت ، فإن أَردتَ أن يستقيم لك أَمر بني حَنيفة فاستبقني واستبق هذا الشيخ ، فإنه سيد أهل اليمامة ، ولا تؤخذنا بما كان من تخلفنا عنك والسلام ، ثم أنشأ يقول[4] :

يا بنَ الوليدِ ، لقد أسرعتَ في نَفرٍ ... مِنْ عامرٍ وعديٍّ أو مِنَ الدُّولِ[5]
فـاستبـقِ مُجّـاعـةَ المـأمُـولَ إنَّ لـهُ ... خَطباً عَظيماً وأمراً غيرَ مَجهُولِ[6]
إن تَعطـهِ منـك عهـداً لا تَخيـسُ بـهِ ... تقطّعْ بهِ عنكَ عَيبَ القالِ والقيلِ[7]
ويـلُ اليَمـامـةِ ويـلٌ لا ارتجـاعَ لـهُ ... إنْ كـانَ مـا قلـتُ فيـه غَيـرَ مَقبُـولِ

قال خالد : قد عفوت عنكما ، ولكن أقيما في عسكري ، ولا تعبرها حتىٰ أنظر علام ينصرم أمري وأمر بني حنيفة ثم أمر خالد بمُجّاعة وسارية فأُطلقا من حديدهما[8] . فأنشأ بعض المسلمين يقول :

---

(١) تعاظمك الموت : عظم عليك .
(٢) عدي ، وعامر ، وبنو الدول : من أحياء بني حنيفة .
(٣) أسوة : قدوة .
(٤) القائل سارية بن عامر الحنفي .
(٥) أسرعت في نفر : أي في قتلهم .
(٦) خطباً : شأناً وأمراً .
(٧) خاس الشيء يخيسه : إذا تغير وفسد . والخَيس (بالفتح) مصدر .
(٨) الردة ١٨٦ .

بَنـــي عَـــامـــرٍ أنتُـــمُ عُصبـــةٌ — لعَـــالـــي المكـــارمِ مِتْبَـــاعَـــهْ
وقـــدْ زانَ مَجـدكُـــمُ خـــالـــدٌ — بـــإطْـــلاقـــهِ غُـــلَّ مُجَّـــاعَـــهْ
وسَـــارِيـــةُ الخَيـــرِ قـــدْ فكَّـــهُ — وكـــانَ رهينـــةَ أوجَـــاعِـــهْ
فَمـــا لليَمـــامـــةِ مـــن مَلجـــأٍ — سِـــوىٰ السَّمْـــعِ لله والطَّـــاعَـــهْ[1]

المعركة :

وسار خالد بن الوليد بالمسلمين حتىٰ نزل بموضع يقال له عقرباء[2] ، بأرض اليمامة ، فضرب عسكره هناك ، وسار مُسيلمة في جمع بَني حَنيفة حتىٰ نزل حذاء خالد ، فأقاموا يومهم ذلك ينظر بعضهم إلىٰ بعض ، فلما كان من الغد وَثب خالد يعبي أصحابه فكان علىٰ ميمنته زَيْد بن الخَطاب ، وعلىٰ ميسرته أُسامة بن زَيْد مولىٰ رسول الله ﷺ ، وعلىٰ الجناح البَراء بن مالك أخو أنس بن مالك . وسَلّت بنو حَنيفة سيوفها من أجفانها ، وأبرقوا بها ، ثم إنهم ضجوا ضجةً ، ونَفروا نَفرةً مُنكرة .

فقال خالد : (أيها القوم أبشروا ، فإن القوم مخذولون إن شاء الله تعالىٰ ، وإنما سَلّوا هذه السيوف ليرهبوكم ، ولم يفعلوا ذلك إلا جزعاً وفشلاً) .

فسمع ذلك رجل من بني حنيفة فقال : هيهات والله يا ابن الوليد ، ولكن أبرزناها لكم من أغمادها لتعلموا أنها ليست كسيوفكم الخشنة الكليلة .

ودنا القوم بعضهم من بعض ، وتقدّم خالد بن الوليد في أوائل المسلمين وهو يقول :

لا تُـــوعِـــدُونـــا بـــالسُّيُـــوف المُبْـــرقَـــهْ

---

(١) الردة ١٨٧ .

(٢) عقرباء : منزلٌ من أرض اليمامة في طريق النباج قريب من قرقرىٰ وهو من أعمال العرض خرج إليه مُسيلمة لما بلغه سرىٰ خالد إلىٰ اليمامة ونزل بها (معجم البلدان ٤/ ١٣٥) .

إنَّ السِّهَامَ بالرَّدىٰ مُفَوَّقَهْ[1]
والحربُ خُلوٌ من عِقَالٍ مُطلقَهْ
لا ذَهبٌ يُنجيكُمُ ولا رِقَهْ[2]
وَخَالدٌ مِنْ دينهِ علىٰ ثِقَهْ[3]

وتقدم عمار بن ياسر وفي يده صَفيحة[4] يمانية وهو يرتجز ويقول :

أنا أبو اليَقْظَانِ شَيخي ياسِرُ[5]
مِنْ مَعْشَرٍ آباؤُهمْ أَخايرُ
وفي يميني ذُو وَمِيْضٍ بَاتِرُ
صَفِيحةٌ وَرِثْتَها يا عَامِرُ

ثم حمل فلم يزل يقاتل حتىٰ قَتل منهم جماعة ، وحمل رجل من بني حنيفة وضربه ضربة فالتقاها بجحفته[6] ، فراحت الضربة في الجحفة ، وهوت إلىٰ أذن عمار فرمت بها ، وداخله عمار فضربه ضربة فقتله . ثم تقدم الحارث[7] بن هشام المخزومي أخو أبي جهل بن هشام فجعل يهدر كالفحل

---

(١) والفوق : مشق الرأس من السهم حيث يقع الوتر . ومفوقه : ممشوقة الرأس .
(٢) الرقة : الفضة مثل الوَرِق . وَرِق : يريد الفضة والدراهم المضروبة (اللسان ـ ورق) .
(٣) الردة ١٨٨ .
(٤) الصفيحة : السيف العريض .
(٥) هو أبو اليقظان عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة ، حليف بني مخزوم وأمه سمية ، كان من السابقين الأولين هو وأبوه وأمه . وكانوا مما يعذّب في الله ، فكان رسول الله ﷺ يمر عليهم فيقول : (صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة) وهاجر إلىٰ المدينة ، وشهد المشاهد كلها مع رسول ﷺ ﷺ ثم شهد اليمامة فقطعت أذنه بها ، واستعمله عمر علىٰ الكوفة، واستشهد بصفين وله ثلاث وتسعون سنة . انظر (الإصابة ٢/ ٥٠٦) حاشية الردة ١٨٩ .
(٦) الجحفة : ترس يتخذ من الجلود خاصة ، وقيل هي من جلود الإبل مقورة ، أو من جلود الإبل يطارق بعضها ببعض .
(٧) هو الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي ، لقبه=

وهو يقول :

إنِّـــي بـــربِّـــي والنَّبـــيِّ مُـــؤْمِـــنُ
بـالبَعْـثِ مِـنْ بَعْـدِ المَمَـاتِ مُـوْقِـنُ
والـدَّهْـرُ قِـدْمـاً بـالـرَّحيـلِ مُـؤْذِنُ
أقْبِـحْ بِشَخْـصٍ للحيـاةِ مُـوْطِـنُ

ثم حمل فقاتل قتالاً شديداً ، ورجع إلىٰ موقفه[1] .

وتقدم زَيْد بن الخَطاب وهو يَرْتَجز ويقول :

قـد عَلِـمَ الأقـوامُ أنِّـي زَيْـدُ[2]
ليـثٌ هصـورٌ لَيْـس منِّـي حَيْـدُ[3]
لكنَّنـي فـي الحـربِ عنـدي كَيْـدُ[4]
وَذُو أَنـاةٍ ثـم عنـدي أيْـدُ[5]

ثم حمل وذلك في آخر النهار فلم يزل يُقاتل حتىٰ قتل خمسة من وجوه القوم وفرسانهم ، وقُتل رحمه الله . وتقدم عامر بن كثير العَدوي وهو ابن عم

= أبو عبد الرحمن ، شهد بدراً وأُحداً مشركاً ، وأسلم يوم فتح مكة ، وحسن إسلامه ، ولم يزل مجاهداً حتىٰ ختم الله له بخير ، ومات في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة . الردة ١٩٠ .

(١) الردة ١٩٠ .

(٢) هو أبو عبد الرحمن زَيْد بن الخطاب بن نُفيل بن عَبد العُزىٰ القرشي العدوي ، صحابي من الشجعان في الجاهلية والإسلام وهو أخو أمير المؤمنين عمرو بن الخطاب ، وكان أسن منه ، وأسلم قبله وشهد المشاهد ، وكانت راية المسلمين في يده يوم اليمامة ، فثبت حتىٰ استشهد رحمه الله ، وحزن عليه عمر حزناً شديداً . انظر (طبقات ابن سعد ٣/ ٢٧٤) .

(٣) الهصور : الأسد الشديد . وليس مني حيد : لا مفر مني ولا مهرب . وحاد عنه يحيد حيداً : مال عنه وعدل .

(٤) كيد : مكر .

(٥) الأناة : الحلم والوقار . والأيد : القوة .

لِزَيْد حتىٰ وقف بين الجَمعين وأنشأ يقول :

ألا يـا زَيْـدُ ، زَيْـدَ بنـي نُفَيْـل لقـد أوْرَثْتَنـا وَيْـلاً بـوَيْـلِ[1]
غَـداةَ غَـدتْ حَنيفـةُ فـي مَكَـرٍّ كـأنَّ جُمُـوعَهـمْ دُفَّـاعُ سَيْـلِ[2]

ثم حمل فقاتل فلم يزل يُقاتل حتىٰ قُتل رحمه الله .

واشتبكتْ الحربُ بين الفَريقين بعد أن كانت مُبارزة بين الأَبطال من الطرفين ، فَقُتل من المسلمين زُهاء ثلاثمائةَ رجل ومن بني حنيفة أضعافهم ، وأمسىٰ المساء فرجع القوم بعضهم من بعض[3] .

وبعد هذه المعركة الحامية الوطيس عاد الطرفان إلىٰ مُبارزة الأبطال من الجانبين ، فالمبارز يرتجز ويقول الأشعار الحماسية ويقاتل قتالاً شديداً حتىٰ يلقىٰ حتفه أو يقتل خصمه ويعود إنها البطولة .

وتقدم مُحكم بن الطفيل حتىٰ وقف أمام أصحابه ، وهو شاهر سيفه ، رافعاً صوته وهو يقول :

فـأنـا مُحكَـمٌ فهـل مـن شُجَـاعٍ يَبْـرُزُ اليـومَ للسيُـوفِ الـرِّقَـاقِ

ثم حمل علىٰ المسلمين فقاتل قتالاً شديداً ، وحمل عليه ثَابت بن قَيْس الأَنْصاري فطعنه في خاصرته طعنة نكسه عن فرسه قتيلاً ، ثم جال الأنصاري في ميدان الحرب جولة ثم أنشأ يقول :

سـائِـلْ بنـا أهْـلَ اليَمَـامَـةِ إذْ بَغَـوْا وتَمَـرَّدُوا فـي الكُفْـرِ والإصْغَـارِ[4]
جعلـوا مُسَيْلَمَـةَ الكَـذُوبَ نَبيَّهُـمْ يـا بئْـسَ فِعْـلُ مَعَـاشِـرِ الفُجَّـارِ

---

(١) الويل : حلول الشر .
(٢) الدفاع : كثرة الماء وشدته ، ونسبه جموعهم في قوة اندفاع السيل العرم .
(٣) الردة ١٩٢ .
(٤) الأصغار : الذل .

ثم حمل هذا الأنصاري علىٰ جماعة من بني حنيفة حتىٰ قُتل رحمه الله .

ثم تقدم السَائب[1] بن العَوَّام أخو الزبير بن العَوَّام وهو يرتجز ويقول :

يــا قَــوْمُ جِــدُّوا فــي قِتَــالِ القَــوْمِ
واهتَجِــرُوا النَّــومَ فَمــا مِــنْ نَــوْمِ

فحمل علىٰ القوم فلم يزل يقاتل حتىٰ قُتل رحمه الله[2] .

وهنا يعطي الواقدي صورة حسنة عن أحد أبطال معركة اليمامة من المسلمين فيقول : وكان البراء[3] بن مالك فارساً بطلاً ، لا يُصطلىٰ بناره ، وكان إذا شهد الحرب وعاينها أخذته الرعدة وانتفض انتفاضاً شديداً ، حتىٰ كان ربما يعقل بالحبال ، ويضبطه الرجال ، فلا يزال كذلك ساعة حتىٰ يفيق فإذا أفاق يبول بولاً أحمر كالدم ، ثم إنه يثب قائماً مثل الأسد ، فيقاتل قتالاً لا يقوم له أحد ، فلما كان ذلك اليوم ، وعاين من شدة الحرب ما عاين أخذته الرعدة والنفضة ، فلما أفاق وثب وجعل يرتجز :

قــد ثَــارَ ليــثُ الغيــلِ للقِــرَاعِ[4]

---

(١) السائب بن العوام الأسدي ، شقيق الزبير بن العوام ، شهد بدراً والخندق ، وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ واستشهد يوم اليمامة . (الردة ١٩٤) .

(٢) الردة ١٩٢ ـ ١٩٣ ـ ١٩٤ .

(٣) هو البَراء بن مالك بن النضر بن ضمضم الخزرجي الأنصاري ، أخو مالك بن أنس لأبيه ، كان حسن الصوت ، وكان يرتجز لرسول الله ﷺ في بعض أسفاره ، فقال له ﷺ إياك والقوارير . وشهد البراء مع الرسول المشاهد كلها إلا بدراً ، وله في يوم اليمامة بلاء وأخبار ، واستشهد يوم (حصن تستر) في خلافة عمر سنة عشرين وقيل سنة ثلاث وعشرين (حاشية الردة ١٩٥) .

(٤) الغيل : الشجر الكثير الملتف . والقراع : المضاربة بالسيوف . وقيل مضاربة القوم في الحرب .

بـــذي غِـــرارٍ خَـــذِمٍ قَطَّـــاعِ[1]
ولَهـــــذَمٍ مُقَـــوَّمٍ لَمَّـــــاعِ[2]
لـــهُ بـــريـــقٌ وهـــو ذُو شُعَـــاعِ

ثم حمل علىٰ جمع بني حنيفة ، فجعل تارة يضرب بسيفه ، وتارة يطعن برمحه ، حتىٰ قتل منهم جماعة ورجع إلىٰ موقفه .

وصاحت بنو حنيفة بعضها في بعض وحملوا علىٰ المسلمين حملة منكرة فأزالوهم عن موقفهم ، وقَتلوا منهم نيفاً علىٰ ثمانين رجلاً ، ثم كبّر المسلمون عليهم وكشفوهم كشفة قبيحة ، ثم تراجعت بنو حنيفة ومعهم صاحبهم مُسيلمة[3] .

خالد ومُسيلمة علىٰ أرض المعركة :

وعندما رأىٰ مُسيلمة تقهقر جماعته وقف أمامهم ثم حسر عن رأسه وجعل يقول :

أنـــا رَسُـــولٌ وارتضـــانـــي الخَـــالِـــقُ
القـــابِـــضُ البـــاسِـــطُ ذاكَ الـــرَّازِقُ
يـــا بـــنَ الـــوليـــدِ أنـــتَ عنـــدي فـــاسِـــقُ
وكـــــافِـــــرٌ بـــــربِّـــــهِ مُنَـــــافِـــــقُ

وحمل وحملت معه بنو حنيفة كحملة رجل واحد ، وانهزم المسلمون بين أيديهم ، وأسلموا سوادهم[4] . وصارت بنو حنيفة إلىٰ فسطاط[5] خالد

---

(١) الغرار : حد الرمح والسهم والسيف . وخذم : قاطع .
(٢) اللهذم : القاطع من الأسنة .
(٣) الردة ١٩٥ ـ ١٩٦ .
(٤) سواد القوم : معظمهم . وسواد الناس : عوامهم وكل عدد كثير . وسواد العسكر : ما يشتمل عليه في المضارب والآلات والدواب . . .
(٥) الفُسطاط ، بالضم : السرادق من الأبنية .

فأحدقوا به ، وثبت لهم خالد يومئذ وحده ، يقاتلهم بالسيف ، فإذا هو قد كشفهم عن فُسطاطه ، ويلتفت إلىٰ المسلمين فيناديهم : (ويحكم يا قُراء القرآن ، أما تخافون غضب الرحمن ، وعذاب النيران ؟ ويحكم يا أهل دين الإسلام ، أين الفرار ممن يزعم أنه شريك نبيكم محمد في نبوته ورسالته ؟ أما تخافون الله أن يطلع عليكم فيجازيكم علىٰ أشر أفعالكم .

فثاب[1] إليه الناس من كل جانب حتىٰ أحدقوا[2] به ، ودنت بنو حنيفة للقتال ، كأنهم الأُسد الضارية ، واشتدت الحرب بين الطرفين[3] .

وهنا يظهر من سير المعركة أنه بعد كل مبارزة بين عدد من الأبطال يجري اشتباك عام بين الفريقين .

بطولة أبو دجانة :

وحمل أبو دُجَانة (سِمَاك[4] بن خَرَشَة الأنصاري) علىٰ بني حنيفة وهو يرتجز :

اليـــومَ أَفنـــي مَعشـــرَ الفُجَّـــارْ

وقتل منهم جماعة ، وحمل عليه رجل من سادات بني حنيفة ليضربه بالسيف فأخطأه ، وضربه أبو دُجَانة ضَربةً فَقطعه نصفين ، وحمل علىٰ رجل آخر من بني حنيفة وولىٰ الحنفي بين يديه ، ولحقه أبو دجانة فَضربه فَقطع ساقيه

(١) ثاب الرجل يثوب ثوباً وثوباناً : رجع بعد ذهابه . ويقال ثاب فلان إلىٰ الله ، وتاب ، بالثاء ، والتاء أي عاد ورجع إلىٰ طاعته .

(٢) أحدقوا به : أطافوا به .

(٣) الردة ١٩٦ ـ ١٩٧ .

(٤) هو سماك بن خرشة بن لوذان بن عبدود بن ثعلبة الأنصاري الساعدي ، شهد بدراً مع رسول الله ﷺ وكان فارساً مغواراً دافع عن رسول الله ﷺ يوم أحد حتىٰ كثر فيه الجراح ، وفي يوم اليمامة أبلىٰ بلاءً حسناً ، ويروىٰ أنه اشترك في قتل مُسيلمة ، واستشهد يوم ذاك رحمه الله . (حاشية الردة ١٩٨) .

جميعاً ، ثم حمل علىٰ ميمنتهم فضرب فيهم ضرباً وجيعاً ، وحمل علىٰ ميسرتهم ففعل كذلك ، وكان ربما حمل علىٰ الرجل فيعانقه ثم يَذبحه ، ثم يقف وينادي بأعلىٰ صوته : (يا أهل الدين والإسلام ، إليَّ إليَّ فداكم أبي وأمي) فثاب إليه السوابق من أهل بدر ، وأحد ، والأحزاب ، وكبروا ، وحملوا معه حملة عجيبة أي علىٰ مُسيلمة وأصحابه ، فكشفوهم كشفة فاضحة وقتلوا منهم جماعة ثم رجعوا إلىٰ موقفهم . فتقدم ثابت[1] بن قيس بن شماس الأَنصاري خطيب الأنصار وشيخهم ، وفي يده راية صفراء وهو يرتجز ويقول :

والمـوتُ لا شـكَ بهـم رهـن يـدي

ثم حمل علىٰ القوم فلم يزل يقاتل حتىٰ قُتل رحمه الله ، وحمل ابن عم ثابت حتىٰ وقف بين الجمعين واسمه بشير بن عبد الله بن الحارث بن النجار وأنشأ يقول :

أبْقىٰ لنَا ثابتٌ ، والدَّهرُ ذُو عجبٍ   حُزْناً طويلاً ، وَجُرحاً ما له آسِ[2]

حديقة الموت والمعركة الأخيرة :

ثم إنّ المسلمين اجتمعت آراؤهم أن يحملوا بأجمعهم علىٰ بني حَنيفة حملة واحدة ، ثم إنهم لا يرجعون حتىٰ ينكوا[3] فيهم ، فعزموا علىٰ ذلك ، ثم إنهم اجتمعوا في موضع واحد ، وكبروا تكبيرة ، ثم حملوا فكشفوهم حتىٰ الجؤوهم إلىٰ حديقة لهم ، فلما دخلوا إلىٰ الحديقة وحُصروا في جوفها ومُسيلمة الكذاب معهم ، أقبل المسلمون إلىٰ الحديقة ، فقال أبو دُجَانة الأنصاري : (ويحكم يا مَعْشَر الأَنصار ، احْمِلُوني حملة ، والقوني إليهم) .

---

(١) هو بشير بن عبد الله الأنصاري من بلحارث بن الخزرج ، استشهد يوم اليمامة بعد أن أبلىٰ بلاءً حسناً . (حاشية الردة ٢٠٠) .

(٢) والآسي : الطبيب (الردة ١٩٩ ـ ٢٠٠) .

(٣) ينكوا فيهم : والنكاية كثرة القتل والجراح .

فَحُمل أبو دُجانة علىٰ تُرس بعض الأنصار ثم رُفع بالرماح حتىٰ ألقىٰ في جوف الحديقة ، فوقع أبو دجانة في الحديقة ، ثم وثب كالليث المغضب ، وهو يرتجز ويقول :

أنـــا سِمـــاكُ وأبـــو دُجَـــانَـــهْ
لســـتُ بـــذي ذُلٍّ ولا مَهـــانَـــهْ
ولا جَبـان القلـبِ ذا استكـانَـهْ [1]
لا خيـرَ فـي قـومٍ بـديـن خـانَـهْ [2]

فلم يزل يقاتل في جوف الحديقة حتىٰ قُتل رحمه الله .

وصاح رجل من بني حنيفة بأصحابه : (ويحكم يا معشر بني حَنيفة اعلموا أن هذه الحديقة حديقة الموت ، فقاتلوا أبداً حتىٰ تموتوا كراماً)[3] .

واقتحم خالد بن الوليد رضي الله عنه هذه الحديقة بفرسه وفي يده سيف لو ضرب به الحجر قطعه ، فجعل يرتجز ويقول :

أسْعَـدَنـا قَـومٌ علـىٰ المـوتِ فَنـوا
لـم يَهـدِمُـوا الـدِّيـنَ ولا الـدُّنيـا أَبـوا
واللهُ يَجـزي كُـلَّ قَـومٍ مـا نَـووا
فَطـالَمـا جَـاعـوا وطـالَمـا ظَمـوا
فـاليـوم حَقّـاً شَبِعُـوا ثـم رَووا

فاستقبله رجل من بني حنيفة، فقال له: (أين تريد يا بن كذا وكذا ؟)[4] .
فحمل عليه خالد ، واعتنقه الحنفي فسقطا عن فرسيهما جميعاً إلىٰ الأرض ،

---

(١) الاستكانة : الذل والخضوع .
(٢) خانه : خيانه .
(٣) الردة ٢٠١ ـ ٢٠٢ .
(٤) كناية عن كلمات قبيحة وبذيئة .

فسقط الحنفي تحت خالد ، فجعل يجرحه من تحته ، بخنجر سبع جراحات ، ووثب خالد من فوقه وتركه ، وإذا فرس خالد قد غادرت الحديقة . وجعل يقاتل حتىٰ تخلص ، (وهو لما به)[1] .

وأقبل عباد[2] بن بشير الأنصاري حتىٰ وقف علىٰ باب الحديقة ، ثم نادىٰ بأعلىٰ صوته : (يا معشر الأنصار احطموا جفون سيوفكم ، واقتحموا هذه الحديقة عليهم ، فقاتلوهم أبداً ، أو يَقتل الله مُسيلمة الكذَّاب) . ثم كسر عباد بن بشير جفن سيفه ، وكسرت جفون الأنصار جفون سيوفهم ، واقتحموا الحديقة ، وهم عشرون ومائة رجل ، فقاتلوهم حتىٰ ما بقي منهم إلا أربعة نفر فإنهم أقبلوا مجروحين لما بهم ، وعظم الأمر علىٰ الفريقين جميعاً ، والتفت بنو حنيفة إلىٰ مُسيلمة ، فقالوا : (ألا ترىٰ إلىٰ ما نحن فيه من قتال هؤلاء ؟) . فقال : (بهذا أتاني الوحي أن القوم يلجئونكم إلىٰ هذه الحديقة ويكون قتالكم معهم في جوفها فقال له بعضهم : فأين ما وعدتنا من ربك أن ينصرنا علىٰ عدونا ؟ وأن هذا الدين الذي نحن فيه هو دين القيمة .

فقال مُسيلمة : (أما الدين ، فلا دين لكم ، ولكن قاتلوا عن أحسابكم . أتظنون أننا إنما كنا نقاتل إلىٰ الساعة ، ونحن علىٰ الحق وهم علىٰ الباطل ؟ إنه لو كان ما تظنون إذاً لما قُهرنا ، ولا فلّ أحد جمعنا .

وجعل مُسيلمة يرتجز ويقول :

لبِئْسَ مَا أوردنا مُسيلَمَهْ
أبقىٰ لنا مِنْ بَعدنا أُغَيلَمَهْ

ثم اقتحم المسلمون بأجمعهم إلىٰ مُسيلمة وأصحابه ، فقاتلوهم حتىٰ

---

(١) لعل المقصود بهذه العبارة : وهو في أشد المعاناة مما ناله من جراح ، أو نحو ذلك .

(٢) عباد بن بشر بن قيظي الأنصاري الأوسي من بني حارثة بن الحارث بن الخزرج ، شهد بدراً (الإصابة ٣/ ٤٩٥) .

احمرّت أرض الحديقة من الدماء[1] . ونظر وحشي غلام جُبير بن مُطعم بن عدي إلىٰ مُسيلمة ، وقد ألجأه المسلمون إلىٰ جانب الحديقة ، فقصده وحشي ، وقصده أيضاً رجل من الأنصار يقال له عبد الله بن زَيْد ، فنظر إليهما مُسيلمة وقد قصداه ، فحمل عليهما ، فبرده الأنصاري بضربة علىٰ رأسه فأوهنه ، ورمىٰ به وحشي بحربة كانت في يده ، فوقعت الحربة في خاصرته ، فسقط مُسيلمة عدو الله عن فرسه قتيلاً .

وتصايح الناس من كل جانب : ألا إنّ مُسيلمة عدو الله قد قتله عبد أسود وهو وحشي غلام جُبير بن مُطعم . وجعل وحشي ينادي : (أيها الناس أنا وحشي غلام جبير بن مطعم ، قتلت خير الناس وأنا كافر ، أعني حمزة بن عبد المطلب ، وقتلت شرّ الناس وأنا مسلم ، أعني مُسيلمة الكذاب)[2] .

ثم أنشأ الأنصاري يقول :

ألم تر أنّي وَوَحشيّهُمْ قَتلْنَا مُسَيْلَمَةَ المُفتَتَنْ
ولكنْ شرِيكانِ في قَتْلِهِ كما شاركَ فيه الرُّوحُ البَدَنْ[3]

فَدفعتْ حنيفة جانباً[4] من الحائط الذي للحديقة وخرجوا منها والسيف يأخذهم ، فأقبل خالد بن الوليد ومعه جماعة من المسلمين ، فوقفوا علىٰ مُسيلمة وهو مقتول ، ونظر إليه فإذا هو أشقر أخنس ضعيف البدن .

فقال خالد : أين مُجَّاعة بن مرارة ؟ .

فقال : ها أنذا أصلح الله الأمير .

فقال : هذا صاحبكم الذي أوقعكم ؟ .

---

(١) الردة ٢٠٥ .

(٢) الردة ٢٠٦ .

(٣) الردة ٢٠٧ .

(٤) إذ المراد أن حنيفة هدمت جانباً من الحائط ليخرجوا منه .

فقال مُجاعة : نعم أصلح الله الأمير ، هذا صاحبنا ، فلعنة الله عليه ، فلقد كان مشؤوماً علىٰ نفسه وعلىٰ بني حنيفة[1] .

وأحصي من قُتل من المسلمين ألفان ومائتا رجل منهم سبعمائة رجل حفاظ القرآن ، وبلغ ذلك أبا بكر رضي الله عنه فقامت النائحات في المدينة علىٰ القتلىٰ[2] .

وقال ابن الأثير : وقد قُتل من المهاجرين والأنصار من أهل المدينة ثلاثمائة وستون ، ومن المهاجرين ثلاثمائة رجل ، وَقُتل من بني حنيفة بعقرباء سبعة آلاف وبالحديقة مثلها[3] .

وكان تعداد بني حنيفة حوالي أربعين ألف مقاتل[4] .

إن بني حنيفة كانوا يعرفون أن مُسيلمة كاذب وكذاب ، ولكنهم لم يأخذوا علىٰ يده ولم تكن لهم نظرة للمستقبل وتحليل للواقع الذي يعيشون ، فكان اتباعهم لمُسيلمة من قبيل العصبية القبلية ، ولو فكروا بأن النُّبوة هي من الله ، وليس مجرد سجع للكلام وتحريف للأقاويل لما وقعوا في دائرة أفكار مُسيلمة الضيقة والتي لا تتعدىٰ الادعاء الأجوف . ولم يخطر علىٰ بال بني حنيفة وعلىٰ رأسهم مُسيلمة ، أن رسالة الإسلام جاءت لتنظم وترسي أُسس دولة تقوم علىٰ العدل والإيمان والوحدة والمجتمع المتكافل المتضامن ويكون لهذه الدولة قوة وجيش وهيبة ونظام . وأدرك الكذاب ذلك واعترف مُسيلمة في كذبه في اللحظة الأخيرة في حديقة الموت[5] .

---

(١) الردة ٢٠٩ .

(٢) الردة ٢١٣ . وفي الصفحة ٢٢٢ جاء ألف ومائتا رجل أي الذي استشهدوا من المسلمين .

(٣) الكامل في التاريخ ٢/ ٣٦٥ ـ طبري ٣/ ٢٩٧ . أما مجموع ما أورده الطبري عن شهداء المسلمين (٩٦٠ رجل) .

(٤) الكامل في التاريخ ٢/ ٣٦١ وكانت خسائر بني حنيفة حوالي أربعة عشر ألف رجل .

(٥) تعليق المؤلف .

مقدمة في عبد الله بن سَبأ

عَبد الله بن سَبأ أو ابن السوداء ، هذا الذي كَثُر فيه الكلام ، ولعب دور الفتنة التي هاجت في زمن عثمان وبعد مقتله . ولماذا يُذكر اسم ابن السوداء مع اسم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وعلي منه بَراء كما يبرأ الليل من النهار . إن ابن السوداء كما قيل عنه من يهود صَنْعاء في اليمن ، ولقد غاضه ظهور الدين الإسلامي واصبح للعرب دين وعقيدة ، بعد أن كانوا موزعين بين عبادة الأصنام ، واليهودية والنصرانية ، وكان اليهود أكثر عداءً للنبي محمد ﷺ ورسالته ، وتآمروا عليه ، وخانوه ، ونقضوا معاهداتهم معه ، وقصصهم العدائية بالغة في تاريخنا . ولا شك أن ابن السوداء كان متجذراً في يهوديته ثم تظاهر بالإسلام في زمن عثمان ، واستطاع أن ينفذ في هذا المجتمع من خلال الثغرات الموجودة فيه ، ونقاط الضعف التي خلفتها الصراعات القبلية قديمها وحديثها وخدع الناس بإسلامه وغيرته علىٰ الإسلام والمسلمين ، ومن هذا الباب بدأ بالتشهير وإظهار السلبيات التي لا يخلو منها مجتمع من المجتمعات ، ووافقت طروحاته أهواء بعض الناس وكان ظاهرها الإصلاح وباطنها الفتنة فاستمالهم لجانبه ، وأصبحت له جماعة منظمة في مصر وبلاد الحجاز ، والعراق ، وتجمعوا وقتلوا عثمان ، وحاول علي وأولاده انقاذ الموقف ، وانقاذ عثمان فلم يستطيعوا .

ورأىٰ ابن السوداء أن علياً هو أمير المؤمنين ، فحاول التقرب منه ولكن علياً كشف طروحاته التي تمسه شخصياً فزجره ، ويقال : أحرقه بالنار ، ويقال : نفاه إلىٰ ساباط في المدائن .

السؤال : من هو ابن السوداء هذا وما هي صفته حتىٰ يطلق اسم الإله أو النبوة علىٰ هذا أو ذاك ، وما هو قصده من وراء ذلك ؟ .

وهل اسم الإله ، أو النبوة هل عطاء من أحد الأشخاص ؟ أو هي ألقاب وأوسمة يمكن توزيعها علىٰ الناس ، وعلىٰ هذا الادعاء ، يمكن أن يصبح كل الناس آلهة وأنبياء ، وخاصة الذين يمسكون زمام المال والسلطة . وهل ابن السوداء فوق كل البشر حتىٰ يمنح هذه الصفات ؟ .

ولماذا لم يصبح ابن السوداء إلهاً يحيي ويميت ، أو نبياً يوحىٰ إليه ؟ ولكنه كان يود هدم الدين الإسلامي لو استطاع ؟ إنه ابن السوداء مجرد إنسان عادي عرف ما يريد فزرع الفتنة بين المسلمين ، وحصد العرب ويلاتها إن علياً الرجل المؤمن الذي دخل الإسلام منذ نعومة أظفاره ، فهو ابن عم النبي محمد ﷺ الذي تربىٰ في منزله ، وشهد معه مشاهد كثيرة ، وكان رجل المواقف الصعبة يصرع صناديد وأبطال المشركين .

إن علياً لم تغره كلمات وطروحات ابن السوداء كما يظن البعض ، فلقد رفض قوله رفضاً قاطعاً وأمر بإحراقه ، ولو أنس علي لقوله لما أمر بذلك .

ومن الذي اغتال علي ، أليس من جماعة ابن سبأ ، فهم من قال : خالد بن ملجم أو عبد الرحمن بن ملجم ومن ثم أخذ يبرر الاغتيال ليبعد الشبهة عن نفسه .

الغلو في الحب هو إساءة للمحبوب ، ولم يكن ابن السوداء محباً لأبي الحسن ، بل كان ظاهره يخالف باطنه الذي يختزن المكر والخبث والخديعة ليوّري نفسه وراء شر أعماله .

أقول ببساطة إن المسلمين من سِنة وَشِيعة ، دينهم الإسلام ، وكتابهم القرآن ، ورسولهم محمد ﷺ وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، هو ابن عم النبي محمد ﷺ وزوج ابنته فاطمة الزهراء ، ويحبه السُّنة والشيعة علىٰ حد سواء ، وهل يخلو أحد بيوت المسلمين من اسم علي أو أحد أبنائه وبناته ، أَمَّا ما قد سلف من خلافات سياسية فقد أكل الدهر عليها وشرب .

إن تناحر المسلمين علىٰ كافة طوائفهم هو جهلهم في دينهم ، وهذا يَصُب في خانة الأعداء ، ويعطي صورة مشوهة عن الإسلام صاحب الهوية الإنسانية والتاريخ الناصع المشرق أبداً ، وكل خلافات وصراعات دموية بينهم يكمن خلفها دوافع سياسية مشبوهة ، لتخريب الوحدة الوطنية ، والإساءة إلىٰ الإسلام دين التسامح والأخلاق . وقال النبي محمد : « إنما بعثت لأُتمم مكارم الأخلاق » .

وفي عليٍّ قال النبي محمد ﷺ : أنا مدينة العلم وعلي بابها .

قال عمر بن الخطاب : لولا علي لهلك عمر ، ولقد أصهر عمر إلىٰ علي فتزوج ابنته أم كلثوم(١) مَحبة به وفي آل بيت النبوة .

علي قاضي الأمة الأمين ومستشارها المؤتمن .

أمير المؤمنين علي الرجل العادل الذي لا تأخذه في الله لومة لائم .

لم يقل علي بن أبي طالب في يوم من الأيام عن نفسه بأنه نبي مرسل ، أو إله يعبد ، أو أنه فوق مستوىٰ البشر .

ويبقىٰ عَليٌّ الإنسان ، شامخ الاسم ، صاحب فكر ، بطل عربي مسلم ، سليل أشراف ، أقر الإسلام بفضله ، فهو شعلة مضيئة دائمة الإشعاع في تاريخنا ، بعيد عن كل الشبهات .

هذا ولقد ذكرت مقتطفات مما قاله ابن السوداء عبد الله بن سبأ ، لبيان دور هذا الرجل الخطير في تاريخنا في مرحلة من المراحل ، وأرجو أن أكون وفقت في إضاءة هذا الجانب(٢) .

---

(١) أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب وأمها فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ وأصدقها أربعين ألفاً ، فولدت له رُقَيَّة وزيداً . طبري ٤/ ١١٩ ، الكامل في التاريخ ٣/ ٥٤ .

(٢) مقدمة بقلم المؤلف عبد القادر فياض حرفوش .

عَبد الله بن سَبأ (*)

كان عبد الله بن سَبأ يهودياً من أهل صَنْعاء[1] أمُّه سوداء فأسلم زمان عثمان ثم تَنقّل في بُلدان المسلمين يحاول ضلالتهم ، فبدأ بالحجاز ، ثم البصرة ، ثم الشام ، فلم يقدر علىٰ ما يريد عند أَحدٍ من أهل الشام ، فأخرجوه حتىٰ أتىٰ مصر ، فاعتَمر فيهم[2] .

قال ابن قتيبة :

عبد الله بن سبأ كان أول من كفر من الرافضة وقال : علي رب العالمين ، فأحرقه علي وأصحابه بالنار ، وتنسب إليه السبئية[3] .

قال عبد القاهر البغدادي :

السبئية أتباع عبد الله بن سبأ الذي غلا في علي رضي الله عنه وزعم أنَّه كان نبياً ثم غلا فيه حتىٰ زعم أنه إله ودعا إلىٰ ذلك قوماً من غواة الكوفة ، ورفع خبرهم إلىٰ علي رضي الله عنه فأمر بإحراق قوم منهم في حُفْرَتَيْن حتىٰ قال بعض الشعراء :

(*) تاريخ الطبري ٤/٤٩٣ ، ٤٩٤ انظر الفهارس ، الكامل في التاريخ ٣/ ١٥٤ ، ١٥٥ انظر الفهارس، رسالة الغفران ٣٤٢، الفرق بين الفرق ٢٢٣، المنتظم ٥/٨٦، المعارف ٦٢٢ ، الملل والنحل ١/ ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، مختصر تاريخ دمشق ١٢/ ٢٢١ ، ٢٢٢ .

(١) في الفرق بين الفرق ٢٥ ، وكان ابن السوداء في الأصل يهودياً من أهل الحيرة فأظهر الإسلام وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سوق ورياسة . كل المصادر ذكرت أنه يهودي من صنعاء ، ما عدا الفرق بين الفرق قال من الحيرة ، وأحياناً كان يذكر البغدادي عبد الله بن سبأ ، وعبد الله بن السوداء ، كأنهما شخصيتان مختلفتان ، مع أنهما شخصية واحدة والسوداء أُمُّه .

(٢) طبري ٤/ ٣٤٠ .

(٣) المعارف ٦٢٢ .

لِتَرْمِ بي الحوادث حيث شاءَتْ إذا لم تَرْمِ بي في الحُفْرَتَيْن

ثم إن علياً رضي الله عنه خافَ من إحراق الباقي منهم شماتة أهل الشام وخاف اختلاف أصحابه عليه فنفىٰ ابن سبأ إلىٰ ساباط المدائن ، فلما قتل علي رضي الله عنه زعم ابن سبأ أن المقتول لم يكن علياً وإنما كان شيطاناً تصور للناس في صورة علي وإن علياً صعد إلىٰ السماء كما صعد عيسىٰ بن مريم عليه الصلاة والسلام . وأنه سينزل إلىٰ الدنيا وينتقم من أعدائه[١] .

وقال الشهرستاني :

عبد الله بن سبأ الذي قال لعلي كرم الله وجهه : أنت أنت ، يعني أنت الإله فنفاه إلىٰ المدائن ، وزعم أن علياً حي لم يمت ففيه الجزء الإلهي ولا يجوز أن يستولي عليه وهو الذي يجيءُ في السحاب ، والرعد صوته ، والبرق تبسمه ، وإنه سينزل إلىٰ الأرض بعد ذلك فيملأ الأرض عدلاً ، كما ملئت جوراً .

وإنما أظهر ابن سبأ هذه المقالة بعد انتقال علي رضي الله عنه واجتمعت عليه جماعة[٢] .

وقال الشهرستاني :

كان علي رضي الله عنه مع الحق ، والحق معه ، وظهر في زمانه الخوارج عليه مثل الأشعث بن قَيْس ، ومَسْعود بن فدكي التميمي ، وزَيْد بن حصين الطائي وغيرهم .

وكذلك ظهر في زمانه الغُلاة في حقه مثل عبد الله بن سبأ وجماعة معه ، ومن الفريقين ، ابتدأت البدعة والضلالة ، وصدق فيه قول النبي ﷺ « يهلك فيه اثنان : مُحب غال ، ومُبْغْض قال »[٣] .

---

(١) الفرق بين الفرق ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(٢) الملل والنحل ١/ ٢٠٤ ، ٢٠٥ . وربما يقصد هنا بعد أن أجمع المسلمون علىٰ خلافة علي وأصبح أميراً للمؤمنين .

(٣) المصدر السابق نفسه ١/ ٣٦ .

المغيرة بن سعيد مولىٰ بجيلة :

كان سبئياً ، وكان يقول : لو شاء عليٌّ لأحيا عاداً وثمود ، والقرون بينهما ، وخرج علىٰ (خالد بن عبد الله) فقتله وصلبه بواسط عند قنطرة العاشر[1] .

رأي علي في عبد الله بن سبأ :

قال أبو الطفيل :

رأيت المسيّب بن نَجبَة أتىٰ به مُلَبِّبَهُ : يعني ابن السوداء ، وعليّ علىٰ المنبر فقال علي :

ما شأنه ؟ .

فقال : يكذب علىٰ الله وعلىٰ رسوله .

وعن علي (عليه السلام) قال :

ما لي ولهذا الخبيث الأسود . يعني عبد الله بن سبأ . وكان يقع في أبي بكر وعمر .

قال جابر :

لما بويع عليّ (عليه السلام) خطب الناس ، فقام إليه عبد الله بن سبأ فقال له : أنت دابة الأرض ؟ قال : فقال له : اتق الله .

فقال له : أنت الملك ؟ .

فقال له : اتق الله .

فقال له : أنت خَلقتَ الخلق ، وبسطتَ الرزقَ ؟ .

فأمر بقتله . واجتمعت الرافضة فقالت : دعه وانفهِ إلىٰ ساباط المدائن ، فإنك إن قتلته بالمدينة خرجت أصحابه علينا ، وشيعته ، فنفاه إلىٰ ساباط

---

(١) المعارف ٦٢٢ .

المدائن ، فثم القرامطة والرافضة .

قال : ثم قامت إليه طائفة ، وهم السبائية وكانوا أحد عشر رجلاً ، فقال : ارجعوا فإني عليّ بن أبي طالب ، أبي مشهور ، وأمي مشهورة وأنا ابن عم محمد ﷺ فقالوا : لا نرجع ، دع داعيك ، فأحرَقَهم بالنار ، وقبورهم في صحراء ـ أحد عشر ـ مشهورة ، فقال : من بقي ممن لم يكشف رأسه منهم : عَلِمْنا أَنَّه إليه ، واحتجوا بقول ابن عباس : لا يعذب بالنار إلاّ خالقها[1] .

قال أبو العلاء المعري :

أما الذي يدَّعُون في عليٍّ عليه السلام ، ما يدَّعُون ، فتلك ضَلالةٌ قديمةٌ ، وديمةٌ من الغواية تتصل بها ديمة ، وقد رُوي أنّه حرقَ عبد الله بن سبأ لما جاهر بذلك النبأ[2] .

القَعْقَاع بن عمرو[3] ومساعي الصلح :

بعد مقتل عثمان ، أجمع المسلمون علىٰ أن يكون عليّ خليفة للمسلمين ، وقام من الناس من يطالب بدم عثمان ، وتجمعت العرب بين الكوفة والبصرة بين مؤيد ومعارض ، وأنا لست بصدد تفصيل ذلك لأن كل ما يقال أصبح معروفاً ، ولكنني بصدد دور عبد الله بن سبأ .

بعد قيام القعقاع بن عمر التميمي بمساعي الصلح بين علي من جهة ، وعائشة وطلحة ، والزبير من جهة ثانية ، ووافق الطرفان والتزما بذلك ، وأثار هذا التقارب الذي سيقضي علىٰ حرب منتظرة بين العرب أعد لها بإحكام عبد الله بن سبأ ومن يتبعه ، والتزم علي في محاسبة قتلة عثمان ، فأصاب القتلة الذعر وبدأوا بالتآمر علىٰ قتل عليّ ، خاصة حينما أنذرهم قال :

---

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر ١٢/ ٢٢٢ .

(٢) رسالة الغفران ٣٤٢ .

(٣) أحد القادة الأبطال وهو من تميم ، انظر ترجمته في قبيلة تميم لمؤلف هذا الكتاب .

« ألا وإني راحلٌ غداً فارتحلوا ، ألا ولا يرتحلنّ غداً أحدٌ أعان علىٰ عُثمان بشيء في شيء من أمور الناس ، وليُغْنِ السفهاء عني أنفسهم »[1] .

اجتماع قتلة عثمان :

فاجتمع نفرٌ منهم عِلباء بن الهيثم ، وعَدي بن حَاتم ، وسَالم بن ثَعلبة العَبسي ، وشُريح بن أَوْفىٰ بن ضُبَيْعة ، والأشتر[2] ، في عدة ممن سار إلىٰ عثمان ، ورضىٰ بسير من سار وجاء معهم المصريون : ابن السوداء ، وخالد بن ملجم ، وتشاوروا ، فقالوا : ما الرأي ؟ .

وهذا والله عليّ ، وهو أبصر الناس بكتاب الله وأقرب ممن يطلب قتلة عثمان وأقربهم إلىٰ العمل بذلك ، وهو يقول ما يقول ، ولم ينفر إليه إلاّ هم والقليل من غيرهم . فكيف به إذا شامّ القوة وشامّوه ، وإذا رأوا قِلّتنا في كثرتهم ! أنتم والله ترادُون وما أنتم بأنجىٰ من شيء .

فقال الأشتر أما طَلحة والزُّبير فقد عرفنا أمرهما ، وأما علي فلم نعرف أمره حتىٰ كان اليوم ، ورأي الناس فينا والله واحد ، وإن يصطلحوا وعليّ فعلىٰ دمائنا ، فهلموا فلنتواثب علىٰ علي فَنُلحقهُ بعُثمان ، فتعود فتنة يُرضىٰ منا فيها بالسكون[3] .

فقال ابن السوداء : يا قوم ، إن عزّكم في خُلطة الناس ، فصانعوهم ، وإذا التقىٰ الناس غداً فأنشبوا القتال ، ولا تَفرّغوهم للنظر ، فإذا مَنْ أنتم معه لا يجد بداً من أن يمتنع ويشغل الله علياً وطلحة والزبير ومن رأىٰ رأيهم عما تكرهون ، فأبصروا الرأي ، وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون[4] .

---

(١) طبري ٤/ ٤٩٣ .
(٢) الأشتر = مالك بن الحارث النخعي ، شهد صفين مع علي . سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٤ .
(٣) طبري ٤/ ٤٩٣ .
(٤) المصدر السابق ٤/ ٤٩٤ .

وسُرَّ عليٌّ بالصلح ومثله الزُّبيرَ وطلحة ، وبات الذين أثاروا أمرَ عثمان بشرٍّ ليلة باتوها قط قد أشرفوا علىٰ الهلكة . واجتمعوا علىٰ إنشاب الحرب في السرِّ ، فغدوا مع الغَلَس وما يشعر بهم جيرانهم فخرج مُضريَّهم إلىٰ مُضَريِّهم ، ورَبعيُّهم إلىٰ رَبعيِّهم ، ويمانيُّهم إلىٰ يمانيِّهم ، فوضعوا فيه السلاح ، فثار أهل البصرة ، وثار كل قوم في وجوه أصحابهم الذين بهتوهم[1] .

خرج الزبير وطلحة وقالا : ما هذا ؟ .

قالوا : طرقنا أهل الكوفة ليلاً .

فقالا : قد علمنا أن علياً غير منته حتىٰ يسفك الدماء ويستحلّ الحرْمه ، وأنه لن يطاوعنا ثم رجعا بأهل البصرة ، وقصف أهل البصرة أولئك حتىٰ ردوهم إلىٰ عسكرهم .

فسمع علي وأهل الكوفة الصوت ، قال ما هذا ؟ .

قال رجل كانوا قد وضعوه بالقرب من علي ليخبره : ما فجئنا إلاّ وقوم منهم بيّتونا ، فرددناهم من حيث جاءوا .

قال علي : لقد علمت أن طلحة والزبير غير منتهيين حتىٰ يسفكا الدماء ويستحلا الحُرمة ، وأنهما لن يطاوعانا والسبئية لا تفتر انشابا[2] .

وما أريد قوله :

لقد نجح عبد الله بن سبأ ومجموعته في تخريب الصلح بين علي والزبير وطلحة ، وزرع الشك في نفوسهم جميعاً وعدم الثقة بأن كل طرف يريد الغدر وسفك الدماء واستحلال الحُرْمة ، ولكن أمير المؤمنين علي أدرك بأن السبئية تريد إنشاب القتال ، وإنها وراء ذلك أي أنها أرسلت من قام بضرب المعسكرين

---

(١) بهتوهم .

(٢) المصدر السابق نفسه ٤/٥٠٦ ، ٥٠٧ ولقد ذكرت الرواية باختصار .

فتهيأ كل طرف وحذر المباغتة .

دعوة عائشة لوقف القتال :

وأقبل كعب بن سور[1] حتىٰ أتىٰ عائشة رضي الله عنها فقال أدركي فقد أبىٰ القوم إلاّ القتال لعلَّ يُصلح بك[2] .

وكانت معركة الجمل وهي معروفة وما أنا بصددها في هذا الموضوع .

قال عبد الله عنان :

قام عبد الله بن وهب بن سبأ المعروف بابن السوداء وبالسبائي ودعا لعلي بالإمامة ، وأنه وحي النبي وخليفته في أمته ، وأنه يعود بعد موته ، فنفاه علي وأحرق عدة من دعاته[3] .

لقد نجحوا وأنشبوا القتال ، واختلط الحابل بالنابل وظلموا أبا الحسن ، الذي كان قلبه يقطر دماً ونفسه تعتصر حزناً وألماً لما وقع من حوادث فرضت نفسها وجابهته وجهاً لوجه من مقتل عثمان ، إلى معركة الجمل إلى صفين ، إلى حرب الخوارج .

وما أراده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ك) إلاّ أن يحمل الناس على الخير والصلاح والتقوى والعدل وإحقاق الحق وإزهاق الباطل .

رحم الله أبا الحسن أمير الأمة العادل ، وقاضيها الأمين ورجلها العالم[4] .

* * *

---

(١) كعب بن سُورٍ الأزدي ، قاضي البصرة ، وليها لعمر وعثمان ، وكان من نبلاء الرجال وعلمائهم قُتل يوم الجمل ، قام يعظ الناس ويذكرهم فجاءة سَهْمُ غَرْب فَقتله . سير أعلام النبلاء ٣/ ٥٢٤ .

(٢) طبري ٤/ ٥٠٧ .

(٣) كتاب الحاكم بأمر الله : ٢٩٧ .

(٤) المؤلف عبد القادر فياض حرفوش .

المُخْتارُ[*] بن أبي عُبَيد الثَّقفي ـ كذاب ثقيف

وُلد المُختار السنة الثانية للهجرة[١] . والده أبو عُبيد بن مَسْعُود بن عَمْرو بن عُمير بن عَوْف بن عُقْدة بن عَنترة بن عَوف بن ثَقيف . أَسْلَم أبو عبيد في حياة النبي ﷺ وليس له صُحبة ، واستعمله عمرُ بن الخطاب علىٰ جيش ، فغزا العراق ، وإليه تُنسبُ وقعة الجسر[٢] .

وابنه المُختار بن أبي عُبيد الذي ادَّعىٰ النبوَّة بالكوفة ، وصفيَّة بنت أبي عُبيد ، امرأة عبد الله بن عمر ، وللمختار عقبٌ وابن اسمه جَبْر بن المختار ، وابنُ آخر اسمُه أبو أُمية بن المختار[٣] .

. . . عن الفِتْياني[٤] قال : دخلتُ علىٰ المختار ، فألقىٰ لي وسادةً ، وقال : لولا أنَّ جبريلَ قام عن هذه ، لألَقيتُها لك ، فأردت أن أضربَ عنقه ، فذكرتُ حديثاً حدثنيه عمرُو بن الحمق[٥] ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أيُّما مُؤْمِنٍ أَمَّنَ مُؤْمِناً علىٰ دمه فقتله ، فأنا من القاتل بَريءٌ »[٦] .

(*) المعارف ٤٠٠ المحبر ٧٠ ، ٣٠٢ ، ٤٩١ ، جمهرة أنساب العرب ٢٦٨ ، الكامل في التاريخ ٤/ ٢١١ ، ٢٦٧ أسد الغابة ٥/ ١١٧ ، سير أعلام النبلاء ٣/ ٥٣٨ ، تاريخ الطبري ٥/ ٥٦٩ ، و٦/ ٧ ، ٣٨ وما بعدها ٩٣ مروج الذهب ٣/ ٢٧٢ ، الاشتقاق ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، طبقات ابن سلام ٢/ ٤٣٩ ، أمالي اليزيدي ٨٦ .

(١) الكامل في التاريخ ٢/ ١١١ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٣/ ٥٣٨ . وجاء في جمهرة أنساب العرب ٢٦٨ : عُقدة بن غِيَرة ، وكذلك في الاشتقاق ٣٠٤ .

(٣) جمهرة أنساب العرب ٢٦٨ .

(٤) نسبة إلىٰ فتيان بن ثعلبة بن معاوية بن زيد ، كما في المشتبه ، واللباب ، وتوضيح المشتبه ٢/ ١٩٢ .

(٥) عمرو بن الحمق الخزاعي .

(٦) إسناده حسن ، وهو في (المسند) ٥/ ٢٢٣ ، وأخرجه أحمد ٥/ ٢٢٢ وابن ماجه . انظر حاشية سير أعلام النبلاء ٣/ ٥٣٩ .

عن الشعبي قال : أقرأني الأحنفُ كتاب المختار إليه يزعم أَنَّه نبي ، وكان المختار قد سار من الطائف بعد مصرع الحسين إلىٰ مكَّة ، فأتىٰ ابن الزُّبير ، وكان قد طرده لِشرِّه إلىٰ الطائف ، فأظهر المُناصحة ، وتردد علىٰ ابن الحنَفِيّة ، فكانوا يسمعون منه ما يُنْكَرُ[1] .

وفي سنة إحدىٰ وأربعين كان الأمير علىٰ المدائن سَعْد بن مَسْعُود الثقفي عمّ المختار بن أبي عُبيد ، فقال له المختار ، وهو شابٌ ، هل لك في الغنىٰ والشرف ؟ قال وما ذاك ؟ قال تستوثق من الحسن وتستأمن به إلىٰ معاوية . فقال له عمه : عليك لعنة الله ! أثب علىٰ ابن بنت رسول الله ﷺ وأوثقه ؟ بئس الرجل أنت[2] ! .

إن المختار يدعي النُّبوة ولكنه مخادع يتآمر علىٰ الحسن مقابل عطاءات من معاوية أو ينظر إلىٰ منصب سياسي معين يطمح إليه ، ولكن عمه بموقفه الحازم ردعه ، وإن هذا الموقف كشف أمره للناس وزعزع ثقتهم به فيما بعد .

وقال الذهبي عن المختار : ونشأ المختار ، فكان من كُبراء ثَقيف ، وذوي الرأي ، والفصاحة ، والشجاعة ، والدَّهاء ، وَقِلَّةِ الدِين ، وقد قال النبي ﷺ : « يَكُونُ في ثَقِيف كَذَّابٌ ومُبير »[3] فكان الكذابُ هذا ، ادَّعىٰ أنَّ الوحي يأتيه ، وأنه يعلم الغيبَ ، وكان المُبيرُ الحجَّاج[4] .

قدوم المختار الكوفة ، قال ابن الأثير :

كانت الشيعة تسبّ المختار وتعيبه لما كان في أمر الحسن بن علي حين

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ٥٣٨ .

(٢) الكامل في التاريخ ٣/ ٤٠٤ .

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٤٥) في فضائل الصحابة من حديث أسماء بنت أبي بكر وأخرجه أحمد ٢/ ٢٦ ، والترمذي (٢٢٢٠) و(٣٩٤٤) من حديث ابن عمر .

(٤) سير أعلام النبلاء ٣/ ٥٣٩ .

طُعن في ساباط[1] وحُمل إلىٰ أبيض المدائن حتىٰ إذا كان زمن الحسين ، بعث الحُسينُ مسلم بن عَقيل إلىٰ الكوفة ، وكان المختار في قرية له تُدعىٰ لفغا ، فجاءه خبرُ ابن عقيل عند الظهر أنّه قد ظهر ، ولم يكن خروجه عن ميعاد كما سبق ، فأقبل المختار في مواليه فانتهىٰ إلىٰ باب الفيل بعد المغرب ، وقد أقعد عُبيد الله بن زياد عمرو بن حُريث بالمسجد ومعه راية ، فوقف المختار لا يدري ما يصنع فبلغ عَمراً فاستدعاه وآمنه فحضر عنده . فلما كان الغد ذَكر عُمارة بن الوليد بن عُقْبَة أمره لعبيد الله فأحضره فيمن دخل وقال له : أنت المقبل في الجموع لتنصر ابن عَقيل ؟ قال : لم أفعل ولكني أقبلتُ ونزلتُ تحت راية عمرو فشهد له عمرو ، فضرب وجه المختار فَشَتَر عَيْنه وقال : لولا شهادة عمرو لقتلتك ! ثم حبسه حتىٰ قُتل الحسين[2] رضي الله عنه .

وفي كل مرة كان المختار يقع في أزمة أو مأزق شديد كان يلجأ إلىٰ زوج شقيقته صفية بنت أبي عبيد ، هو عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فينقذه بالتوسط له لدىٰ أصحاب النهي والأمر . لقد حقد المختار علىٰ عبيد الله بن زياد بعد أن شَتَر لهُ عينه من سوطٍ ضربه إياه ، وفكر بالإنتقام ، والخروج من الكوفة والذهاب إلىٰ الحجاز ليعرف ما يدور هناك عن كثب ، إنه صاحب طموحات لا يهدأ ولا يخاف .

---

(١) سَاباطُ كِسْرىٰ : بالمدائن موضع معروف ، وبالعجمية بَلاس أباذ . وقال أبو سعد : وساباط بليدة معروفة بما وراء النهر قرب أشر وسنة علىٰ عشرة فراسخ من خُجَنْدَ وعلىٰ عشرين فرسخاً من سمرقند ، معجم البلدان ٣/ ١٨٧ ، ١٨٨ .

(٢) الكامل في التاريخ ٤/ ١٦٩ .

خروج المختار إلىٰ الحجاز :

قال ابن الأثير : خرج المختار إلىٰ الحجاز ، فلقيه ابن العِرْق[1] وراء واقِصه[2] ، فسلّم عليه وسأله عن عينه فقال : خبطها ابن الزانية بالقضيب فصارت كما ترىٰ ، ثم قال : قتلني الله إن لم أقطع أنامله وأعضاءه إرباً إرباً ! ثم سأله المختار عن ابن الزبير فقال : إنّه عائذ بالبيت وإنّه يبايع سرّاً ولو اشتدت شوكته وكثرتْ رجاله لظهر .

فقال المختار : إنّه رجل العرب اليوم وإن اتبع رأيي أكفهِ أمر الناس[3] .

إن المختار كان يعرف ما يريد ولا تهمه النتائج وغايته هي الهدف أياً كانت الوسائل وإذا قرأ الإنسان كلامه عرف مطلبه فها هو يقول :

إنَّ الفتنة أرعدتْ وأَبرقتْ وكأنْ قد انبعثتْ ، فإذا سمعتَ بمكان قد ظهرت به فَقُل إن المختار في عصابة من المسلمين يطلب بدم الشهيد المظلوم المقتول بالطَّفّ ، سيد المسلمين وابن بنت سيد المرسلين وابن سيّدها الحسين بن علي ، فوربك لأقتلنّ بقتله عدَّة من قُتل علىٰ دم يحيىٰ بن زكرياء[4] .

وعندما علم الحجاج بن يوسف الثقفي قول المختار ، فضحك وقال : لله درّه أيّ رجل ديناً ، ومِسعر حرب ، ومقارع أعداء كان ! .

المختار وابن الزبير :

قدم المختار علىٰ ابن الزبير ، فكتم عنه ابن الزبير أمره ، ففارقه وغاب عنه سنة ، ثم سأل عنه ابن الزبير فقيل إنه بالطائف وإنّه يزعم أنّه صاحب الغضب

---

(١) ابن العرق ـ مولىٰ الثقيف (الراوي) طبري ٥/ ٥٧١ ـ ٥٧٣ .

(٢) واقِصةُ : موضع ، وقيل : ماءٌ ، وقيل : منزل بطريق مكة . لسان العرب ـ وقص .

(٣) الكامل في التاريخ ٤/ ١٦٩ .

(٤) الكامل في التاريخ ٤/ ١٧٠ .

ومسيّر الجبّارين ، فقال ابن الزبير : ما له قاتله الله ؟ لقد انبعث كذّاباً متكهناً ، إن يُهْلك الله الجبارين يكن المختار أولهم[1] .

واجتمع عباس بن سَهل بن مِسْعَر وهو من أعوان ابن الزبير مع المختار ومهد الطريق لاجتماعه مع ابن الزبير في الليل بعد العتمة ، ومبايعته سِراً ، ولكن كانت للمختار شروط فقال : أبايعك علىٰ أن لا تقضي الأمور دوني ، وعلىٰ أن أكون أوّل داخل ، وإذا ظهرتَ استعنتَ بي علىٰ أفضل عملك .

فقال ابن الزبير : أبايعك علىٰ كتاب الله وسنّة رسوله .

فقال المختار : وشرّ غلماني تبايعه علىٰ ذلك ، والله لا أُبايعك أَبداً إلاّ علىٰ ذلك . فبايعه ، وأقام عنده وشهد معه قتال الحُصين بن نُمَير وأبلىٰ أحسن بلاء وقاتل أشد قتال ، وكان أشد الناس علىٰ أهل الشام . فلما هلك يزيد بن معاوية وأطاع أهلَ العراق ابن الزبير أقام عنده خمسة أشهر ، فلما رآه لا يستعمله جعل لا يقدم عليه أحد من أهل الكوفة إلاّ سأله عن حال الناس ، فأخبره هانئ بن جية الوَادعيّ باتساق أهل الكوفة علىٰ طاعة ابن الزبير إلاّ أنّ طائفة من الناس هم عدد أهلها لو كان لهم مَنْ يجمعهم علىٰ رأيهم أكل بهم الأرض إلىٰ يوم ما . فقال المختار : أنا أبو إسحاق ، أنا والله لهم أجمعهم علىٰ الحق وألقىٰ بهم رُكبان الباطل وأُهلك بهم كل جبّار عنيد[2] .

لقد وجد المختار ثغرة لينفذ منها ، ترك ابن الزبير لأنه لم يحقق تطلعاته ، وابن الزبير لم يثق به أو يطمأن إليه ، فانطلق المختار إلىٰ الكوفة ومرَّ بمسجد السَّكون وجبّانة كِندة لا يمرّ علىٰ مجلس إلاّ سلَّم علىٰ أهله ، ومرَّ ببني بَدّاء فلقي عُبيدة بن عمرو البَدّيّ من كِنْدة ، وكان عُبيدة من أشجع الناس وأشعرهم وأشدّهم تشيّعاً وحباً لعلي كرم الله وجهه وكان لا يصبر عن الشراب ، فقال

---

(١) الكامل في التاريخ ٤/ ١٧٠ .

(٢) الكامل في التاريخ ٤/ ١٧١ .

له : بشَّركَ الله بالخير ! فهل أنت مبينٌ لنا ؟ قال : نعم ، ألقني الليلة . وكان يُبشرهم بالنصر والفَلْح ، ثم سافر ببني هند فلقي إسماعيل بن كثير فرحّب به وقال له : ألقني أنت وأخوك الليلة فقد أتيتكم بما تحبون ، ومرَّ علىٰ حلقة من همدان فقال : قدمت عليكم بما يسركم[1] .

واختلفت إليه الشيعة وضربوا علىٰ يده وبايعوه بعد أن قال لهم : إنّ المهدي بن الوصي بعثني إليكم أميناً ووزيراً ومنتخباً وأميراً وأمرني بقتل الملحدين والطلب بدم أهل بيته والدفع عن الضعفاء ، فكونوا أول خلق الله إجابة[2] .

وقيل في خروج المختار إلىٰ الكوفة رواية ثانية أوردها ابن الأثير غير ما تقدم ، وهو أنّ المختار قال لابن الزبير وهو عنده : إني لأعلم قوماً لو أنّ لهم رجلاً له فقه وعلم بما يأتي ويذر لاستخرج لك منهم جنداً تقاتل بهم أهل الشام . قال : مَنْ هم ؟ قال : شيعة علي بالكوفة . قال : فكن أنت ذلك الرجل . فبعثه إلىٰ الكوفة ، فنزل ناحية منها يبكي علىٰ الحسين ويذكر مصابه حتىٰ لقوه وأحبوه فنقلوه إلىٰ وسط الكوفة وأتاه منهم بشر كثير ، فلما قوي أمره سار إلىٰ عبد الله بن مُطيع[3] .

معارك المختار :

وأما المختار ، فسُجن مُدَّةً ، ثم خرج ، فحاربه أهل الكوفة ، فَقَتَل رِفاعة بن شَداد ، وعبد الله بن سَعْد ، وعدة . وغلب علىٰ الكوفة ، وهرب منه نائب ابن الزُّبير ، فقتل جماعةً ممن قاتل الحُسين ، وقَتَل الشِّمْرَ بن

---

(١) الكامل في التاريخ ٤/ ١٧٢ .

(٢) الكامل في التاريخ ٤/ ١٧٢ ، ويريد بالمهدي ابن الوصي : هو ابن الحنفية ـ سير أعلام النبلاء ٣/ ٥٤٠ .

(٣) الكامل في التاريخ ٤/ ١٧٣ ، وهو نائب ابن الزبير بالعراق .

ذي الجوشن . وعُمر بن سعد ، وقال : إن جبريل ينزل عليَّ بالوحي ، واختلق كتاباً عن محمد بن الحنفية إليه يأمره بنصر الشيعة ، وثار إبراهيم بن الأشتر في عشيرته ، فقتل صاحب الشرطة ، وسُرَّ به المختار وقوي ، وعسكروا بدير هند ، فحاربهم نائب بن الزبير ، ثم ضعف واختفىٰ ، وأخذ المختار في العدل ، وحُسن السيرة .

وهنا يظهر دهاء المختار إنه يُزَوِّر كتاباً عن لسان ابن الحنفية إلىٰ الشيعة ، علماً بأن الشيعة كانوا بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي ، وأخذ المختار يفسدهم عنه ، وبعث إلىٰ نائب ابن الزبير ينذر بالهرب وأرسل إلىٰ ابن الزبير إن عامله مداهناً لبني أمية ، وكتب إليه ابن الزبير بولاية الكوفة[1] ؟! .

المختار الثقفي[2] وسُرَاقةُ البَارِقيُّ :

كان سُرَاقةُ البارقيُّ شاعراً ظريفاً تُحبُّه الملوك ، حُلْوَ الحديث . وكان قاتَلَ المُختار ، فأخذه أسيراً ، فأمر بقتله .

فقال : والله لا تَقْتُلُني حتّىٰ تَنْقُضَ دِمَشْق حَجَراً حجراً ! .

فقال المُخْتَار لأبي عَمْرةَ[3] : مَنْ يخرج أَسْرَارَنا ؟ ثُمَّ قال : من أَسرَكَ ؟ .

قال : قومٌ علىٰ خَيْلٍ بُلْقٍ عليهم ثيابٌ بيضٌ ، لا أراهم في عَسْكرِكَ ! .

قال : فأَقْبَلَ المختارُ علىٰ أصحابه فقال : عَدُوّكم يَرىٰ من هذا ما لا تَرَون ! .

قال : إنِّي قاتِلُكَ .

---

(١) المصدر السابق نفسه ٤/ ١٧٣ وما بعده .

(٢) المختار الثقفي بن أبي عبيد ، كذاب ثقيف ، تشيع وادعىٰ النبوة ، وكان له شأن وفتنة وهلك مقتولاً سنة ٦٧هـ .

(٣) أبو عمرة : كيسان مولىٰ عرينة ، ولاه المختار حرسه ، وكان كذاباً مثله .

قال : والله يا أمين آل مُحمَّد ، إنَّك تَعْلَم أن هذا لَيس باليوم الذي تَقْتُلني فيه !.

قال : ففي أي يومٍ أقتُلُك ؟.

قال : يوم تَضَعُ كُرْسِيَّكَ علىٰ باب مدينة دمشق ، فَتدْعُو بي يومئذٍ فَتَضْرِب عُنُقي .

فقال المختار لأصحابه : يا شُرْطَةَ الله ! من يَرْفَعُ حديثي ؟ ثُمَّ خلَّىٰ عنه .

فقال سُراقة[1] : وكان المختار يُكَنَّىٰ أبا إسحاق :

ألا أَبْلِغْ أبا إِسْحَاقَ عَنِّي ... رأَيْتُ البُلْقَ دُهْماً مُصْمَتَاتِ[2]
أُرِي عيْنَيَّ ما لم تُبْصِرَاهُ ... كِلانا عالِمٌ بالتُّرَّهاتِ[3] !
كَفَرْتُ بوَحْيِكُمْ ، وجَعَلْتُ نَذْراً ... عليّ قِتَالَكُم حتَّىٰ المَمَاتِ[4]

وقال الذهبي : وبعث إلىٰ النائب بمال ، وقال : اهرُبْ ، ووجد المختار

---

(١) جاء في حاشية أمالي الزجاجي ٨٦ ـ وهو سراقة بن مرداس البارقي ، قال الآمدي في المؤتلف والمختلف ١٩٦ : بارق اسم جبل نزل به سعد بن علي بن حارثة بن عمرو بن عامر فنسبوا علىٰ ذلك ، وبارق أخو خزاعة . وصاحب هذه القصة هو سراقة بن مرداس الأصغر ، وهو شاعر خبيث كان يهاجي جريراً وفيه يقول :

هذا قضاء البارقي وإنني ... بالميل في ميزانهم لبصير

وهو غير سراقة بن مرداس البارقي الأكبر ، وغير سراقة بن مرداس الآخر الذي ذكره الآمدي وأنشد له شعراً في يوم أوطاس . فهذان سابقان لصاحبنا .

(٢) البلق : جمع أبلق : وهو الفرس فيه سواد وبياض يرتفع تحجيله إلىٰ الفخذين . والدهم : جمع أدهم الفرس الشديد السواد ، والعرب تقول ملوك دهمها . وأدهم مصمت : أسود خالص لا يخالط لون غيره ولا فيه شية .

(٣) والترهات : جمع ترهة وهي الأباطيل التي تخرج عن جادة الكلام فتذهب في كل وجه .

(٤) إشارة إلىٰ ما كان يزعم المختار من النبوة ونصرة الملائكة له في الحرب ، علىٰ الخيل البلق . طبقات ابن سلام ٢/ ٤٣٩ ، ٤٠ ، أمالي الزجاجي ٨٦ ، ٨٧ .

في بيت المال سبعة آلاف ألف درهم ، فأنفق في جيشه وكتب إلىٰ ابن الزّبير : إني رأيتُ عالم مُداهِناً لبني أمية ، فلم يسعني أن أُقِرَّه ، فانخدع له ابنُ الزُّبير ، وكتب إليه بولاية الكوفة ، فجهَّز ابن الأشتر لحرب عُبيد الله بن زياد في آخر سنة ستٍّ وستين ومعه كرسيٌّ علىٰ بغل أشهب[1] .

وأقبل عُبيد الله بن زياد من الشام علىٰ رأس جيش إلىٰ العراق ، فسير إليه المختار إبراهيم بن الأشتر في جيش ، فلقيه في أعمال الموصل فَقُتل ابن زياد وغيره[2] .

وخرج نفر من أهل الكوفة فقدموا البصرة يستغيثون بهم ويستنصرونهم علىٰ المختار ، فخرج أهل البصرة مع مُصعب فقاتلوه بالكوفة ، فَقَتل المختار عُبيد بن علي بن أبي طالب ، وهو لا يُعرف في عسكر مُصعب ، ومحمد بن الأشعث بن قيس . ثم ظُفر بالمختار فَقُتل ، قتله ضرار بن يزيد الحنفي[3] .

وجاء برواية الذهبي : قتله طريفٌ الحنفي وأخوه طرَّاف في رمضان سنة سبع وستين ، وأتيا برأسه مصعباً ، فوهبهما ثلاثين ألفاً ، وقُتل من الفريقين سبع مائة[4] .

ومن أقوال المختار الثقفي عندما كان في السجن : أمَا وربِّ البحار ، والنخيل والأشجار ، والمهامه والقفار ، والملائكة الأبرار ، والمصطفين الأخيار ، لأقتلن كلّ جبّار ، بكل لدن خطّار ، ومُهنّد بتّار ، بجموع الأنصار ، ليسوا بميل أغمار ، ولا بعزل أشرار ، حتىٰ إذا أقمت عمود الدين ، وزايلت شعب صداع المسلمين ، وشفيت غليل صدور المؤمنين ، وأدركتُ ثأر

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ٥٤١ . وانظر قصة الكرسي .

(٢) أسد الغابة ٥/ ١١٧ . وكان ابن الأشتر بطل النخع وفارس اليمانية .

(٣) المعارف ٤٠١ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٣/ ٥٤٣ . وفي وفيات الأعيان ٣/ ٧١ وسار مصعب إلىٰ المختار فقتله في سنة سبع وستين للهجرة .

النبيّين ، لم يكبر علي زوال الدنيا ، ولم أحفل بالموت إذا أتىٰ[1] .

كانت إمارته علىٰ الكوفة سنة ونصف وعمره سبعاً وستين سنة[2] .

لقد ورد أنه ولد في السنة الثانية للهجرة ، وقتل في السابعة والستين من عمره ، معنىٰ ذلك أنه قتل وهو في الخامسة والستين من عمره .

* * *

(١) الكامل في التاريخ ٤/ ١٧٣ .

(٢) أسد الغابة ٥/ ١١٧ .

القسم الرابع

المتنبؤون في العصر الأموي

١ ـ الحارث بن سعيد (الكذاب) .

٢ ـ الأخطل الضبعي .

٣ ـ المغيرة بن سعيد البجلي .

٤ ـ بيان بن سمعان التميمي .

٥ ـ رجل يدعي النُبوَّة في ولاية خالد القسري .

الحَارِثُ(*) بن سَعيد الكَذَّاب

ويُقال الحَارِثُ بن عبد الرحمن بن سَعْد ـ المُتنبي ـ دمشقي مولىٰ أبي الجُلاس العبدري القُرشي ، ويقال : مولىٰ مروان بن الحكم .

قال عبد الرحمن بن حسان : كان الحارث الكذاب من أهل دمشق ، وكان مولىٰ لأبي الجُلاس ، وكان له أب بالحُوْلَة(1) ، فعرض له إبليس ، وكان رجلاً متعبداً زاهداً ، لو لَبِسَ جُبَّةً من ذهب لرئيت عليه زاهدة ، قال : وكان إذا أخذ في التحميد ، لم يَسمع السامعون إلىٰ كلامٍ أَحسنَ من كلامهِ . قال : فكتب إلىٰ أبيه وهو بالحُوْلَةِ ، يا أَبتاه ، أَعْجِل عليّ ، فإني قد رأيت أشياء أتخوف أن يكون الشَيطان قد عرضَ لي ، قال فزاده أبوه عناء ، فكتب إليه أبوه : يا بني ، أقبل علىٰ ما أُمرت به ، إن الله يقول : ﴿ تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ ﴾(2) . ولست بأفاك ولا أثيم ، فامض لما أُمرت به .

وكان يجيء إلىٰ أهل المسجد رجلاً رجلاً فيذاكرهم أمره ، ويأخذ عليهم بالعهد والميثاق إن هو رأىٰ ما يرضىٰ قبل ، وإلا كتم عليه ؟ .

(*) ورد اسمه في معجم البلدان ٢/ ٣٧٠ (الحارث) الكذاب وكذلك في المنتظم ٦/ ٢٠٤ وفي كلا المرجعين الرواية نفسها كاملة ، أما في كتاب الوافي بالوفيات ١١/ ٢٥٤ جاء اسمه (الحارث بن سعيد) الكذاب . وكانت الرواية فيه مختصرة جداً ، أما في كتاب مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٦/ ١٥١ كان الاسم أكثر وضوحاً والترجمة متطابقة مع المرجعين كما أسلفت فاعتمدتها .

(1) والحولة اسم لناحيتين بالشام ، إحداهما من أعمال حمص ، والأخرىٰ بين بانياس وصور من أعمال دمشق ، من إحداهما كان الحارث الكذاب (معجم البلدان ٢/ ٣٧٠) .

(2) سورة الشعراء آية : ٢٢١ ـ ٢٢٢ . ووردت الآية في القرآن الكريم ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ .

قال : وكان يريهم الأعاجيب ، كان يأتي إلىٰ رُخَامةٍ في المسجد فينقرها بيده فتسبّح ؛ قال : وكان يُطعمهم فاكهة الصيف في الشتاء ، وكان يقول لهم : أخرجوا حتىٰ أريكم الملائكة ، قال فيخرجهم إلىٰ دير المران(١) ، فيريهم رجالاً علىٰ جبل ، فتبعه بَشرٌ كثيرٌ ، وفشا الأمر في المسجد وكثر أصحابه ، حتىٰ وصل إلىٰ القاسم بن مُخيمرة .

قال : فعرض علىٰ القاسم وأُخذ عليه العهد والميثاق ، إن هو رضي أمراً قبله ، وإن كرهه كتم عليه .

فقال له : إني نبيٌّ ، فقال له القاسم : كذبت يا عدو الله ، ما أنت بنبيّ ، ولا لك عهد ولا ميثاق .

قال : فقال له أبو إدريس : بئس ما صنعت إذا لم تلين حتىٰ تأخذه ، الآن يفرّ .

قال : وقام من مجلسه حتىٰ دخل علىٰ عبد الملك فأعلمه بأمر حارث ، فبعث عبد الملك في طلبه فلم يقدر عليه ، وخرج عبد الملك فنزل الصِّنَّبْرة(٢) .

قال : فاتهم عامة عسكره بالحارث أن يكونوا يرون رأيه .

---

(١) دير مُرّان : بالقرب من دمشق علىٰ تل مشرف . ويقول الشاعر الصنوبري :

أَمُرُّ بديرِ مُرّانٍ فأحيا وأجعلُ بيتَ لهوي بيتَ لِهيا

وقال أيضاً :

بأعلىٰ دير مُرّان فداريّا إلىٰ الغوطةْ

معجم البلدان ٢/ ٦٠٢ .

(٢) جاء في معجم البلدان ٣/ ٤٨٢ الصِّنَّبْرَة : موضع بالأَرْدُنّ مقابل لعَقَبة أَفيق ، بينه وبين طبرية ثلاثة أميال ، كان معاوية يشتو بها ، ويقول طرفة :

بِجِفانٍ تَعتري نادِينا من سديفٍ حين هاج الصِّنَّبِر

والصِّنبِر بكسر الباء : البرد .

وخرج الحارث حتىٰ أتىٰ بيت المقدس فاختفىٰ فيها ، وكان أصحابه يخرجون يلتمسون الرجال يدخلونهم عليه ، وكان رجلٌ من أهل البصرة قد أتىٰ بيت المقدس ، فأتاه رجل من أصحاب الحارث فقال له : هاهنا رجل يتكلم ، فهل لك أن تسمع من كلامه ؟.

قال : نعم .

قال الوليد : وأهل البصرة يشتهون الكلام ، فقال : نعم . فانطلق معه حتىٰ دخل علىٰ الحارث ، فأخذ في التحميد . قال : فسمع البصري كلاماً حسناً ، ثم أخبره بأمره وأنه نبي مبعوث مرسل .

فقال له : إن كلامك لحسن ، ولكن في هذا نظر .

قال : فانظر .

فخرج البصري ثم عاد إليه فرد عليه كلامه ، فقال : إن كلامك لحسن وقد وقع في قلبي ، وقد آمنت بك ، هذا الدين المستقيم .

قال : فأمر أن لا يحجب .

قال : فأقبل البصري يتردد إليه ، وعرف مداخله ومخارجه ، وأين يهرب ، وأين يذهب ، حتىٰ صار من أخصّ الناس به ، ثم قال له : إئذن لي .

قال : إلىٰ أين ؟.

قال : إلىٰ البصرة ، أكون أول داعية لك بها .

قال : فأذن له فخرج مسرعاً إلىٰ عبد الملك وهو بالصِّنَّبرة ، فلما دنا من سرادقه صاح : النصيحة النصيحة .

فقال أهل العسكر : وما نصيحتك ؟.

قال : نصيحة لأمير المؤمنين .

حتىٰ دنا من أمير المؤمنين ، فأمر عبد الملك أن يأذنوا له ، فدخل وعنده

أصحابه فصاح : النصيحة .

قال : وما نصيحتك ؟ .

قال : أخلِني ، لا يكون عندك أحد .

قال : أخرج من في البيت .

وكان عبد الملك قد اتهم أهل عسكره ، أن يكون هواهم معه ، ثم قال له : أدنني ، فقال : أُدنُ فدنا وعبد الملك علىٰ السرير .

فقال : ما عندك ؟ .

قال : الحارث .

فلما ذُكر الحارث طرح نفسه من السرير ، ثم قال أين ؟ .

فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّه ببيت المقدس ، وقد عرفت مداخله ومخارجه ، فقصّ عليه قصته وكيف صنع به .

فقال : أنت صاحبه وأنت أمير بيت المقدس ، وأمير ما هنالك ، فمرني بما شئت .

قال : يا أمير المؤمنين ابعث معي قوماً لا يفقهون الكلام .

فأمر أربعين رجلاً من فرغانة ، فقال : انطلقوا مع هذا ، فما أمركم به من شيء فأطيعوه .

قال : وكتب إلىٰ صاحب بيت المقدس أن فلاناً أمير عليك حتىٰ يخرج فأطعه فيما أمرك به .

قال : فلما قدم بيت المقدس أعطاه الكتاب .

فقال : مرني بما شئت .

فقال : اجمع إن قدرت كل شمعة ببيت المقدس وادفع كل شمعة إلىٰ رجل ورتبهم علىٰ أزقة بيت المقدس . وزواياه بالشمع ، فإذا قلت أَسرِجوا ،

فأسرجوا جميعاً .

قال : فرتّبهم في أزقة بيت المقدس وفي زواياها بالشمع ، وتقدم البصري وحده إلىٰ منزل الحارث فأتىٰ الباب ، فقال للحاجب : استأذن لي علىٰ نبي الله ، فقال في هذه الساعة ! ما يؤذن عليه حتىٰ يصبح .

قال : أعلمه أني إنما رجعت شوقاً إليه قبل أن أصل .

قال : فدخل عليه فأعلمه كلامه وأمره .

قال : ففتح الباب ثم صاح البصري : أسرجوا ، فأسرجت الشمع حتىٰ كانت بيت المقدس كأنها النهار ، ثم قال : من مرّ بكم فاضبطوه .

قال : ودخل كما هو إلىٰ الموضع الذي يعرفه ، فنظر فإذا لا يجده ، فطلبه فلم يجده ، فقال أصحابه : هيهات تريدون أن تقتلوا نبي الله ! قد رفع إلىٰ السماء .

قال : فطلبه في شقّ قد كان هيأه سريّاً ، قال : فأدخل البصري يده في ذلك الشق فإذا بثوبه ، فأجترَّهُ فأخرجه إلىٰ خارج ، ثم قال للفرغانيين : اضبطوه فربطوه ، فبينا هم يُسيِّرون به البريد إذ قال : ﴿ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ﴾[1] فقال أهل فرغانة : أولئك العجم : (هذا كُرانِنا فهات كُرانك أنت)[1] فسار به حتىٰ أتىٰ به عبد الملك .

فلما سمع به أمر بخشبة فنصبت ، فصلبه ، وأمر بحربة ، وأمر رجلاً فطعنه ، فأصاب ضلعاً من أضلاعه ، فكَعَبَ الحربة ، فجعل الناس يصيحون : الأنبياء لا يجوز فيهم السلاح ، فلما رأىٰ ذلك رجل من المسلمين تناول الحربة ، ثم مشىٰ بها إليه ؛ ثم أقبل يتحسس حتىٰ وافىٰ بين ضلعين فطعنه بها ،

---

(١) سورة غافر آية : ٢٨ .

(٢) يريدون : هذا قرآننا فهات قرآنك أنت .

فأنفذها فقتله .

قال الوليد بن مسلم :

بلغني أن خالد بن يزيد بن معاوية دخل علىٰ عبد الملك فقال : لو حضرتك ما أمرتك بقتله . قال : ولم ؟ .

قال : إنما كان به المُذْهِب[1] ، فلو جوّعته ذهب ذلك عنه .

وقيل : إن الحارث لما حُمل علىٰ البريد وجُعلت في عنقه جامعة من حديد فجمعت يداه إلىٰ عنقه ، فأشرف علىٰ عقبة بيت المقدس ، فتلا هذه الآية : ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ﴾[2] .

قال : فتقلقلت الجامعة ، ثم سقطت من يده ورقبته إلىٰ الأرض ، فوثب إليه الحرس الذين كانوا معه فأعادوها عليه ثم ساروا به ، فلما أشرف علىٰ عقبة أخرىٰ قرأ آية لا أحفظها ، فسقطت من رقبته ويده إلىٰ الأرض ، فأعادوها عليه ، فلما قدموا علىٰ عبد الملك حبسه ، وأمر رجالاً كانوا معه في السجن من أهل الفقه والعلم أن يعظوه ، ويخوّفوه الله ، ويعلموه أن هذا من الشيطان ، فأبىٰ أن يقبل منهم ، فأتوا عبد الملك فأخبروه بأمره ، فأمر به فصلب . وجاء رجل بحربة فطعنه فانثنت الحربة ، فقال الناس : ما ينبغي لمثل هذا أن يُقتل ، ثم أتاه حرسي برمح دقيق فطعنه بين ضلعين من أضلاعه ، ثم هزه فأنفذه .

قال الراوي : وسمعت غير واحد ولا اثنين يقولون :

إنَّ الذي طعن الحارث بالحربة فانثنت قال له عبد الملك : أذكرت الله حين طعنته ؟ قال : نسيته ـ أو قال : لا . قال : فاذكر اسم الله ثم اطعنه . قال : فطعنه فأنفذها .

---

(١) المُذْهب : اسم شيطان يقال هو من ولد إبليس يتصور للقراء ، فيفتنهم عند الوضوء وغيره (اللسان ـ ذهب) .

(٢) سورة سبأ آية : ٥٠ .

قال العلاء بن زياد العدوي :

ما غبطت عبد الملك بشيء من ولايته إلا بقتله حارثاً[1] ؛ حُدثت أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتىٰ يخرج ثلاثون ، دجالون كذابون ، كلهم يزعم أنه نبي ، فمن قاله فاقتلوه ، ومن قتل منهم أحداً فله الجنة »[2] .

قال الشيخ شمس الدين : هو أحد الدجالين الذين يخرجون بين يدي الساعة ، وكانت قَتْلَتُه في حدود الثمانين من الهجرة[3] .

* * *

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٦/ ١٥١ ، ١٥٤ .

(٢) نصّ الحديث في صحيح مسلم رقم (٥٢٠٥) كما يلي : « لا تقوم الساعة حتى يُبعث دجالون كذابون ، قريب من ثلاثين ، كلهم يزعم أنه رسول الله » .

(٣) الوافي بالوفيات ١١/ ٢٥٤ .

تعليق المؤلف : عبد القادر فياض حرفوش :

لو كان خالد بن سعيد الكذاب كما ذكروا عنه بأنه كان يُري الناس العجائب ويطعمهم فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف ، لماذا لم يمنع نفسه من الذي سحبه من وكره الذي اختبأ فيه ؟ .

لماذا لم يغش علىٰ أبصارهم ويهرب ؟ .

لماذا لم يمنع نفسه من الصلب ؟ .

ما هذه إلّا ترهات واقاويل لأُناس في عقولهم خلل أو مس من الشيطان ، تتراءىٰ لهم أوهام فيكذبون علىٰ الناس وعلىٰ أنفسهم . ولكن الله لهم بالمرصاد .

الأَخْطَلُ الضُّبَعي (*)

الأخْطَلُ الضُّبَعي ، كان شاعراً ، وادعىٰ النُّبوة .

كان يقول : لمُضَر صَدْر النُّبوَّة ولنا عَجُزُها .

فأخذه عمر بن هُبَيْرة[1] ، فقال : ألستَ القائل :

لنا شَطْرُ هذا الأَمْرِ قِسمةَ عادلٍ ... متىٰ جَعَلَ اللهُ الرسالةَ تُرْتَبا

أي راتبة في واحد[2] .

قال : وأنا القائل :

ومن عَجَبِ الأَيام أَنكَ حاكمٌ ... عَليَّ وأَنّي في الوثاقِ[3] أَسيرُ

ويروىٰ : في يديك أسير .

قال : أَنشدني شعرك في الدجّال .

قال : اعزبْ[4] ويلك ! .

فأمر به فضربتْ عُنقه .

(*) خزانة الأدب ١/ ٤٦٢ ، المؤتلف والمختلف ٢٢ . لم أعثر له علىٰ ترجمة في المصادر المتوفرة لدي .

(١) هو عمر بن هُبيرة بن مُعَيَّة بن سُكين بن خُدَيج بن مالك بن سَعْد بن عدي بن فزارة . استعمل علىٰ العراق وخراسان سنة (١٠٢هـ) في عهد الأمويين . طبري ٦/ ٦١٧ .

(٢) في خزانة الأدب ١/ ٢٦٢ أي راتبة دائمة في واحد .

(٣) في المصدر السابق نفسه (يديك) .

(٤) في المصدر السابق نفسه (اغرب) .

وهو القائل في مُسيلمة الكذَّاب :

لهفاً عليكَ أبا ثُمامَة لهفاً علىٰ رُكْنَيْ شَمَامَهْ [1]
كم آيةٍ لك فيهم كالبرْقِ يلمعُ في غَمامَهْ [2]

وجاء حول نسبة الضُّبعي :

الضُّبيعات كلها من ربيعة :

ضُبَيْعةُ بن قَيْس بن ثَعْلَبة ، أشرفهن .

ضُبَيْعةُ بن رَبيعة بن نزار .

ضُبَيْعةُ بن عِجْل بن لُجَيم[3] .

ورد في مقدمة ديوان المُتَلمس الضُّبَعي :

قالوا : وكان العزُّ والشرف والرئاسة على « ربيعة » في « ضُبيعة أضجم » . وكان سيِّدها الحارث الأضجم وبه سُمِّيتْ ضُبَيْعة أضجم .

وإنما لُقِّب بذلك لأنه أصابته لَقْوَةٌ فصار أضجم .

والضجم هو اعوجاج في الفك أو الحنك[4] .

* * *

(١) لَهِفَ : حَزِنَ ومحَسَّرَ . القاموس المحيط .
(٢) المؤتلف والمتخلف للآمدي ٢٢ .
(٣) المحبر ٢٣٥ .
(٤) ديوان المتلمس الضبعي ١٥ .

المُغيرةُ(*) بن سَعيد البَجْلي

كان المُغيرة مولىً لبجيلة وكان سبائياً[(١)] وصاحب نيرنجات[(٢)] .

وجاء في الطبري : أنه كان ساحراً وكان يقول : لو أردتُ أن أحيي عاداً وثموداً وقروناً بين ذلك كثيراً لأحييتهم .

قال الأعمش : وكان المُغيرة يخرج إلىٰ المقبرة فيتكلم فَيُرىٰ مثل الجراد علىٰ القبور ، أو نحو هذا من الكلام[(٣)] .

وقال ابن الأثير في حوادث سنة (١١٩هـ) خرج المُغيرة بن سَعيد وبيان[(٤)] في ستة نفر وكانوا يسمون الوصفاء ، وكان المُغيرة ساحراً ، وكان يقول : لو أردت أن أُحيي عاداً وثموداً وقروناً بين ذلك كثير لفعلت .

رأي المغيرة في الإله :

كان رأي المغيرة التجسيم ، يقول : إن الله علىٰ صورة رجل علىٰ رأسه

(*) عيون الأخبار ١/ ٢٥٦ ، و٢/ ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ . عقد فريد ٢/ ٤٠٥ ، حيوان ٥/ ٥٩٠ الكامل في التاريخ ٥/ ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، طبري ٧/ ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ . المعارف ٦٢٣ وفي المحبر ٤٨٣ هو المغيرة بن سعيد البجلي الأحمسي . وفي الفرق بين الفرق ٢٢٩ : المغيرة بن سعيد العجلي .

(١) السبائيُّ : سبائيّة وسبئية وهم الغلاة الذين ينتسبون إلىٰ عبد الله بن سبأ رأس الطائفة السبئية وقال ابن حجر العسقلاني : ابن سبأ من غلاة الزنادقة ، أحسب أن علياً حرقه بالنار . وعبد الله بن سبأ أصله من اليمن وقيل كان يهودياً وأظهر الإسلام . (حاشية عيون الأخبار ٢/ ١٦٥) .

(٢) النَّيرنَّجات : أُخذٌ كالسحر ليست بحقيقته إنما هي تشبيه وتلبيس . معربة .

(٣) طبري ٧/ ١٢٨ .

(٤) بيان بن سمعان التميمي . سيأتي خبره في نهاية البحث .

تاج ، وإن أعضاءَهُ على عدد حروف الهجاء ويقول ما لا ينطق به لسان .

يقول : إن الله تعالى لما أراد أن يخلق تكلم باسمه الأعظم فطار فوقع على تاجه ثم كتب بإصبعه على كفه أعمال عباده من المعاصي والطاعات ، فلما رأى المعاصي ارفض عرقاً ، فاجتمع من عرقه بحران أحدهما ملح مظلم والآخر عذب نير ثم اطلع في البحر فرأى ظله فذهب ليأخذه فطار فأدركه فقلع عيني ذلك الظل ومحقه فخلق من عينيه الشمس وسماء أخرى ، وخلق من البحر الملح ، الكفار ، ومن البحر العذب المؤمنين وكان يقول بإلهيّة علي وتكفير أبي بكر وعمر وسائر الصحابة إلاّ من ثبت مع علي كرم الله وجهه . وهناك رواية ثانية أذكرها فيما بعد .

وكان يقول : إن الأنبياء لم يختلفوا في شيء من الشرائع ، وكان يقول بتحريم ماء الفرات وكل نهر وعين أو بئر وقعت فيه نجاسة .

المغيرة ومحمد الباقر :

وجاء المغيرة إلى محمد الباقر فقال له : أقرر أنَّك تعلم الغيب حتى أجبي لك العراق . فنهره وطرده . وجاء إلى ابنه جعفر بن محمد الصادق فقال له مثل ذلك[١] . وبلغ خالد القسري خروجهم بظهر الكوفة وهو يخطب من على المنبر فقال أطعموني ماءً[٢] . فقال الشاعر يحيى بن نوفل قصيدة يسخر فيها من خالد القسري أذكر بعضاً منها :

أَخَالِدُ لا جَزاكَ اللهُ خَيْراً ... وأَيْرٌ في حِرِأُمكَ مِنْ أَميرِ
وأُمكَ عِلجَةٌ وأَبُوكَ وَغْدٌ ... وما الأَذنابُ عِدْلاً للصُّدُورِ
وكُنْتَ لدى المُغيرةِ عَبْدَ سوءٍ ... تَبُولُ مِن المخافةِ على السَّريرِ

---

(١) الكامل في التاريخ ٥/ ٢٠٧ ، ٢٠٨ .
(٢) الطبري ٧/ ١٢٩ والكامل في التاريخ ٥/ ٢٠٧ .

وقلتَ لِما أَصابكَ : أطْعموني   شَراباً ثُمَّ بُلتَ علىٰ السَّريرِ[1]

وكان خالد يُنعت بالجبن .

انشقاق المُغيرية :

لما قُتلَ محمدُ بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بالمدينة اختلفت المغيريةُ فيه فرقتين :

فرقةٌ أقرّوا بقتلهِ وتبرءُوا من المُغِيرةِ بن سعيد العجلي وقالوا إنه كذب في قوله إِنَّ محمدَ بن عبد الله بن الحسن بن الحسين هو المهديُّ الذي ملك الأرض لأنهُ قُتلَ وما ملك الأرض .

وفرقة ثبتت علىٰ مُوالاة المُغيرة بن سعيد العجلي وقالت : إنهُ صدقَ في قوله إن المهديَّ محمدُ بنُ عبد الله وإنّه لم يُقتل وإنما غاب عن عيون الناس وهو في جبل حاجز من ناحية نجد مقيمٌ هناكَ إلىٰ أن يؤمرَ بالخروج فيخرجَ ويملك الأرض وتُعقد البيعةُ بمكة بين الرُكن والمقام ويحيا له من الأموات سبعةَ عشر رجلاً يُعطىٰ كل واحد منهم حرفاً من حروف الاسم الأعظم فيهزمون الجيوش[2] .

قال عبد القاهر البغدادي في ذكر المغيرة بن سعيد العجلي :

كان يظهر في بدء أمره مولاة الإمامية . . . ثم إنه أظهر لهم بعد رياسته عليهم أنواعاً من الكفر الصريح . منها دعواه النبوة ، ودعواه علمه بالإسم الأعظم وزعم أنهُ يحيي به الموتىٰ ويهزم به الجيوش . ومنها إفراطه في التشبيه . وذلك أنه زعم أن معبوده رجل من نور علىٰ رأسه تاج من نور وله أعضاء وقلب ينبع منه الحكمة . وزعم أيضاً أن أعضاءه علىٰ صور حروف

---

(١) الطبري ٧/ ١٣٠ .

(٢) الفرق بين الفرق ٤٤ .

الهجاء وإن الألف منها مثال قدميه والعين على صورة عينه وشبه الهاء بالفرج .

ومنها تكلم في بدء الخلق فزعم أن الله تعالىٰ لما أراد أن يخلق العالم تكلم باسمه الأعظم فطار ذلك الإسم ووقع تاجاً علىٰ رأسه وتأول علىٰ ذلك قوله : ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾(١) .

وزعم أن الاسم الأعلىٰ إنما هو ذلك التاج ثم أنهُ بعد وقوع التاج علىٰ رأسه كتب بإصبعه علىٰ كفه أعمال عباده . ثم نظر فيها فغضب من معاصيهم فعرق فاجتمع من عرقه بحران أحدهما مظلم مالح والآخر عذب نيّر . ثم اطلع في البحر فأبصر ظله فذهب ليأخذه فطار فانتزع عيني ظله فخلق منهما الشمس والقمر وأفنىٰ باقي ظله وقال : لا ينبغي أن يكون معي إله غيري .

ثم خلق الخلق من البحرين فخلق الشيعة من البحر العذب النيّر فهم المؤمنون وخلق الكفرة وهم أعداء الشيعة من البحر المظلم المالح .

وزعم أيضاً أن الله تعالىٰ خلق الناس قبل أجسادهم فكان أول ما خلق فيها ظل محمد . قال : فذلك قوله : ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾(٢) .

قال : ثم أرسل ظل محمد إلىٰ إظلال الناس ثم عرض علىٰ السماوات والجبال أن يمنعنَ علي بن أبي طالب من ظالميه فأبَيْن ذلك .

فعرض ذلك علىٰ الناس فأمر عمر أبا بكر أن يتحمل نصرة عليٍّ ومنعه من أعدائه وأن يغدر به في الدنيا وضمن له أن يعينه علىٰ القدرية علىٰ شرط أن يجعل له الخلافة بعده ففعل أبو بكر ذلك . قال : فذلك تأويل قوله : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾(٣) .

---

(١) سورة الأعلىٰ آية/ ١ .

(٢) سورة الزخرف آية/ ٨١ .

(٣) سورة الأحزاب آية/ ٧٢ .

فزعم أن الظلوم والجهول أبو بكر وتأول في عمر قول الله تعالىٰ ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ ﴾[١] .

والشيطان عنده عمر[٢] .

نهاية المغيرة وجماعته :

أتىٰ خالد القسري بالمُغيرة وبيان في ستة رهط أو سبعة ، وأمر بسريره فأخرج إلىٰ المسجد الجامع وأمر بأطنان[٣] قصب ونِفْط فأحضرا ، ثم أمر المُغيرة أن يتناول طناً فكعّ عنه وتأنّىٰ ، فصبّت السياط علىٰ رأسه فتناول طنّاً فاحتضنه ، فشُدّ عليه ثم صُبّ عليه وعلىٰ الطنّ نِفط ، ثم الهبت فيهما النار فاحترقا ، ثم أمر الرهط ففعلوا ، ثم أمر بياناً آخرهم فقدم إلىٰ الطنّ مبادراً فاحتضنه ، فقال خالد : ويلكم ! في كل أمرٍ تحمقون ، هلا رأيتم هذا المغيرة ! ثم أحرقه .

لما قَتل خالد المغيرة وبياناً أرسل إلىٰ مالك بن أَعين الجُهني فسأله فصدقه عن نفسه فأطلقه ، فلما خلا مالك بمن يثق به ـ وكان فيهم أبو مسلم صاحب خراسان ـ قال :

ضَـرَبْـتُ لـه بَيْـنَ الطَّـريقَيْـن لا حبـاً وَطِنتُ عليهِ الشَّمْسَ فيمَنْ يطينُها
وألقيتـهُ فـي شبهـةٍ حيـن سـالنـي كما اشتَبَها في الخط سِينٌ وشينُها

---

(١) سورة الحشر آية/ ١٦ .

(٢) الفرق بين الفرق ٢٢٩ ـ ٢٣١ . وهناك فرق كثيرة كلها تتبع منهجاً واحداً ، بين إدعاء النبوة والألوهية والحلول في أشخاصها وفيها كثير من الخلط وأكثرهم يتسترون في فرقهم تحت إسم أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه وأولاده وأحفاده ، وهم لا يمتون له بصلة لأنهم بعيدون عن كل مبادئ الإسلام وفرائضه وأركانه .

(٣) أطنان : جمع طن ؛ وهو حزمة القصب . لقد أفردت ترجمة إلىٰ بيان بن سمعان التميمي في هذا الكتاب .

فقال أبو مسلم حين ظهر أمره : لو وجدته لقتلته بإقراره علىٰ نفسه[1] .

ولو أمعنا النظر في الكلام الذي كان المغيرة ينطق به لوجدناه يهذي بكلام ولا يدرك حقيقته ، وربما سمع مثل هذه الخرافات عن أساطير قديمة ولكنه عجز عن إعادة صياغتها لكي تتلائم مع أهدافه وغاياته[2] .

وكما مر معنا لقد طرده كلٌ من محمد الباقر وجعفر الصادق عليه السلام شر طردة ، ولو عرفا بأنه يقول الحق لما قسوا عليه وربما اعتبراه غير متزن وللجنون فنون .

وإن أبا الحسن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بريئ كل البراءة من أمثال هؤلاء الذين يدعون أنهم آلهة وأنبياء ، وهم لا هذا ولا ذاك ، إنما لهم غايات وأهداف مختلفة ، غرَّروا بالناس وقادوهم إلىٰ حيث الظلال والحروب والتشريد والقتل والإخلال بالأمن العام[3] .

إن المشعوذين أو السحرة الذين ظهروا بين الفينة والأخرىٰ استغلوا حب الناس لأبي الحسن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ملاذاً يتسترون خلف هذا الحب لحماية أنفسهم وعطف الناس عليهم .

ويُخدع المؤمن أحياناً بمثل هذه الأباطيل التي يختلف أصحابها فيما بينهم علىٰ صحة ما يدعونه وتكون من خلفهم شبهات تدفع بهم وجلهم من الشعوبين الحاقدين علىٰ العرب والإسلام أو من المرتزقة والمأجورين . وإن مثل هؤلاء لم تنقطع أخبارهم عبر القرون حتىٰ الآن .

وهل من يحب الإمام العادل خليفة العرب والمسلمين وقاضيهم النزيه علي كرم الله وجهه يقول عن نفسه بأنه نبي أو إله . إذا كان هؤلاء الأدعياء وأمثالهم

---

(١) تاريخ الطبري ٧/ ١٢٩ .

(٢) معجم الفرق الإسلامية ٦٥ .

(٣) معجم الفرق الإسلامية ٦٦ .

أنبياء وآلهة ، فأين أصبح موقع الإمام علي كرم الله وجهه منهم وماذا تركوا له ؟! إنهم مارقون وكيدهم في نحورهم .

ويبقىٰ علي كرم الله وجهه منارة في تاريخ العرب والإسلام تهتدي الأجيال بسيرته الناصعة وأخلاقه العالية وسلوكه القويم وإيمانه الذي لا يتزعزع[١] .

* * *

---

(١) تعليق المؤلف .

بَيان بن سَمْعَان التميمي(*)

بيان بن سَمْعان التميمي النَّهدي اليمني . ظهر بالعراق في أوائل القرن الثاني من الهجرة ، وادّعىٰ أول الأمر أن جزءاً إلّهياً حلّ في علي ، ثم في محمد بن الحنفية ، ثم في ابنه أبي هاشم ، ثم في بيان نفسه . ثم ادعىٰ النبوة فأخذه خالد القسري فقتله وصلبه[1] .

أتباع بيان بن سَمعان التميمي وهم الذين زعموا أن الإمامة صارت من محمد بن الحنفية إلىٰ ابنه أبي هاشم عبد الله بن محمد ، ثم صارت من أبي هاشم إلىٰ بيان بن سمعان بوصيته إليه واختلف هؤلاء في بيان زعيمهم ، فمنهم من زعم أنهُ كان نبياً وأنهُ نسخ بعض شريعة محمد ﷺ . ومنهم من زعم أنه كان إلهاً . وذكر هؤلاء أن بياناً قال لهم أن روح الإله تناسخت في الأنبياء والأئمة حتىٰ صارت إلىٰ أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ثم انتقلت إليه منه يعني نفسه فادعىٰ لنفسه الربوبية علىٰ مذاهب الحلولية وزعم أيضاً أنهُ هو المذكور في القرآن في قوله : ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[2] .

وقال أنا البيان وأنا الهدىٰ والموعظة ، وكان يزعم أنهُ يعرف الاسم الأعظم

(*) تاريخ الطبري ٧/ ١٢٨ ، ١٢٩ ، الفرق بين الفرق ٢٢٧ ، الكامل في التاريخ ٥/ ٢٠٧ ، الملل والنحل ١/ ١٧٦ ، ١٧٧ . عيون الأخبار ٢/ ١٦٤ ، ١٦٥ .

ـ وجاء في معجم الفرق الإسلامية ٦٦ هو بيان بن سمعان النهدي التميمي . وقيل اسمه بيان بن زريق .

(١) حاشية الملل والنحل ١/ ٣٧ عن مقالات الإسلاميين ١/ ٦٦ ، والتبصير ٧٢ ، وكامل ابن الأصيرة ٥/ ٨٢ .

(٢) سورة آل عمران آية : ١٣٨ .

وانهُ يهزم به العساكر وأنه يدعو به الزهرة فتجيبه .

ثم أنه زعمَ أن الإله الأزلي رجل من نور وأنهُ يَفنىٰ كله غير وجهه وتأول علىٰ زعم قوله : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾[1] . وقوله : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾[2] .

ورُفع خبر بيان هذا إلىٰ خالد بن عبد الله القسري في زمان ولايته في العراق فاحتال علىٰ بيان حتىٰ ظفر به وصلبه وقال له : إن كنت تهزم الجيوش بالاسم الذي تعرفه فاهزم به أعواني عنك .

وهذه الفرقة خارجة عن جميع فرق الإسلام لدعواها الإلهية زعيمها بيان كما خرج عابدو الأصنام عن فرق الإسلام[3] .

وبيان هذا هو بيان التَّبَّان ، ادعىٰ النُّبوة وهو أول من قال بخلق القرآن[4] .

وجاء أيضاً :

ثم ادعىٰ بَيان أنه قد انتقل إليه الجزء الإلهي بنوع من التناسخ ، ولذلك إستحق أن يكون إماماً وخليفة ، وذلك الجزء هو الذي استحق به آدم عليه السلام سجود الملائكة .

وزعم أن معبوده عَلىٰ صورة إنسان عضواً فعضواً ، وجزءاً فجزءاً .

ومع هذا الخزي الفاحش كتب إلىٰ محمد بن علي بن الحسين الباقر رضي الله عنهم ودعاه إلىٰ نفسه . وفي كتابه « أسلم تسلم ، ويرتقي من سلم ، فإنك لا تدري حيث يجعل الله النبوة » .

---

(١) سورة القصص آية : ٨٩ .

(٢) سورة الرحمن آية : ٢٦ ـ ٢٧ .

(٣) الفرق بين الفرق ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

(٤) معجم الفرق الإسلامية ٦٦ . والتبان : بائع التبن .

فأمر الباقر أن يأكل الرسول قرطاسه الذي جاء به فأكله ، فمات في الحال ، وكان اسم ذلك الرسول عمر بن أبي عفيف[(1)] .

نهايته :

في سنة تسع عشرة ومائة أتىٰ خالد بن عبد الله القَسري ، بالمُغيرة بن سَعيد[(2)] ، وبَيان بن سَمعان في ستة رهط أو سبعة ، أمر بسريره فأخرج إلىٰ المسجد الجامع ، وأمر بأطنان قصب ونِفْط فأُحضرا ، ثم أَمَرَ المُغيرة ان يتناول طنّاً فكعّ عنه وتأنّىٰ ، فصبّت السباط علىٰ رأسه ، فتناول طنّاً فاحتضنه ، فشُطّ عليه ، ثم صُبّ عليه وعلىٰ الطنّ نِفْط ، ثم الهبت فيهما النار فاحترقا ، ثم أمر الرهط ففعلوا .

ثم أمر بياناً آخرهم فقدِم إلىٰ الطنّ مبادراً فاحتضنه ، فقال خالد : ويلكم ! في كل أمر تحمقون ، هلاّ رأيتم هذا المغيرة ! ثم أحرقه[(3)] .

عندما تقرأ مثل هذه الدعوات والمعتقدات يصاب الإنسان العاقل بالذهول ، مثلاً بيان التميمي ادعىٰ أخيراً أنه نبي وأن الجزء الإلهي انتقل إليه ، إن هؤلاء يعرفون أنهم يدعون باطلاً ، وعندما يصبح لهم أتباع يصدقون أنفسهم بأنهم آلهة وأنبياء وما أكثرهم وما أكثر فرقهم في تراثنا ، أقول إن العلم والعقل المنفتح ، والأفكار البناءة كل ذلك كفيل بالقضاء علىٰ التخلف الفكري أولاً وكل أشكال التخلف .

* * *

(١) الملل والنحل ١/١٧٦ ، ١٧٧ .

(٢) انظر ترجمته في هذا الكتاب .

(٣) تاريخ الطبري ٧/١٢٨ ، ١٢٩ . ولقد أفردت لسعيد البجلي ترجمة خاصة به في هذا الكتاب .

رَجلٌ يَدعي النُّبوة في زمن خالد القَسري (*)

قال خلف بن خليفة :

ادعىٰ رجلٌ النُّبوة في زَمنِ خالد بن عبد الله القسري ، وعارض القرآن ، فأتىٰ به خالد ، فقال له : ما تقول ؟.

قال : عارضتُ في القرآن ما يقول الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣ ﴾(١) .

فقلت أنا ما هو أحسن من هذا : إنا أعطيناك الجَماهِر ، فصلِ لربك وجَاهِر ، ولا تُطع كل ساحرٍ وكافر .

فأمر به خالد(٢) فَضُربت عُنقه وصُلبت علىٰ خَشبةٍ .

فَمَرَّ به خلف بن خليفة الشاعر ، وقال :

إِنَّا أَعطيناك العمود ، فَصلِ لربك علىٰ عُود ، وأنا ضامن عنك ألاّ تعود(٣) .

* * *

(*) العقد الفريد ٦/ ١٤٥ .

(١) سورة الكوثر . آية ١-٢-٣

(٢) في سنة تسع وثمانين للهجرة ولي خالد بن عبد الله القسريُّ مكة للوليد بن عبد الملك فلم يزل والياً عليها حتىٰ مات . طبري ٦/ ٤٤٠ ، ٤٦٤ ، الكامل في التاريخ ٤/ ٥٣٦ ، ٥٥٤ .

(٣) العقد الفريد ٦/ ١٤٥ .

القسم الخامس

المتنبؤون في العصر العباسي

- أحمد بن الحسين ـ (المتنبي الشاعر) .
- بابك الخُرَّمي .
- الأَصْفَرُ التَّغْلبي .
- أبو منصور العجلي .
- رجل ادعىٰ النُبوَّة في عصر المهدي .
- امرأة ادعت النُبوَّة في عصر المأمون .
- رجل ادعىٰ النُبوَّة في عصر المأمون .
- رجل ادعىٰ النُبوَّة ـ في أذربيجان .
- رجل ادعىٰ النُبوَّة ـ بالبصرة .
- رجل ادعىٰ النُبوَّة ـ بالكُوفة .
- رجل ادعىٰ النُبوَّة ـ بجبل ليلون .
- رجل ادعىٰ النُبوَّة ـ بنهاوند .
- رجل ادعىٰ الألوهية ـ باليمن .
- صاحب الزنج .
- البابا التركماني .
- نُبوة أبي جوف .
- الصَّنادِيقي = منصور الصناديقي .
- المُقنع بِخُراسان = القصار الأعور .
- ذو القرنين = محمود بن الفرج النيسابوري .
- رجل ادعىٰ النُبوَّة في عصر المهدي .
- رجل ادعىٰ النُبوَّة في عصر المأمون .
- رجل ادعىٰ بأنه إبراهيم الخليل ـ في عصر المأمون .
- رجل ادعىٰ النُبوَّة ـ بباسند .
- رجل ادعىٰ النُبوَّة ـ بالرقة .
- رجل ادعىٰ النُبوَّة ـ بالكُوفة .
- رجل ادعىٰ النُبوَّة ـ وسَمّىٰ نفسه نوحاً .
- رجل ادعىٰ النُبوَّة ـ وثمامة بن أشرس .
- شاباس ـ رب العزة .
- محمد بن علي الشَّلْمَغاني .

أَحمدُ(*) بن الحُسين أَبو الطَّيِّب المُتَنَبِّي

هو أَحمدُ بن الحُسين بن عَبد الصَّمد أَبو الطَّيِّب الجُعْفيُّ الشاعر المعروف بالمتنبي ولد بالكُوفة سنة ثلاث وثلاثمائة[1] .

كان المتنبي وهو صبي ينزل بالكُوفة ، وكان يعرف أبوه بعبدان[2] السقا يسقي أهل المحلة ، ونشأ وهو محب للعلم والأدب ، فطلبه وصحب الأعراب في البادية وعاد بعد سنين بدوياً قحاً وقد كان تعلم الكتابة والقراءة ، فلزم أهل العلم والأدب ، وأكثر ملازمة الوراقين فكان علمه من دفاترهم ، وقال أحد الوراقين : ما رأيت أحفظ من هذا الفتىٰ ابن عبدان قط ، اليوم كان عندي وقد أحضر رجل كتاباً من كتب الأصمعي نحو ثلاثين ورقة ليبيعه ، فأخذ ينظر فيه طويلاً ، فقلت له : يا هذا أريد بيعه وقد قطعتني عن ذلك فإن كنت تريد حفظه فهذا إنشاء الله يكون بعد شهر .

فقال المتنبي : فإن كنت قد حفظته في هذه المدة ما لي عليك ؟ .

قال الوراق : أهب لك الكتاب .

قال المتنبي : فأخذت الدفتر من يده .

(*) المنتظم ١٦٢/١٤ ، ١٦٩ . مختصر تاريخ دمشق ٤٨/٣ ، ٥٠ خزانة الأدب ٣٤٧/٢ ، ٣٤٨ ، ديوان المتنبي شرح البرقوقي ، تاريخ بغداد ١٠٢/٤ - ديوان المتنبي شرح أبو العلاء المعري . رسالة الغفران ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، سير أعلام النبلاء ١٩٩/١٦ .

(١) جاء في خزانة الأدب ٣٤٧/٢ ، كان مولد المتنبي بالكوفة في مَحلَّةٍ تعرف بكِندة بها ثلاثة آلاف بيت بين رَوَّاء ونساج واختلف إلىٰ كتّاب فيه أولاد أشراف الكوفة ، فكان يتعلم دروس العلوية شعراً ولغة وإعراباً فنشأ في خير حاضرة . . . ثم وقع إلىٰ خير بادية في بيوت العرب فادعىٰ الفضول الذي نُبزَ به . . . ؟ .

(٢) وكان عبدان والد المتنبي يذكر أنه جعفي وكانت جدة المتنبي همدانية صحيحة النسب وكانت من صلحاء النساء الكوفيات (تاريخ بغداد ١٠٢/٤) .

قال الوراق : فأقبل يتلوه عليَّ إلىٰ آخره ثم استلمه فجعله في كمه ، وتعلق به الوراق وطلبه بالثمن .

فقال له المتنبي : ما إلىٰ ذلك سبيل قد وهبته لي .

فمنعه الحضور من ذلك وقالوا له أنت شرطت علىٰ نفسك هذا للغلام[1] .

نسب المتنبي : جاء في تاريخ بغداد ٤/ ١٠٣ :

وعندما كان يُسأل المتنبي عن نسبه لا يعترف به ويقول : أنا رجل أخيط القبائل وأطوي البوادي وحدي ، ومتىٰ انتسبت لم آمن أن يأخذني بعض العرب بطائلة بينها وبين القبيلة التي أنتسب إليها ، وما دمت غير مُنتسب إلىٰ أحدٍ فأنا أُسلم علىٰ جميعهم ويخافون لساني .

أما في المنتظم ١٤/ ١٦٤ جاء قوله بنفس المعنىٰ السابق : أنا رجل أختط القبائل ، وأطوي البوادي وحدي ، ومتىٰ انتسبت لم آمن أن يأخذني بعض العرب بطائلة بيننا وبين القبيلة التي أنتسب إليها وما دمت غير منتسب إلىٰ أحد فأنا أُسلم علىٰ جميعهم .

نشأته :

نشأ بالشام وأكثر المقام بالبادية ، وطلب الأدب ، وعلم العربية ، ونظر في أيام الناس ، وتعاطىٰ قول الشعر في حداثته حتىٰ بلغ فيه الغاية التي فاق أهل عصره ، وعلا شعراء وقته ، واتصل بالأمير سيف[2] الدولة الحمداني أمير حلب وانقطع إليه وأكثر القول في مديحه ، ثم مضىٰ إلىٰ مصر فمدح بها كافور[3] الإخشيدي الخادم ، وأقام هناك مدة ، ثم خرج من مصر[4] ، وورد

---

(١) تاريخ بغداد ٤/ ١٠٢ والمنتظم ١٤/ ١٦٤ .

(٢) التحق بالأمير سيف الدولة بن حمدان في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة (وفيات الأعيان ١/ ١٢٢) .

(٣) دخل مصر سنة ست وأربعين وثلاثمائة ومدح كافور الإخشيدي (وفيات الأعيان ١/ ١٢٢)

(٤) خرج من مصر في ليلة عيد النحر سنة خمسين وثلاثمائة (وفيات الأعيان ١/ ١٢٢) .

العراق ودخل بغداد وجالس بها أهل الأدب ، وقرئ عليه ديوانه وأقام في بغداد في ربض حميد ، وقد كان القاضي أبو الحسين محمد بن أحمد بن القاسم المحاملي سمع منه ديوانه ورواه عنه[١] .

النبوءة :

كان أبو الطيب لما خرج إلىٰ كلب وأقام فيهم ادعىٰ أنه علوي حسني ثم ادعىٰ بعد ذلك النُّبوَّة ، ثم عاد يدعي أنه علوي ، إلىٰ أن أشهد عليه بالشام بالكذب في الدعوتين ، وحُبس دهراً طويلاً ، وأشرف علىٰ القتل ، ثم أُستتيب وأشهد عليه بالتوبة وأُطلق .

وجاء أنه تنبأ في بادية السماوة ونواحيها إلىٰ أن خرج إليه لؤلؤ أمير[٢] حمص من الإخشيدية ، فقاتله وأنفره ، وشرّد من كان اجتمع إليه من كلب وكلاب وغيرهما من قبائل العرب ، وحبسه في السجن حبساً طويلاً ، فاعتل وكاد أن يتلف حتىٰ سئل في أمره فاستتابه ، وكتب عليه وثيقة أشهد عليه ببطلان ما ادعاه ورجوعه إلىٰ الإسلام ، وأنه تائب منه ولا يعاود مثله وأطلقه .

وقد كان تلا علىٰ البوادي كلاماً ذكر أنه قرآن أُنزل عليه ، وكان يحكون له سوراً كثيرة ، ومن بعض ما قاله : والنجم السيار ، والفلك الدوار ، والليل والنهار ، إنّ الكافر لفي أخطار ، امض علىٰ سننك ، واقف أثر من كان قبلك من المرسلين فإن الله قامع بك زيغ من ألحد في دينه ، وضل عن سبيله .

وأين قوله من قول الله تعالىٰ : ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا

---

(١) تاريخ بغداد ٤/١٠٢ .

(٢) وبقي المتنبي يعتذر إلىٰ أمير حمص وليتبرأ مما وسم به فيقول من قصيدة له :

فمـا لـكَ تَقْبَـلُ زُورَ الكـلام ... وقـدرُ الشهـادةِ قـدر الشهـودِ

وفـي جُـود كفِّـك مـا جُـدْت لـي ... بنفسـي ولـو كنـتُ أَشْقـىٰ ثَمـودِ

خزانة ٢/٣٤٧

﴿كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِءِينَ﴾[1] وهل تتقارب الفصاحة أو يشتبه الكلامان[2] .

وهو في الجملة خبيث[3] الاعتقاد ، وكان في صغره وقع إلىٰ واحد يُكنىٰ أبا الفضل بالكوفة من المتفلسفة ، فهوّسه ، وأَضلّه كما ضل ، وأما ما يدلُّ عليه شعره فمتلون ، وقوله :

هَــوِنْ علـىٰ بصـرٍ مـا شَـقَّ مَنْظَـرُهُ ... فـإنّمـا يقظـات العيـن كـالحُلـمِ

مذهب السوفسطائية . إذ قال :

تَمتـــعْ مـــن سُهـــادٍ أو رُقَـــادٍ ... ولا تـأمـلْ كَـرىً تحـتَ الـرِّجـامِ
فـإنَّ لثـالـث الحـاليـن معنـىً ... سـوىٰ مَعنـىٰ انتبـاهِـكَ والمنـامِ

مذهب التناسخ . إذ قال :

نَحـنُ بنـو الـدُنيـا فمـا بـالُنـا ... نَعـافُ مـا لا بُـدَّ مـن شُـربـهِ
فهـــذه الأرواحُ مـــن جَـــوِّه ... وهـــذه الأجســامُ مـــن تُـربـهِ

مذهب الفضائيّة . وقوله : في أبي الفضل بن العميد :

فـإن يكـنِ المهـديُّ قـد بـانَ هَـديُـه ... فهذا ، وإلا فالهدىٰ ذا فما المهدي

مذهب الشيعة وقوله :

تَخالفَ الناسُ حتّىٰ لا اتفاق لهم ... إلاّعلىٰ شَجَب ، والخُلْفُ في الشَّجَبِ
فقيـل : تخلُـدُ نفـسُ المـرءِ بـاقيـةً ... وقيل : تَشرَكُ جِسمَ المرء في العَطَبِ

ويعلق صاحب الخزانة بقوله : فهذا من يقول بالنفس الناطقة ؛ ويتشعّب بعضه إلىٰ قول الحشيشيّة ، والإنسان إذا خلع رِبقة الإسلام من عُنقه ، وأسلمه الله عزّ وجل إلىٰ حوله وقوته ، وجدَ في الضلالات مجالاً واسعاً ،

---

(١) سورة الحجر آية : ٩٤ ـ ٩٥ .

(٢) تاريخ بغداد ٤/ ١٠٣ .

(٣) الخزانة ٢/ ٣٤٨ ـ المقصود المتنبي .

وفي البدع والجهالات منادِيحَ وفُسَحا[1] .

وقد هجاه شعراء وقته فقال الضَّبِّيُّ :

الـزمْ مقـالَ الشعـر تحـظَ بِقُـربـةٍ وعن النُبوَّة ، لا أبا لك ، فانْتَزِحْ
تَرْبَحْ دَماً قد كنتَ توجبُ سَفكه إن الممتَّـع بـالحيـاة لَمَـن ربـحْ

فأجابه المتنبي[2] :

أَمـري إلـيّ فـإنْ سمحـتُ بمهجـةٍ كَرُمتْ عليَّ فإنّ مثلي مَنْ سَمحْ

وهجاه غيره[3] فقال :

أطلَلْـتَ يـا أيهـا الشقـيُّ دَمـكْ بـالهـذَيـان الـذي مـلأتَ فَمَـكْ
أَقسمـتُ لـو أقسـمَ الأميـرُ علـىٰ قتلِـكَ قبـل العشـاء مـا ظلمَـكْ

فأجابه المتنبي :

همُّـكَ فـي أمـردٍ تُقلِّـب فـي عَيـن دواةٍ مـن صُلْبـه قَلَمـكْ
وهمَّتـي فـي انتضـاء ذي شُطَـبٍ أَقـدُّ يـومـاً بحـدِّه أدَمَـكْ
فـاخـسَ كُليبـاً واقعـد علـىٰ ذَنـبٍ وأطـلِ بمـا بيـن أليَتيـك فَمَـكْ[4]

مجلس سيف الدولة : الأمير علي بن عبد الله بن حمدان بن حمدون بن الحارث العدوي أبا الحسن التغلبي .

قبل أن يتصل أبو الطيب بأبي العشائر كان يطوف في أطراف الشام ، واستقرائه بلاد العرب ومقاساته للضرّ وسوء الحال ، ونزارة كسبه ، وحقارة

---

(١) الخزانة ٢/٣٤٩ .
(٢) انظر زيادات شعر المتنبي للميمني ص١٥ .
(٣) قال الميمني : (ليس هو غير الضبي كما زعم ، بل هو هو) راجع حاشية الخزانة ٢/٣٤٨ . ولم يحدد اسم الشاعر الضبي الذي هجا المتنبي .
(٤) الخزانة ٢/٣٤٨ .

مايوصل به، هذا وأن المتنبي قد مدح بدون العشر والخمسة من الدراهم إذ قال:

انصُرْ بجودِكَ ألفاظاً تركتُ بها   في الشرقِ والغربِ، مَنْ عَاداكَ مكبوتا
فقد نَظرتك حتّىٰ حانَ مُرتَحَلٌ   وذا الوَدَاعُ، فكن أهلاً لما شيتا

ثم اتصل أبو الطيب بأبي العشائر فأقام ما أقام، ثم أهداه إلىٰ سيف الدولة، فاشترط أنَّه لا ينشد إلاّ قاعداً وعلىٰ الوحدة؛ فاستحملوه وأجابوه إليه، فلما سمع سيف الدولة شعره حكم له بالفضل وعدَّ ما طلبه استحقاقاً[1]. وكان التحاقه بسيف الدولة في سنة سبع وثلاثين وثلثمائة[2].

وأقام أبو الطيب المتنبي عند سيف الدولة علىٰ التكرمة البليغة: في إسناء الجائزة، ورفع المنزلة، ودخل مع سيف الدولة بلاد الروم، وتأصل حالاً في جنبته بعد أن كان حَوِيله، وكان سيف الدولة يستحب الاستكثار من شعره والمتنبي يستقلّه؛ وكان ملقىً من هذه الحال، يشكوها أبداً[3].

وكان المتنبي إذا شوغب في مجلس سيف الدولة ذُكر له هذا القرآن وأمثاله مما كان يحكىٰ عنه فينكره ويجحده.

وقال ابن خالويه النحوي يوماً في مجلس سيف الدولة: لولا أن الآخر جاهل لما رضي أن يدعىٰ بالمتنبي، لأن المُتنبي معناه كاذب، ومن رضي أن يدعىٰ بالكذب فهو جاهل!.

فقال له: أنا لست أرضىٰ أن أُدعىٰ بهذا وإنما يدعوني به من يريد الفضل ولست أقدر علىٰ الامتناع[4].

---

(١) الخزانة ٢/ ٣٥٠ ـ أبو العشائر: الحسين بن علي بن الحسين بن حمدان العدوي التغلبي ابن عم سيف الدولة.
(٢) وفيات الأعيان ١/ ١٢٢.
(٣) الخزانة ٢/ ٣٥١.
(٤) تاريخ بغداد ٤/ ١٠٤.

وفي مجلس سيف الدولة العامر بالعلماء في كل ليلة فيتكلمون بحضرته ، فوقع بين المتنبي وبين ابن خالويه النحوي كلام ، فوثب ابن خالويه علىٰ المتنبي فضرب وجهه بمفتاح كان معه فشجه وخرج ودمه يسيل علىٰ ثيابه فغضب وخرج إلىٰ مصر وامتدح كافوراً[1] .

فقال أبو الطيب شعراً فيه كثير من المرارة والألم والعتب بعد ذلك إذ قال :

وَاحَــرَّ قَلْبَــاهُ مِمَّــنْ قَلْبُــهُ شَبِــمُ ... وَمَنْ بِجِسْمي وَحَالي عِنْدَهُ سَقَمُ[2]

يــا أَعْـدَلَ النَّـاس إلاَّ فـي مُعَـامَلَتـي ... فيكَ الخِصَامُ وَأَنْتَ الخَصْمُ والحَكَمُ[3]

إنْ كـان سَـرَّكُـمُ مـا قـالَ حـاسِـدُنـا ... فَمَـا لِجُـرْحٍ إذا أرْضَـاكُـمُ أَلَـمُ

وفي هذا البيت دلالة علىٰ عزمه علىٰ الرحيل ومفارقة سيف الدولة :

يـا مَـنْ يَعِـزُّ عَلَيْنـا أَنْ نُفـارِقَهُـمْ ... وِجْـدَانُنـا كُـلَّ شَـيْءٍ بَعْـدَكُـمْ عَـدَمُ[4]

وأن سيف الدولة رسم إلىٰ التوقيع إلىٰ ديوان البرّ بإخراج الحال فيما وُصِل به المتنبّي ، فخرجتْ بخمسة وثلاثين ألف دينار في مدة أربع سنين[5] .

رحلاته :

لم تكن طموحات أبو الطيب المتنبي تحدها حدود ، فهو يحب المال حباً جمّاً ويقصد من يبذل له ويغدق عليه ويحمله إلىٰ الحكم والسلطة وكان شغوفاً

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ١٢٢ ، ١٢٣ .

(٢) الشبم : البارد . يقول : واحر قلبي واحتراقه حباً وهياماً بمن قلبه بارد لا يحفل بي ولا يقبل علي ، وأنا عنده عليل الجسم لفرط ما أعاني وأقاسي فيه ، سقيم الحال لفساد اعتقاده في .

(٣) إذا كان عدلاً في الناس كلهم إلا في معاملته فقد وصفه بأقبح الجور .

(٤) يقول : يا من يشتد علينا فراقه بما أسلف إلينا من عوارفه كل شيء وجدناه بعدكم فإن وجدانه عدم ، يعني لا يغني غناءكم أحد ولا يخلفكم عندنا بدل . (ديوان المتنبي ٤/ ٨٠) .

(٥) الخزانة ٢/ ٣٥٢ .

بهما وصعب عليه منالهما ، وغادر حلب ليطلب ذلك في مصر لدىٰ كافور الإخشيدي ، بعد إن استأذن سيف الدولة في المسير إلىٰ إقطاعه فأذن له وامتد باسطاً عنانه إلىٰ دمشق ، ومن ثم قصد مصر سنة ست وأربعين وثلاثمائة ومدح كافوراً وأنوجور بن الإخشيد وكان يقف بين يدي كافور وفي رجليه خفان وفي وسطه سيف ومنطقة ويركب بحاجبين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق ، ولما لم يُرضهِ هجاه وفارقه ليلة عيد النحر سنة خمسين وثلاثمائة .

ولم تستطع رواحل كافور اللحاق به ، وكان كافور وعده بولاية بعض أعماله ، فلما رأىٰ تعاليه في شعره وسموه بنفسه خافه ، وعوتب فيه فقال : يا قوم من ادّعىٰ النُّبوة بعد محمد ﷺ أما يدعي المملكة مع كافور(١) .

وقال يمدح أبا شجاع فاتكاً(٢) ، وكان قدم من الفيوم إلىٰ مصر فوصل أبا الطيب وحمل إليه هدية قيمتها ألف دينار :

لا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهديها ولا مالُ ... فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إنْ لمْ تُسعدِ الحالُ(٣)

أبو شُجاعٍ أبو الشُّجعانِ قاطبةً ... هَولٌ نَمتهُ مِنَ الهيجاءِ أهوالُ(٤)

وللمتنبي قصائد كثيرة في مدح كافور أو بالقدح فيه ، فإن شعره في المدح الصادق لا يضاهي وإن هجاءه وذمه ، فهو شديد كثير الازدراء والاحتقار كما أصاب كافور منه في الحالتين ، ولو أن كافوراً لبىٰ مطالبه في توليته أو تأميره

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ١٢٢ .

(٢) هو فاتك الكبير المعروف بالمجنون رومي الأصل وهو ممن أخذه الإخشيد من سيدة بالرملة بلا ثمن وأعتقه وكان رفيق كافور في خدمة الإخشيد ، ولما مات مخدومهما بقي كافور في خدمة ابن الإخشيد، وذهب فاتك إلىٰ الفيوم وأعمالها إقطاعاً له . ومدحه المتنبي بإذن كافور .

(٣) الإسعاد : الإعانة . يقول مخاطباً نفسه : ليس عندك من الخيل والمال ما تهديه إلىٰ الممدوح جزاء له علىٰ إحسانه إليك فليسعدك النطق : أي فامدحه ، وجازه بالثناء عليه إن لم تعنك الحال : أي علىٰ مجازاته بالمال .

(٤) نمته : غذته وربته أو نسب إليها . والهيجاء : الحرب (ديوانه ٣/ ٤٠٥) .

ربما لم يصبه هجاء المتنبي الساخر ، ولبقي ينعم بالمديح ، ولكن أبا المسك خشي المتنبي الذي هرب منه في غفلة انشغاله بالعيد .

وسأذكر بعضاً من مدحه لكافور علىٰ سبيل المثال لا الحصر :

بنىٰ كافور داراً بإزاء الجامع الأعلىٰ علىٰ البركة ، وطالب أبا الطيب بذكرها فقال :

أَنْتَ أَعْلىٰ مَحلَّةً أَنْ تُهَنّىٰ ... بِمكانٍ في الأرْضِ أو في السَّماءِ[1]
إِنَّما يَفخرُ الكريمُ أبو المسـ ... ـكِ بما يَبْتَني مِنَ العلَيَاءِ[2]

ومن قصيدة ثانية قال :

يا أَيُّها الملكُ الغاني بتسميةٍ ... في الشَّرقِ والغَربِ عَنْ وصفٍ وتَلْقيبِ[3]
يُدَبِّرُ المُلك مِنْ مِصرٍ إلىٰ عَدَنٍ ... إلىٰ العراقين فأَرْضِ الرُّومِ فالنُّوبِ
أَنْتَ الحبيبُ ولكني أعوذُ بهِ ... مِنْ أَنْ أَكُونَ مُحِبّاً غَيْرَ مَحبوبِ[4]

وعندما ورد المتنبي مصر أخلىٰ له كافور داراً وخلع عليه وحمل إليه آلافاً من الدراهم ومن قصيدة طويلة مدحه بها : أذكر :

وَمِنْ قَوْلِ سام لو رآكَ لنَسْلهِ ... فِدىٰ ابْنَ أَخي نَسْلي ونَفْسي مَاليا[5]

---

(١) محلة : أي منزلة .

(٢) يقول : إنما فخرك بما يبتني من العلياء ، لا بما يبتني من الدور . (ديوانه ١/ ١٥٦ ، ١٥٧) .

(٣) الغاني : المستغني . يقول أنت مشهور الاسم إذا ذُكر اسمك عرفت به ، فلم يحتج معه إلىٰ وصف أو ذكر لقب .

(٤) يقول : إني أحبك وأنت حبيب إليَّ وإني أعوذ بك من أن لا تحبني ، لأن من نكد الدنيا أن تحب من لا يحبك . (ديوان ١/ ٣٠٠) .

(٥) سام : هو ابن نوح ، ويقال إن البيض من ولده ، وأن السود من ولد أخيه حام . يقول : لو رآك سام بن نوح لكان قوله لنسله فدىٰ ابن أخي ولدي ونفسي ومالي ، لنجابته وفضله . . . . ولو رآه سام لفضله علىٰ نسله وجعل نفسه وإياهم فدىٰ له .

دَعَتْـهُ فَلَبَّـاهـا إلـىٰ المجـدِ والعُـلا وَقَدْ خَالفَ النَّاسُ النُّفوسَ الدَّواعيا(١)
فـأَصْبـحَ فـوقَ العـالميـنَ يـروْنَـهُ وإنْ كـانَ يُـدنيـهِ التَّكـرُّمُ نَـائيـا(٢)

هجاء المتنبي لكافور :

قال يهجوه في يوم عرفة قبل مسيره من مصر بيوم واحد سنة خمسين وثلاثمائة وهي قصيدة طويلة أذكر منها :

صَـارَ الخصـيُّ إمـامَ الآبقيـنَ بهـا فـالحُـرُّ مُسْتَعْبَـدٌ والعبـدُ مَعْبُـودُ(٣)
من عَلَّمَ الأسودَ المخصيَّ مَكْرُمَةً أَقَـومُـهُ البيـضُ أمْ آبـاؤهُ الصِّيـدُ(٤)
أَمْ أُذْنُـهُ فـي يَـدي النَّخَّـاسِ داميَـةً أَمْ قَـدْرُهُ وَهـو بـالفلسيـن مَـرْدُودُ(٥)

وقال يهجوه أيضاً ويحرض علىٰ قتله :

من أَيَّةِ الطُّرْقِ يَأْتي نَحْوَكَ الكَرَمُ أَيْنَ المَحاجِمُ يا كافورُ والْجَلَمُ(٦)

---

(١) يقول : دعته نفسه إلىٰ المجد فلباها وأجابها ، فأما غيره فإذا دعته نفسه إلىٰ المجد فإنه لا يجيبها لأنه لم يأت ما يكسبه المجد والشرف من الجود والشجاعة والأخلاق الحميدة كما أتاها هو ، فغير عاجز عن إدراك ما تدعو إليه نفسه .

(٢) نائياً : بعيداً . يقول : إنه أصبح فوق الناس فهم يرونه بعيداً عنهم رتبة وإن كان تكرمه بغربه منهم كالشمس بعيدة أما ضوؤها فقريب . (ديوانه ٤/ ٤٣٢) .

(٣) الآبق : الهارب من سيده . ومستعبد : مذلل . ومعبود : مطاع . يقول : إن كل عبد هرب من سيده أمسكه كافور عنده وأحسن إليه لأنه مثله في الخيانة والتمرد علىٰ سيده فهو إمام الآبقين .

(٤) البيض هنا : الكرام : أي بيض الأعراض . والصيد : الملوك . يقول : إن هذا الأسود لا يعرف المكرمة ما هي ، لأنه عبد أسود لم يرث آباءه مجداً ولا مكرمة .

(٥) النخاس : بياع الرقيق . والفلس : قطعة مضروبة من النحاس يُتعامل بها . يقول : إنه مملوك اشترىٰ بثمن ، إن زيد عليه قدر فلسين لم يُشتر لخسته ، وهذا غاية في التحقير لشأنه (ديوانه ٢/ ١٤٨) .

(٦) المحاجم : جمع المحجمة ، وهي القارورة يُحجم بها الجلد . والجلم : أحد شِقي المقراض وهما جلمان . يقول : لا طريق للكرم إليك ، فإنك لست منه في شيء ، إنما أنت=

جَازَ الألَىٰ مَلَكَتْ كفَّاكَ قَدْرَهُمُ ... فَعُرِّفُوا بِكَ أن الكَلْبَ فَوْقَهُمُ[1]
سَادَاتُ كُلِّ أُنَاسٍ مِنْ نُفُوسِهِم ... وسَادَةُ المُسلمينَ الأَعْبُدُ القَزَمُ[2]
أَلا فَتىً يورد الهنديَّ هامَتَهُ ... كَيْمَا تَزُولُ شُكوكُ النَّاسِ والتُّهَمُ[3]

مغادرته مصر :

اهتبل المتنبي غفلة كافور بالعيد ، ودفن رماحه براً ، وسار ليلته وحمَّل بغاله وجماله وهو لا يألو سيراً ، إلىٰ أن نزل الكوفة وقال يقصّ حاله :

ألا ، كلُّ ماشيةِ الخيزَلىٰ ... فِدَا كلِّ ماشيةِ الهَيدَبىٰ

ويصف حاله بأنه قطع الأحياء والمفاوز المجاهيل ، والمناهل الأواجن فيقول :

ضَربتُ بها التِّيهَ ضرَبَ القِما ... رِ : إمّا لهذا ، وإمّا لذا[4]

ثم رحل إلىٰ أرَّجان قاصداً أبا الفضل محمد بن العميد لينال منه عطاءاته السخية التي يبذلها للشعراء فلما أشرف عليها وجدها ضيِّقة البُقعة والدُّورِ والمساكن ، فضرب بيده علىٰ صدره وقال : تركتُ ملوك الأرض وهم يتعبَّدون بي ، وقصدتُ ربَّ هذه المدَرَة ، فما يكون منه ! ثم وقف بظاهر المدينة وأرسل غلاماً علىٰ راحلته إلىٰ ابن العميد ، فدخل عليه وقال : مولاي

= أهل لأن تكون حجاماً ـ مزيناً ـ فأين آلة الحجامة حتىٰ تشتغل بها ؟ وفيه إشارة إلىٰ أن الذي اشتراه قديماً كان حجاماً .

(١) الألىٰ : أي الذين ؛ يقول : إن هؤلاء الذين تملكهم قد تجاوزوا قدرهم بالبطر والطغيان فملك الله عليهم تحقيراً لهم ووضعاً من قدرهم ، حين ملكهم كلب .

(٢) القزم : رذال الناس وسفلتهم . ويقول : كل جيل وأمة يملكهم من هو من جنسهم ، فكيف ساد المسلمين عبيد رذال لئام .

(٣) الهندي : السيف . والهامة : الرأس . يقول : ألا رجل منكم يقتله حتىٰ يزول عن العاقل الشك والتهمة ؟ . (ديوانه ٤/ ٢٨٠) .

(٤) خزانة الأدب ٢/ ٣٥٣ .

أبو الطيِّب المتنبّي خارج البلد ، وكان وقتَ القيلولة ، وهو مضطجعٌ في دَسته ، فثار من مضجعه واستشبَه ، ثم أمر حاجبه باستقباله ؛ فركب واستركبَ من لقيه في الطريق ، ففصل عن البلد بجمعٍ كثرٍ ، فتلقَّوه وقضَوا حقّه وأدخلوه البلد ، فدخل علىٰ أبي الفضل ، فقام له من الدَّست قياماً مستوياً ، وطُرح له كرسيٌ عليه مِخَدَّةُ ديباج ؛ وقال أبو الفضل : كنتُ مشتاقاً إليك يا أبا الطيِّب ، ثم أفاض المتنبي في حديث سفره ، وأنّ غلاماً احتمل سيفاً وشذَّ عنه[1] .

وأخرج من كمِّه عُقَب هذه المفاوضة دَرْجاً فيه قصيدته التي يمدحه فيقول :

بــادٍ هَــواكَ صبــرْتَ أَمْ لَــمْ تَصْبــرا ... وبُكَاكَ إنْ لَمْ يَجْرِ دُمْعُكَ أَوْ جَرىٰ
أَرَجـــانَ أَيَّتُهَـــا الجيـــادُ فـــإنَّـــهُ ... عَزْمي الذي يَذَرُ الوَشيجَ مُكَسَّرا[2]
صُغْـتُ السِّـوَار لأَيِّ كَـفٍّ تبشَّـرتْ ... بـابـنِ العَميـدِ وأَيِّ عَبْـدٍ كَبَّـرا[3]

وبعد إنشاده قصيدته ، فوحىٰ أبو الفضل إلىٰ حاجبه بقرطاسٍ فيه مائتا دينار ، وسيفٍ غشاؤُه فضّة ، وقال : هذا عوضٌ عن السيف المأخوذ ؛ وأفرد له داراً نزلها ، فلما استراح من تعَب السفر كان يغشىٰ أبا الفضل كل يوم ويقول : ما أزورك إكباباً إلاّ لشهوة النظر إليك ! ويؤاكله ، وكان أبو الفضل يقرأ عليه ديوان اللغة الذي جمعه ويتعجب من حفظه وغزارة علمه ، فأظلَّهم النيروز ، فأرسل أبو الفضل بعضَ ندمائه إلىٰ المتنبي : كان يَبلُغني شعرُك بالشام والمغرب ، وما سمعتُه دونه ! فلم يُحِرْ جواباً ، إلىٰ أن حضره النَّيروز وأنشد مهنِّئاً ومعتذِراً فقال :

هل لِعُذري إلىٰ الهمام أبي الفضـ ... ـل قبـولٌ ، سـواد عينـي مـدادُهْ

---

(١) خزانة الأدب ٢/ ٣٥٦ .

(٢) أرجان : بلد بفارس . وهي بلد الممدوح ابن العميد .

(٣) ديوان أبو الطيب ٢/ ٢٧٠ .

مـا تعـوَّدتُ أن أَرىٰ كـأبـي الفضـ ـــل وهــذا الــذي أتــاه اعتيــاده

وحمل إليه أبو الفضل خمسين[١] ألف دينار سوىٰ توابعها ، وهو من أجاود زمانِ الديلم .

وروي أن المتنبي قال بأرَّجان : الملوك قُرود يشبه بعضُهم بعضاً ، علىٰ الْجَودة يعطون[٢] .

أبو الطيب وعضد الدولة ونهاية الشاعر :

هناك عدة روايات حول مقتله منها ، خرج المتنبي من بغداد إلىٰ فارس فمدح عضد الدولة وأقام عنده مُديدة ثم رجع يريد بغداد فَقُتل في الطريق بالقرب من النعمانية في شهر رمضان من سنة أربع وخمسين وثلاثمائة[٣] .

مضىٰ المتنبي من عند ابن العميد إلىٰ عضد الدولة فمدحه ووصله بثلاثين ألف دينار ، وفارقه لىٰ أن يمضي إلىٰ الكوفة يحمل عياله ويجيء معهم إليه ، وسار حتىٰ وصل النعمانية بإزاء قرية تقرب منها يقال لها : بَنُورا ، فوجد أثر خيل هناك فتنسم خبرها ، فإذا خيل قد كمنت له فصادفته لأنه قصدها ، فطعنه طعنة نكس عن فرسه ، فلما سقط إلىٰ الأرض نزلوا فاحتزوا رأسه ذبحاً ، وأخذوا ما كان معه من المال وغيره ، وكان مذهبه أن يحمل ماله معه أين توجه ، وقُتل ابنه معه . . . يوم الاثنين لخمس بقين من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة[٤] . وجاء بأن رجالاً طلبوا منه خمسين درهماً من أجل

---

(١) خزانة الأدب ٢/ ٣٥٧ ـ وجاء في مختصر تاريخ دمشق ٣/ ٥١ ، ٥٢ إنه صار إليه منه ثلاثون ألف دينار .

(٢) خزانة الأدب ٢/ ٣٥٧ .

(٣) تاريخ بغداد ٤/ ١٠٥ . والنعمانية بلدة بين واسط وبغداد ، وبنورا بقربها (معجم البلدان) .

(٤) مختصر تاريخ دمشق ٣/ ٥١ ، ٥٢ .

خفارته ، فمنعه الشحّ والكبر إلىٰ أن حدث معه ما حدث .

وذكر أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي روايات ثلاث[1] حول مقتل المتنبي :

أَحدها : أنه كان معه مال كثير فقتلته العرب لأخذ ماله ، فذكر بعض العلماء أنه وصل إليه من عضد الدولة[2] أكثر من مائتي ألف درهم ، وذلك أنه ارتحل عن شيراز بحسن حال ، وكثرة مال ، ولم يستصحب خفيراً ، فخرج عليه أعراب فحاربهم فَقُتل هو وابنه محمد ، وفتىً من غلمانه ، وفاز الأعراب بأمواله ، وكان قتله بشط دجلة في موضع يعرف بالصافية ، يوم الأربعاء لثلاث بقين من رمضان سنة أربع وخمسين وثلثمائة واسم قاتله : فاتك بن أبي جهل الأسدي .

والثاني : أن سبب قتله : كلمة قالها عن عضد الدولة ، فدس عليه مَنْ قتله .

وذكر مظفر بن علي الكاتب قال : اجتمعت برجلٍ من بني ضبة يكنىٰ : أبا رشيد ، فذكر أنه حضر قتل المتنبي ، وأنه كان صبياً حين راهق حينئذ ، وكان المتنبي قد وفد علىٰ عضد الدولة وهو بشيراز ، ثم صحبه إلىٰ الأهواز فأكرمه ووصله بثلاثة آلاف دينار ، وثلاث كساء ، في كل كسوة سبع قطع ، وثلاثة أفراس بسروج محلاة ، ثم دس عليه مَنْ سأله : أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة بن حمدان ، فقال المتنبي : هذا أجزل ، إلا أنه عطاء متكلف ، وكان سيف الدولة يعطي طبعاً ، فاغتاظ عضد الدولة لما نقل إليه هذا ، وأذن لقوم من بني ضبة في قتله إذا انصرف ، قال : فمضيت مع أبي ، وكنا في ستين راكباً ، فكمنّا في وادٍ فمرَّ في الليل ، ولم يعلم به ، فلما أصبحنا تقفينا أثره فلحقناه ، وقد نزل تحت شجرة كمثرىٰ ، وعندها عين ، وبين يديه سفرة طعام ، فلما رآنا قام ونادىٰ : هلموا وجوه العرب ، فلم يجبه أحد فأحس

---

(١) المنتظم ١٤/ ١٦٥ .

(٢) عضد الدولة بن بُويه الدَّيلمي (وفيات الأعيان ١/ ١٢٢ ، ١٢٣) .

بالداهية ، فركب ومعه ولده وخمسة عشر غلاماً له ، وجمعوا الرجال والجمال والبغال ، فلو ثبت مع الرَّجالة لم يُقدر عليه ، ولكنه برز إلينا يطاردنا ، فَقُتل ولده ، وأُخذ غلمانه ، وانهزم شيئاً يسيراً ، فقال له غلام له : أين قولك ؟

الخيـل والليـل والبيـداء تعـرفنـي   والحرب والضرب والقرطاس والقلم

فقال له : قتلتني قتلك الله ، والله لا انهزمت اليوم ، ثم رجع كاراً علينا فطعن زعيمنا في عنقه فقتله ، واختلفت عليه الرماح فَقُتل ، فرجعنا إلىٰ الغنائم وكنت جائعاً فلم يكن لي هم إلا السفرة ، فأخذت آكل منها ، فجاء أبي فضربني بالسوط ، وقال : الناس في الغنائم وأنت مع بطنك ؟ أكفأ ما في الصحاف ، وأعطنيها ، فكفأت ما فيها ودفعتها إليه ، وكانت فضة ، ورميت بالدجاج والفراخ في حجرتي[1] .

الثالث : أن المتنبي هجم علىٰ ضبَّة الأسدي فقال :

ما أنصف القوم ضبة وأمه الطرطبَّه

فبلغته فأقام له في الطريق مَنْ قتله ، وقتل ولده ، وأخذ ما معه ، وكان ضبة يقطع الطريق[2] .

ومن مدحه لعضد الدولة :

فَقُلْـتُ إذا رأيـتُ أَبَـا شُجـاعٍ   سَلَـوْتُ عـن العِبـادِ وذا المكـانِ[3]
بعضـد الـدَّولـةِ امْتَنَعَـتْ وعَـزَّتْ   وليـسَ لغيـرِ ذِي عَضُـدٍ يـدانِ[4]

وقال أيضاً :

---

(١) المنتظم ١٤/١٦٦ ، ١٦٧ .
(٢) المنتظم ١٤/١٦٧ . وانظر قصة قتله أيضاً في كتاب قبيلة ضبة في الجاهلية والإسلام ١١٦ لمؤلف هذا الكتاب عبد القادر فياض حرفوش .
(٣) أبو شجاع هو عضد الدولة .
(٤) ديوان لاشاعر ٤/ ٣٩٠ .

أَبــا شُجــاعٍ بِفــارسٍ عَضُــدَ الــ ـــدّولـةِ فَنَّــاخُسْــرو شَهَنْشــاهــا
وَقَــدْ رأَيْــتُ المُلــوكَ قــاطبــةً وَسِــرْتُ حتَّــىٰ رَأَيــتُ مــولاهــا[١]

المتنبي في رسالة الغفران :

رسالة ابن القارح إلىٰ المعري :

حَبس المُتنبي في بغداد :

حكىٰ القُطرُّبلي وابن أبي الأزهر[٢] : أن المتنبي أُخرج ببغداد من الحبس إلىٰ مجلس أبي الحسن علي بن عيسىٰ الوزير[٣] رحمه الله فقال له :

أنت أحمدُ المتنبي ؟ .

فقال : أنا أحمدُ النبيّ ، وكشف عن بطنه فأراه سلعة[٤] فيه وقال : هذا طابع نُبُوّتي وعلامة رسالتي ! .

فأمر بقلع جَمْشكهِ[٥] وصفعه به خمسين ، وأعاده إلىٰ مَحْبسه .

ويقول ابن القارح : ولكني أغتاظ علىٰ الزنادقة والمُلحدين الذين يتلاعبون بالدّين ، ويرومون إدخال الشُّبَه والشكوك علىٰ المسلمين ، ويستعذبون القدحَ في نبوة النّبيين ﷺ أجمعين ويتطرفون[٦] ويبتدئون إعجاباً بذلك المذهب :

---

(١) ديوان الشاعر ٤/ ٤٠٤ .
(٢) القطربلي : هو أبو الحسن أحمد بن عبد الله من أفاضل الكتاب . أبو الأزهر : هو أبو بكر محمد بن أحمد الخزاعي ، نحوي ، وراوية أخبار .
(٣) كان وزيراً للمقتدر العباسي .
(٤) السلعة في الجلد : آثار النار فيه والبرص .
(٥) جمشكه : خفه ، فارسية معربة .
(٦) يتطرفون : يتكلفون الظرافة ، والظرف : الكياسة ، والذكاء ، والحذق .

تيـــهُ مُغَـــنّ وظَـــرْفُ زِنـــديـــقٍ[1]

ورد أبو العلاء المعري علىٰ رسالة ابن القارح فيقول :

وأمّا ما ذكره من حكاية القُطرُّبلي ، وابن أبي الأزهر ، فقد يجوز مثله وما وضّح أن ذلك الرجل[2] حُبس بالعراق ، فأمّا بالشّام فَحبسُهُ مشهور ، وَحُدّثْتُ أنّه كان إذا سُئل عن حقيقة هذا اللّقب ، قال : هو من النَّبْوَّة ، أي المرتفع من الأرض ، وقد كان طمع في شيء قد طمع فيه من هو دونه ، وإنما هي مَقاديرُ ، يُديرها في العُلو مُديرٌ ، يَظفرُ بها من وُفّقَ ، ولا يُراعُ بالمُجتهِدِ أن يُخفق ، وقد دَلّتْ أشياءُ في ديوانه أنّه كان مُتألِّهاً ، ومِثلَ غيره من النّاس مُتَدَلِّهاً فمن ذلك قوله :

ولا قـــابـــلاً إلاّ لخـــالقـــهِ حُكْمـــا

قوله :

مـــا أقْـــدَرَ الله أن يُخْـــزي بَـــريَّتَـــهُ ولا يُصَـــدِّقَ قَـــوْمـــاً فـــي الـــذي زَعَمـــوا

وإذا رُجع إلىٰ الحقائق ، فَنُطْقُ اللّسان لا يُنبئ عن اعتقاد الإنسان ، لأنّ العالم مجبولٌ علىٰ الكذب والنِّفاق ، ويُحتملُ أن يُظهِرَ الرّجُلُ بالقولِ تَدَيُّناً وإنّما يجعلُ ذلك تزَيُّناً ، يُريدُ أن يصل به إلىٰ ثناء أو غرض من أغراض الخالية[3] أُمِّ الفناء ، ولعَلّهُ قد ذهب جماعةٌ هم في الظاهر مُتعبدون ، وفيما يَظنَ مُلحدون[4] .

معجزات المتنبي :

ذُكرت بعض الحوادث التي وقعت مع المتنبي حينذاك وسميت بالمعجزات،

---

(١) الزندقة : الكفر باطناً مع التظاهر بالإيمان . (رسالة الغفران ٢٢٥) .
(٢) أراد بالرجل : المتنبي .
(٣) الخالية : الدنيا الخادعة .
(٤) رسالة الغفران ٢٨٦ .

وأعتقد أنها لا تمت إلىٰ النُّبوة ولا إلىٰ معجزاتها بشيء ، مثلاً كامتطائه ظهر ناقة صعبة ، أو كتفله علىٰ جرحٍ فشفىٰ ، وتنبأ بموت كلب نبح عليه فمات ، وسأذكر هذه الحوادث كما وردت .

روىٰ أبو العلاء المعري في رسالة الغفران : وحدّثني الثّقةُ عنه حديثاً معناه أنّه لمّا حصل في بني عدي وحاول أن يخرج فيهم ، قالوا له وقد تبيّنوا دعواه ، هاهُنا ناقةٌ صَعبةٌ ، فإن قَدرتَ علىٰ رُكوبها أقررنا أنّك مُرسَلٌ ، وأنّه مضىٰ إلىٰ تلك النّاقة وهي رائحةٌ في الإبل ، فَتَحَيّلَ حتىٰ وثب علىٰ ظهرها ، فَنفرتْ ساعة وتنكرتْ بُرْهةً ، ثمّ سكن نفارُها وَمشتْ مشي المُسمِحة[1] ؛ وأنّه ورد بها الحِلّة[2] وهو راكبٌ عليها ، فعجبوا له كلّ العَجَب ، وصار ذلك من دلائله عندهم .

وحُدثْتُ أيضاً أنّه كان في ديوان اللاّذقيّة ، وأنّ بعض الكتّاب انقلبت علىٰ يده سكّينُ الأقلام بجرحَتْه جُرْحاً مُفرِطاً ، وأن أبا الطيّب تَفَلَ عليها من رِيقهِ ، وشَدّها غير منتظرٍ لوَقته ، وقال للمجروح : لا تحُلّها في يومك . وعَدّ له أيّاماً وليالي ؛ وأن ذلك الكاتب قَبِلَ منه ، فبرئَ الجرحُ ، فصاروا يعتقدون في أبي الطيّب أعظم اعتقاد ، ويقولون : هي كمحيي الأموات .

وحدّث رجلٌ ، كان أبو الطيب قد استخفىٰ عنده في اللاّذقيّة أو في غيرها من السّواحل ، أنّه اراد الانتقال من موضع إلىٰ موضع ، فخرج بالليل ومعه ذلك الرّجلُ ، ولقيهما كلبٌ ألَحّ عليهما في النُّباح ثم انصرف ، فقال أبو الطيّب لذلك الرجل وهو عائدٌ : إنّك ستَجدُ ذلك الكلبَ قد مات ، فلما عاد الرجل ألفىٰ الأمر علىٰ ما ذكَر .

ويأتي تعليق المعري علىٰ ذلك : ولا يمتنعُ أن يكون أعدّ له شيئاً من

---

(١) المُسمحة : اللينة بعد الاستصعاب .

(٢) الحلة : موضع بالعراق ، ومحلة القوم .

المَطاعمِ مَسموماً وألقاهُ وهو يُخفي عن صاحبه ما فعلَ . والخَرْبَقُ[1] سُمُّ الكلابِ معروف[2] .

في العصر العباسي خاصة كثُرت ادعاءات النبوة أو الألوهية ، وكان مدعوها من العنصر الأعجمي في غالبيتهم ولهم في ذلك مآرب شتىٰ ، ومثل ذلك قيل حول الشاعر أبو الطيب بأنه ادعىٰ النُّبوة وأتىٰ بالمعجزات ، ولو كان صاحب معجزات لاستطاع فكاك نفسه من السجن ، أو تحطيم القيود التي غلت في يديه ورجليه وعنقه ، وهناك اختلافات في الرأي بين الباحثين الذين تناولوا جوانب عديدة من حياة المتنبي ، منهم من ينفي عنه ذلك ، ومنهم يؤكد ، ومنهم من يبرر أنه ربما أشياء كانت في حداثته كما قال هو ، ومن الشعر الذي قاله هو عن نفسه وهو في السجن ، والذي قاله الضبي يتهمه بادعاء النُّبوة ، وشواهد كثيرة مرت معنا ، يظهر أن الرجل ادعىٰ النُّبوة فترة قصيرة ولما جُوبه مجابهة شديدة تراجع ، وفي كل الحالات فإن أبا الطيب المتنبي عندما أُغتيل كان خسارة للأدب العربي عامة وللشعر خاصة ، فهو الشاعر العربي مالئ الدنيا وشاغل الناس .

وقال ابن لنكك في هجاء المتنبي لادعائه النبوة :

مــــا أوقـــع المتنبـــي فيمـــا حكـــىٰ وادّعــــاهُ
إن ذاكَ نبيّـــــــــــــاً فـــالجـــاثليـــق إلاهُ

وقال عنه كافور :

« هذا رجل أراد أن يكون نبيّاً بعد محمد ﷺ فهلاّ يروم أن يكون ملكاً بمصر ؟ »[3] .

---

(١) الخربق : جنس زهر ورقة كلسان الحمل أبيض وأسود وهم سم الكلاب والخنازير ، وأما للناس فالأبيض منه يقيء ، والأسود يسهل المعدة .

(٢) رسالة الغفران ٢٨٩ ، ٢٩٠ .

(٣) بدائع الزهور ١/ ١٨٢ .

إن طموحات المتنبي لم تتوقف عند حدود شاعريته الفذة التي وضعته في مقدمة شعراء عصره ، بل كانت تدفعه إلىٰ أن يكون من أصحاب الأمر والنهي في الدولة ، ولم تتحقق له هذه الأمنية في ظل حكم سيف الدولة الذي تعامل معه كشاعر من شعرائه .

وغادر المتنبي بلاط سيف الدولة بإذن منه يطلب الجاه والسلطان في مصر ، وفيها حصل علىٰ المال ، ولم ينال ما يحقق رغباته أن يجلس علىٰ كرسي الحكم .

مدح كافوراً علىٰ أمل ، وهجاه عندما باءت آماله ومطالبه بالفشل وغادر مصر هارباً من غضب كافور ، مدحه فتزلف له وهجاه هجاءاً مُرّاً ومقذعاً فأساء له .

إنهم الشعراء كانوا يتساقطون علىٰ مراكز المال والنفوذ ، لا يسلم من سلاطة ألسنتهم إلاّ من ملأ جيوبهم أو خافوا بطشه وجبروته .

والسؤال الذي يطرح نفسه كيف تخلىٰ سيف الدولة عن شاعر مثل المتنبي ؟ .

إن سيف الدولة لم يتخل عن المتنبي لأمر هين أو سهل ، ربما ضجر منه لكثرة مطالبه وهذا سبب أمام السبب الآخر هو توجيه التهم إلىٰ المتنبي في مجلس سيف الدولة بادعائه النُّبوة وهذا هو السبب الأهم ، وقد يكون تنافس الشعراء وحسدهم لبعضهم ، شوه صورة المتنبي في بلاط سيف الدولة ، وهذا كله مجرد احتمالات . [تعليق المؤلف عبد القادر حرفوش].

* * *

البابا(*) التركماني

في سنة (٦٣٨هـ) ظهر رجل تُركماني يقال له : البابا وادّعىٰ النُّبوَّة وكان يقول قولوا : لا إله إلا الله البابا وليُّ الله ، واجتمع إليه خلقٌ كثير ؛ فجهَّز إليه صاحب الروم جيشاً فالتقوا ، فَقُتل بينهم أربعة آلاف ، وقُتل البابا المذكور[1] .

* * *

(١) النجوم الزاهرة ٦/ ٣٣٩ ـ ولم ترد تفاصيل أكثر من ذلك ، ولم أعثر له علىٰ ترجمة بين المصادر المتوفرة لدي .

(٢) المصدر السابق نفسه .

بَابَك(*) الخُرَّمي

نشأة بابك :

روي عن رجل من الصعاليك يقال له : مطران ، قال : بابك ابني ؟ .

فقيل له كيف ؟ .

قال : كانت أمه تخدمني وتغسل ثيابي ، فوقعت يوماً عليها ، ثم غبنا عنها ، ثم قدمنا ، فإذا هي تطلبني ، فقالت : حين ملأت بطني تركتني ، فقلت لها : والله لئن ذكرتيني لأقتلنك ، فسكتت فهو والله ابني(١) .

وذكر بعض المؤرخين أن أم بابك كانت عجوزاً فقيرة في قرية من قرىٰ الأدعان فشغف بها رجل من النبط في السواد يقال له : عبد الله بن محمد بن منبه فحملت منه ، وَقُتل الرجل ، وبابك حمل فَوضَعَتهُ وجعلت تكتسب له إلىٰ أن بلغ ، وصار أجيراً لأهل قريته علىٰ سرحهم بطعامه وكسوته ، وكان في تلك الجبال من الخُرَّمية قوم وعليهم رئيسان يتكافحان ، يقال لأحدهما جاوندان ، والآخر عمران ، فمرَّ جاوندان بقرية بابك ، فتفرّس فيه الجلادة ، فاستأجره من أمه ، وحمله إلىٰ ناحيته فمالت إليه امرأته وعشقته ، وأفشت إليه أسرار زوجها وأطلعته علىٰ دفائنه ، فلم يلبث إلا قليلاً حتىٰ وقعت بين جاوندان وعمران حرب ، فأصابت جاوندان جراحة فمات منها ، فزعمت امرأة جاوندان أنه قد استخلف بابك علىٰ أمره ، فصدقوها فجمع بابك أصحابه وأمرهم أن يقوموا

(*) تاريخ الطبري ٨/٥٥٦ ، ٩/١١ ، ١٢ ، ١٤ ، الكامل في التاريخ ٦/٣٢٨ ، ٤٧٧ ، ٥١٠ ، المنتظم ١٠/١٠٠ ، ١١/٥١ رسالة الغفران ٣٤٠ . وبابك زعيم فرقة الخرمية قُتل سنة (٢٢٣هـ ، ٨٣٨م) .

(١) الطبري ٩/٥٤ ، والمنتظم ١١/٥١ ، ٥٢ .

بالليل وأن يقتلوا من لقوا من رجل أو صبي فأصبح الناس قتلىٰ ، لا يدرون من قتلهم ، ثم انضوىٰ الذُّعار وقُطَّاع الطريق وأَرباب الزيغ ، حتىٰ اجتمع إليه جمع كثير ، واحتوىٰ علىٰ مدن وقرىٰ ، وقتل ، ومثَّل ، وحرق ، وانهمك في الفساد ، وكان يستبيح المحظورات ، وكان من رؤساء الباطنية[١] .

ظهور بابك الخرمي :

في سنة إحدىٰ ومائتين للهجرة كان ظهور بابك بناحية أذربيجان ، وتحرّك في الجاويدانية أصحاب جاويدان بن سهل ، صاحب البذّ ، وادعىٰ أن روح جاويدان دخلت فيه ، وأخذ في العَيْث والفساد .

وتفسير جاويدان : الدائم الباقي ، ومعنىٰ خُرَّم : فَرْج ، وهي مقالات المَجُوس ، والرجل منهم ينكح أُمه ، وأُخته ، وابنته ، ولهذا يُسمُّونه دين الفَرْج ، ويعتقدون مذهب التناسخ ، وأن الأرواح تنتقل من حيوان إلىٰ غيره[٢] .

كان ظهوره سنة (٢٠١هـ) وقام بصدامات كثيرة دامية مع السلطة خلال ربع قرن من الزمن وكان جميع مَنْ قتل بابك الخرمي في عشرين سنة مائتي ألف وخمسة وخمسين ألفاً وخمسمائة إنسان . وكان الذين أُسروا مع بابك ثلاثة آلاف وثلاثمائة وتسعة أُناسي ، واسْتُنقذ ممّنْ كان في يده من المسلمات وأولادهن سبعة آلاف وستمائة إنسان[٣] .

وكان إذا علم عند أحداً بنتاً جميلة ، أو أختاً طلبها منه ، فإذا بعثها إليه ، وإلاّ بيته وأخذها[٤] . أي إذا رفض تزوجها عنوة .

---

(١) الطبري ٩/٥٤ ، والمنتظم ١١/٥١ ، ٥٢ .

(٢) المنتظم ١١/٥٢ .

(٣) الكامل في التاريخ ٦/٣٢٨ والمنتظم ١١/٥٢ .

(٤) الكامل في التاريخ ٦/٣٢٨ والمنتظم ١١/٥٢ .

وفي زمن الخليفة المعتصم سنة ثلاث وعشرين ومائتين تمكن الجيش العباسي بقيادة الأفشين[١] بعد سنين طويلة من القتال من أسره وشقيقه عبد الله، وجرىٰ قتلهما بعد احضارهما من بلاد فارس ، وأشرف علىٰ ذلك المعتصم بنفسه[٢] .

رأي أبو العلاء المعري في بابك الخُرَّمي :

وبابك فتح باب الطُّغيان ، وَوُجِدَ من شِرار الرُّعيان ، وأظنّ جهادَه ، عليه التَّبَارُ[٣] ، أفضلَ جهادٍ عُرِف وذَنْبَهُ أكبر ذنبٍ أُقتُرف ، ولعلّه يَوَدّ في الآخرة أنّه ذُبح عن من قُتِلَ في عِدّانه[٤] ، مائَةَ مَرّةٍ في نهلٍ[٥] مِدّانِه ، ثمّ خَلُصَ من العذابِ المطبَق ، واستَنْقَذَ عُنُقَهُ من الرِّبَق[٦] .

الخُرَّمية :

فهؤلاء صِنْفان منهم كانوا قبل دولة الإسلام كالمزدكية الذين استباحوا المحرمات وزعموا أن الناس شركاء في الأموال والنساء ودامت فتنة هؤلاء إلىٰ أن قتلهم أنوشروان في زمانه .

والصنف الثاني خرمدينية ظهروا في دولة الإسلام وهم فريقان بابكية ومازيارية وكلتاهما معروفة بالمحمرة . والبابكية هم أتباع بابك الخُرَّمي[٧] .

---

(١) المنتظم ١١/٥٢ .

(٢) تشير بعض الروايات التاريخية أن الأفشين كان متعاطفاً مع بابك ، وكان يعتنق المجوسية ، وقتل بعد ذلك .

الكامل في التاريخ ٦/٣٢٨ .

(٣) التبار : الهلاك .

(٤) عدانه : زمانه .

(٥) النهل : أول الشراب . مدانه : ماؤه الشديد الملوحة .

(٦) الربق : واحدتها ربقه : وهي العروة في الحبل . (رسالة الغفران ٣٤٠) . بابك بن بهرام الخرّمي .

(٧) الفرق بين الفرق ٢٥١ . وذكره الحزي ثم ذكره الخرمي . والصواب الخرمي .

وذكر أصحاب التواريخ أن دعوة الباطنية ظهرت أولاً في زمن المأمون وانتشرت في زمان المعتصم . وذكروا أنه دخل في دعوتهم الأفشين صاحب جيش المعتصم وكان مُداهناً لبابك الخُرَّمي ، وكان الخرمي مُستعصياً بناحية البدين وكان أَهل جبلة خُرَّمية علىٰ طريق المزدكية فصارت الخُرَّمية مع الباطنية يداً واحدة .

واجتمع مع بابك من البدين وممن انضم إليهم من الديلم مقدار ثلثمائة ألف رجل .

وأخرج الخليفة لقتالهم الأفشين[1] فظنه ناصحاً للمسلمين وكان في سره مع بابك وتوانىٰ في القتال معه ودله علىٰ عورات المسلمين وقتل الكثير منهم .

ثم لحقت الأمداد بالأفشين ، ولحق به محمد بن يوسف الثغري وأبو دُلَف القسم بن عيسىٰ العجلي ولحق به بعد ذلك قواد عبد الله بن طاهر واشتدت شوكة البابكية والقرامطة علىٰ عسكر المسلمين حتىٰ بنوا لأنفسهم البلدة المعروفة ببيرزند خوفاً من بيان البابكية ودامت الحرب بين الفريقين سنين كثيرة إلىٰ أن أظفر الله المسلمين بالبابكية فأُسر بابك وصلب بسر من رأىٰ سنة ثلاث وعشرين ومائتين ثم أُخذ أخوه إسحاق وصُلب ببغداد مع المازيار وصاحب المحمرة بطبرستان وجرجان .

ولما قتل بابك ظهر للخليفة غدر الأفشين وخيانته للمسلمين في حروبه مع بابك فأمر بقتله وصلبه فصُلب لذلك . وذكر أصحاب التواريخ أن الذين وضعوا أساس دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس وكانوا مائلين إلىٰ دين أسلافهم[2] .

---

(١) جاء في الكامل في التاريخ ٦/٤٤٦ في هذه السنة (٢٢٠هـ) عقد المعتصم للأفشين حَيْدر بن كاوُس علىٰ الجبال ووجهه لحرب بابك فسار إليه وكان ابتداء خروج بابك سنة (٢٠١هـ) فكانت مدينته البَذّ .

(٢) الفرق بين الفرق ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

وللبابكية في جبلهم ليلة عيد لهم يجتمعون فيها علىٰ الخمر والزمر وتختلط فيها رجالهم ونساؤهم فإذا أطفئت سرجهم ونيرانهم افتض فيها الرجال النساء علىٰ تقدير من عِزّ بزّ .

والبابكية ينسبون أصل دينهم إلىٰ أمير كان لهم في الجاهلية اسمه شروين .

ويزعمون أن أباه كان من الزنج وأُمه بعض بنات ملوك الفرس .

ويزعمون أن شروين كان أفضل من محمد ﷺ ومن سائر الأنبياء ، وقد بنوا في جبلهم مساجد للمسلمين يؤذن فيها المسلمون وهم يعلمون أولادهم القرآن لكنهم لا يصلون في السر ولا يصومون في شهر رمضان ولا يرون جهاد الكفرة(١) .

* * *

(١) المصدر السابق نفسه ٢٥٢ .

نبوة أبي جوف(*)

قال أبو العلاء المعري :

وقَدْ ظَهَرَ في الضيّعةِ المعروفة بالنَّيرَبِ المقاربة لسرمينَ[1] رجلٌ يُعرَفُ بأبي جوف ، لا يَستترُ من الجهل بحَوْف ؛ والحوفُ أُزيِّرٌ من أَدَمٍ مُشَقَّقُ الأطراف السّافلة تتزرُ به الجاريةُ وهي صغيرة ، وكان يَدّعي النّبوّةَ ، ويُخبرُ بأخبارٍ مُضحِكة ، وتَثبُتُ نيّتُهُ علىٰ ذلك ثباتَ المَحَكة[2] ، وكان له قُطنٌ في بيتٍ فقال : إنّ قُطني لا يحترقُ ! وأمر ابنه أن يُدنيَ سراجاً إليه ، فأخذ في العُطبِ[3] ، وصرخت النِّساء ، واجتمعت الجيرةُ ، وإنّما الغرضُ إطفاء !.

وحدّثني مَن شاهدَ ، أنّه كان يُكثرُ الضّحكَ بغير موجب ، ولا عندَ حدَثٍ معجبٍ ، فقيلَ له : ممّ تَضحك ؟.

فقال كلاماً معناه : إنّ الإنسانَ ليَفرَحُ بهَيْنٍ قليل ، فكيف من وصلَ إلىٰ العطاء الجليل ؟ وكان بيّنَ الجنونِ ، ليس خَبْلُه بالمكنون ، فاتّبعه الأغبياءُ ، وكذّبَ ما يقوله الأنبياءُ ، حتىٰ قتَلَهُ والي حلبَ ، حرسها الله ، وذلك بعدَ مقتل البطريق المعروف بالدَّوْقَس[4] في بلدِ أفامية[5] ، وكان الذي حَثّ على قتله جيشُ بنُ محمد بن صَمْصَامة[6] لأن خبرَه رُقي إليه ، فأرسل إلىٰ سلطان حلب ، حرسها الله ، يقول : اقتلْهُ وإلاّ أنفذتُ إليه من يَقتُلُه ، وكان السّلطانُ يتَهاونُ به لأنّه حقير ، ورُبّ شاةٍ نَتجَ منها الوَقير ، أي قطيعُ الغَنَم .

(*) رسالة الغفران ٣٤٤ .

(١) النيرب وسرمين : من أعمال حلب .

(٢) المحكة ، الواحد محك : المشار ، المنازع في الكلام ، المتمادي في اللجاجة .

(٣) العطب : القطن .

(٤) الدوقس : أحد بطارقة الروم ، نزل علىٰ حصن أفامية ، قتله كردي غيلة سنة ٣٨٦هـ .

(٥) أفامية : بلدة قديمة في سوريا في وادي العاصي دمرتها الزلازل سنة ١١٥٢م وتعرف اليوم بقلعة المضيق .

(٦) جيش بن محمد بن صمصامة : قائد مشهور ولي إمرة دمشق لصاحب مصر ، وهو الذي حارب الدوقس ، مات سنة ٣٩٠هـ .

مَنْصورُ الصّناديقي (*)

ربوبيّةُ الصّناديقي :

وأمّا المنسوب إلىٰ الصّناديق[١] ، فإنّه يُحسَبُ من الزّناديق . وأحسبُه الذي كان يُعرَفُ بالمَنْصور ، ظَهَر سنة سَبعينَ ومائتين ، وأقام بُرهة باليمن[٢] .

والصناديقي في اليمن ، كانت جيوشُه بالمُدَيخِرَةِ وسَفْهَنَةَ[٣] وخوطبَ برَبِّ العزّة ، وكوتِبَ بها ، فكانت له دارُ إفاضة يَجمعُ إليها نِساء البَلْدَةِ كُلَّها ويُدخِلُ الرّجال عليهن ليلاً .

قال من يُوثقُ بخبره : دخَلْتُ إليها لأنظُرَ ، فسمعتُ امرأةً تقول : يا بُنيّ ! فقال : يا أُمّهْ نريدُ أن نُمْضي أمرَ وَليّ اللهِ فينا .

وكان يقول : إذا فَعَلتم هذا لم يَتَمَيّزْ مالٌ عن مالٍ ولا ولَدٌ عن ولَد ، فتكونوا كنفسٍ واحدة . فغزاه الحَسَنيُّ[٤] من صنعاء فهزَمَه ، وتَحصّنَ منه في حصنٍ هناك فأنفذ إليه الحَسَنيُّ طبيباً بِمبضَعٍ مَسمُومٍ ، فَفَصَدَهُ به فقتله[٥] .

وفي زمانه كانت القيانُ تلعَبُ بالدُّفِّ وتقول :

خُذي الدُّفّ يا هَذه والْعَبي ⠀⠀ وبُثّي فَضائلَ هذا النَّبي

(*) رسالة الغفران ٢٢٧ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ .

(١) المنسوب إلىٰ الصناديق : هو الصناديقي زنديق ظهر سنة (٢٧٠هـ) وعرف بالمنصور ، وأقام زمناً باليمن وقال قوم بألوهيته .

(٢) رسالة الغفران ٣٠٠ .

(٣) المدبخرة وسفهنة من مدن اليمن .

(٤) الحسني : قائد يمني كان في القرن الثالث للهجرة .

(٥) المصدر السابق نفسه ٢٢٧ .

تَـوَلَّـىٰ نَبـيُّ بَنـي هـاشـمٍ وقـامَ نَبـيُّ بنـي يَعْـرُبِ

فمـا نَبْتَغـي السَّعْـيَ عنـدَ الصَّفـاء ولا زَوْرَةَ القبـرِ فـي يَثـرِبِ

إذا القَـوْمُ ضلّـوا فـلا تَنْهَضـي وإن صَـوّمـوا ، فكُلـي واشـرَبـي

ولا تحـرِمـي نَفسَـكِ المُـؤمنيـنَ مِـنْ أقـرَبيـنَ ومـنْ أجنَبـي

فكَيـفَ حلَلـتِ لـذاكَ الغـريـبِ وصِـرْتِ مُحَـرَّمَـةً لـلأب ؟

أَلَيـسَ الغِـراسُ لِمَـنْ رَبَّـهُ ورَوّاهُ فـي عـامِـهِ المُجْـدِبِ ؟[1]

ومـا الخَمـرُ إلّا كمـاءِ السَّحـا بِ طِلْـقٌ فقُـدِّسـتَ مـن مـذهـبِ[2]

فعلىٰ مُعتقَدِ هذه المقالة بَهْلةُ المُبتهِلين[3] .

وهي الطبقةُ ، لعنَها اللهُ ، نَستَعبِدُ الطَّغام[4] بأصنافٍ مُختَلفةٍ ، فإذا طمعت في دعوىٰ الرُّبوبيّة لم تتئبْ[5] في الدّعوىٰ ، ولا لها عَمّا قَبُحَ رَعْوىٰ[6] ، وإذا عَلِمَتْ أنّ في الإنسان تَمَيُّزاً ، أرَتْهُ إلىٰ ما يحسُن تحيُّزاً[7] .

لقد أورد أبو العلاء المعري نقداً لاذعاً للصناديقي الذي أراد هدم بنيان المجتمع اليمني خاصة وتقويض أُسس الإسلام التي قام عليها .

فهو يدعو إلىٰ الإباحية المطلقة ، ويحل للأب أن ينكح ابنته . . . إلخ . دعوة صريحة إلىٰ مجتمع البهائم التي لا تعقل ولا تميز .

ربما مثل هؤلاء الذين عشقوا الفوضىٰ اللاأخلاقية عاشوا عقداً كثيرة في حياتهم ، وامتلأت نفوسهم حقداً وكراهية علىٰ غيرهم ، فوجدوا من شاكلتهم

---

(١) ربه : ملكه ، ساسه ، أصلحه .

(٢) الطلق ، بكسر الطاء : الحلال المطلق .

(٣) البهلة : اللعنة .

(٤) الطغام : أوغاد الناس .

(٥) تتئب : تستحي .

(٦) الرعوىٰ : الرجوع عن الجهل .

(٧) المصدر السابق نفسه ٣٠٠ ، ٣٠١ .

من يحمل معهم عبء أمرهم فعاثوا فساداً في البلاد ، وأرهبوا العباد ، وقاتلوا الجيوش وانتصروا واندحروا ، وكانت نهايتهم مزرية بعد أن تكاتف الشعب والجيش في تلك الأيام الغابرة ، فهزموا شر هزيمة ، وكانت الخسائر فادحة .

إن مثل هؤلاء هم معاول هدم للمجتمع العربي خاصة ، والإنساني عامة ، لأن دستورهم في الحياة مبتذل ورخيص وكريه .

إن المجتمعات أينما وجدت عربية كانت أم أجنبية تطمح في بناء الأسرة الفاضلة المحصنة بالعلم والأخلاق والتي تشد أواصرها روابط المودة . لتكون أساس مجتمع قوي متماسك يحلم ببناء وطن قوي وأمة تتطلع لأن تأخذ مكانتها تحت الشمس وتكون فاعلة في الميادين كافة[١] .

* * *

---

(١) تعليق المؤلف عبد القادر فياض حرفوش .

الأَصْفَرُ(*) التَّغْلبيُّ

في سنة تسع وثلاثين وأربعمائة ظهر الأصفَرُ التَّغلبيُّ برأس عينٍ[1] ، وادَّعىٰ أنه من المذكورين في الكتب ، واسْتغوىٰ قوماً بمخاريق وضعها ، وجمع جمعاً وغزا نواحي الروم ، فظفر وغنم وعاد ، وظهر حديثه ، وقوي ناموسه ، وعاودوا الغزْوَ في عدد أكثر من العدد الأوّل ، ودخل نواحي الروم وأوغل ، وغنم أضعاف ما غنمه أوّلاً ، حتىٰ بيعت الجارية الجميلة بالثمن البخس .

وتسامع الناس به فقصدوه ، وكثر جمعه ، واشتدت شوكته ، وثَقُلت علىٰ الروم وطأتُه . فأرسل ملك الروم إلىٰ نصر الدولة بن مروان يقول له : إنّك عالمٌ بما بيننا من الموادعة ، وقد فعل هذا الرجل هذه الأفاعيل ، فإن كنت قد رجعت عن المهادنة فعرّفنا لندبّر أمرنا بحسبه .

واتفق ، في ذلك الوقت ، أن وصل رسول من الأصفر إلىٰ نصر الدولة أيضاً ـ ينكر عليه ترك الغزو والميل إلىٰ الدَّعة ، فساءه ذلك أيضاً ، واستدعىٰ قوماً من بني نُمير وقال لهم : إن هذا الرجل قد أثار الروم علينا ، ولا قدرة لنا عليهم ؛ وبذل لهم بذلاً علىٰ الفتك به ، فساروا إليه ، فقرّبهم ، ولازموه ،

(*) الكامل في التاريخ ٩/ ٥٤٠ ، ٥٤١ ، البداية والنهاية ١٥/ ٧٠٢ ، المنتظم ١٥/ ٣٠٨ .

(١) رَأسُ عَيْنٍ : وهي مدينة كبيرة مشهورة من مُدُن الجزيرة بين حَرّان ونصيبين ودُنيسر ، وبينها وبين نصيبين خمسة عشر فرسخاً وقريب من ذلك بينها وبين حَرّان ، وهي إلىٰ دنيسر أقرب بينهما نحو عشرة فراسخ . (معجم البلدان ٣/ ١٥) .

فركب يوماً غير متحرز ، فأبعدوهم معه ، فعطفوا عنه وأخذوه وحملوه إلىٰ نصر الدولة بن مروان[(١)] ، فاعتقله ، وتلافىٰ أمر الروم[(٢)] .

* * *

---

(١) جاء في البداية والنهاية ١٥/ ٧٠٢ : واتَّفَقَ أنه أُسِر وحُمل إلىٰ نصر الدولة بن مَرْوان صاحب ديار بكرٍ فاعْتَقَله وسدَّ عليه باب السجن . وفي المنتظم ١٥/ ٣٠٨ : وظفر بنو نمير بأصفر الغازي سنة (٤٣٩هـ) وكان قد أوغل في بلاد الروم فَسُلم إلىٰ ابن مروان فسد عليه برجاً من أبراج آمد .

(٢) الكامل في التاريخ ٩/ ٥٤٠ ، ٥٤١ .

ـ وانظر ترجمته في قبيلة تغلب في الجاهلية والإسلام ٥١٩ . لمؤلف هذا الكتاب عبد القادر فياض حرفوش .

وجاء في حاشيته . وهناك ترجمة إلىٰ أحمد بن الحسين الجزوي التغلبي المعروف بالأصفر ، دخل حلب سنة (٣٩٥هـ) واعتقل في قلعة حلب (٤٠٦هـ) بينما ظهر صاحب هذه الترجمة في سنة (٤٣٩هـ) .

المُقَنَّع(*) بخراسان = القصار الأعور

في سنة تسع وخمسين ومائة للهجرة وفي عهد الخليفة المهدي العباسي ، ظهر المُقَنَّع بخراسان وكان رجلاً أعوراً قصيراً ، من أهل مرو ، ويسمّىٰ حكيماً(١) ، وكان اتخذ وجهاً من ذهب فجعله علىٰ وجهه لئلاّ يُرىٰ ، فَسُمّىٰ المُقَنَّع وادّعىٰ الألوهية ، ولم يُظْهر ذلك إلىٰ جميع أصحابه ، وكان يقول : إنّ الله خلق آدم ، فتحوّل في صورته ، ثمّ في صورة نوح ، وهكذا هلُمّ جرّاً إلىٰ أبي مُسلم الخُرساني ثم تحوّل إلىٰ هاشم ، وهاشم ، في دعواه ، هو المقنَّع ، ويقول بالتناسخ ، وتابعه خَلق من ضُلاّل النّاس وكانوا يسجدون له من أيّ النواحي كانوا ، وكانوا يقولون في الحرب : أي هاشم أعِنّا واجتمع عليه خلق كثير وتحصنوا في قلعة بسنام ، وسنجردة ، وهي من رساتيق كِشّ(٢) ، وظهرت المُبَيِّضة ببخارىٰ والصُّغد معاونين له ، وأعانه كفّار الأتراك ، وأغاروا علىٰ أموال المسلمين . وكان يعتقد أنّ أبا مسلم أفضلُ من النبيّ ﷺ وكان ينكر قتل يحيىٰ بن زيد ، وادّعىٰ أنه يقتل قاتليه . واجتمعوا بكشّ ، وغلبوا علىٰ بعض قصورها ، وعلىٰ قلعة نواكث ، وحاربهم أبو النعمان ، والجُنَيْد ، وليث بن نصر ، مرّة بعد مرّة ، وقتلوا حسّان بن تميم بن نصر بن سَيّار ، ومحمد بن نصر وغيرهما . وأنفذ إليهم جبرائيل بن يحيىٰ وأخاه يزيد ، فاشتغلوا بالمبيِّضة(٣) الذين كانوا ببخارىٰ ، فقاتلوهم أربعة أشهر في مدينة

(*) الكامل في التاريخ ٦/ ٣٨ ، ٣٩ ، طبري ٨/ ١٣٥ ، ١٤ ، ١٤٨ .

(١) وجاء في كتاب الكنىٰ والألقاب ٣/ ٢٠٥ : إسمه عطا ، وقيل الحكم ، كان في مبدأ أمره قَصاراً من أهل مرو ، وكان يعرف شيئاً من السِّحر والنيرنجات ، فادعىٰ الربوبية .

(٢) كَشُّ : قرية علىٰ ثلاثة فراسخ من جُرْجان علىٰ جبل . معجم البلدان ٤/ ٥٢٥ .

(٣) وبدع الغلاة محصورة في أربع : التشبيه ، والبداء ، والرجعة ، والتناسخ ، ولهم ألقاب ، =

بُومجكث ، ونقبها عليهم ، فقتل منهم سبعمائة ، وقتل الحكم ، ولحق منهزموهم بالمُقنَّع ، وتبعهم جبرائيل وحاربهم ؛ ثم سيّر المهدي أبا عون لمحاربة المُقنَّع ، فلم يبالغ في قتاله ، واستعمل معاذ بن مسلم .

ثم دخلت سنة إحدىٰ وستين ومائة ، وفيها كان هلاك المُقنَّع إذ سار إليه مُعاذ بن مُسلم وجماعة من القواد والعساكر إلىٰ المقنَّع ، وعلىٰ مقدّمته سعيد الحَرَشي ، وأتاه عُقبة بن مُسلم ، من زَمّ فاجتمع به بالطواويس ، وأوقعوا بأصحاب المُقنَّع ، فهزموهم ، فقصد المنهزمون إلىٰ المُقنَّع (بِسنام) فعمل خندقاً وحصنها ، وأتاهم مُعاذ فحاربهم ، فجرىٰ بينه وبين الحَرَشي نَفْرَةٌ ، فكتب الحَرَشي إلىٰ المهدي يقع في معاذ ، ويضمن له الكفاية إن أفرده بحرب المقنع ، فأجابه المهدي إلىٰ ذلك ، فانفرد الحرَشي بحربه ، وأمدّه مُعاذ بابنه رَجاء في جيش ، وبكل ما التمسه منه ، وطال الحصار علىٰ المقنَّع ، فطلب أصحابه الأمان سرّاً منه ، فأجابهم الحرشي إلىٰ ذلك ، فخرج نحو ثلاثين ألفاً ، وبقي معه زهاء ألفين من أرباب البصائر ، وتحوّل رَجاء بن مُعاذ وغيرُه فنزلوا خندق المُقنع في أصل القلعة وضايقوه .

فلمّا أيقن بالهلاك جمع نساءه وأهله ، وسقاهم السمّ ، فأتىٰ عليهم وأمر أن يُحرق هو بالنّار لئلا يُقْدَر علىٰ جثته ، وقيل بل أحرق كلّ ما في قلعته من دابّة وثوب وغير ذلك ، ثمّ قال : مَنْ أحب أن يرتفع معي إلىٰ السماء فليلق نفسه معي في هذه النّار ! وألقىٰ بنفسه مع أهله ، ونسائه وخواصّه ، فاحترقوا ، ودخل العسكرُ القلعة ، فوجدوها خالية خاوية .

وكان ذلك مما زاد في افتتان مَنْ بقي من أصحابه ، والذين يسمّون المبيِّضة

= وبكل بلد لقب ، فيقال لهم بأصبهان : الخُرَّميّة ، والكَوذِيّة ، وبالري : المُزْدِكِية والسنباذية ، وبأذربيجان الدقولية ، وبموضع المحمرة ، وبما وراء النهر المبيضة . الملل والنحل ١/ ٢٠٤ .

بما وراء النهر من أصحابه ، إلاّ أنهم يُسِّرون اعتقادهم ، وقيل : بل شرب هو أيضاً من السّم ، فمات ، فأنفذ الحرشي رأسه إلىٰ المهدي ، فوصل إليه وهو بحلب سنة ثلاث وستين ومائة ، وهو في غزواته[1] .

إن الموت بالقوة علىٰ الإنسان هو من أصعب الأمور ويهن عليه كل شيء علىٰ أمل الحياة ، في مثل هذه الحالات ، وأن المجموعة التي بقيت مع المُقنَّع ربما رفضت أن تشرب السُّم ، وفقد المقنع السيطرة علىٰ نفسه وأحرقهم بالنار ، وأصيب بالذهول والضعف والإحباط ، وشرب السُّم يائساً آخر الأمر . . . ولو أنه احترق بالنار ، لما تمكن القائد الحرشي أن يعثر علىٰ جثته وقد تفحمت مع غيرها من الجثث ، ويحتز رأسه ويرسله إلىٰ المهدي . وإن إدعاءه الألوهية ، وتصديق بعض الذين عميت أبصارهم وبصيرتهم له بدعوات مضللة ، ربما كان مرد ذلك هو الانتقام من العباسيين لمقتل أبي مسلم الخراساني الذي يفضله علىٰ الأنبياء ، وأن الإله حلَّ به ، ثم سمىٰ نفسه هاشماً وأن الإله حلّ به ، وإن هذا الخلط يدل علىٰ اضطراب نفسي وعقلي لدىٰ المُقنع ، وإن أتباعه علىٰ شاكلته يركعون ويسجدون له . . . !؟[2] .

ورد في رسالة الغفران ربوبية القصار[3] الأعور ، وهو نفس شخص المقنع بخراسان :

وظهر في أيّامه في بلدٍ خلْفَ بُخارىٰ[4] وراء النهر ، رجلٌ قصّارٌ أعورٌ ، عَمِلَ له وجْهاً من ذهب وخُوطِبَ برَبّ العزّة ، وعَمِلَ لهم قمراً فوقَ جبلٍ

(١) الكامل في التاريخ ٦/ ٥١ ، ٥٢ .

(٢) تعليق المؤلف عبد القادر فياض حرفوش .

(٣) رسالة الغفران ٢٢٧ ، ٣٠٠ ـ ولقد ورد عنه في الكامل في التاريخ ٦/ ٣٨ ، والطبري ٨/ ١٣٥ ، المقنع بخراسان ، وهو القصار الأعور نفسه .

(٤) بخارىٰ : مدينة من مدن ما وراء نهر سيحون . مدينة قديمة نزهة كثيرة البساتين . معجم البلدان ١/ ٤١٩ .

ارتفاعُه فراسخُ ، فأنفذ المهدي[1] إليه ، فأُحيط به وبقلعته ، فحرَّق كل شيءٍ فيها ، وجمع كلَّ من في البلد وسقاهم شراباً مسموماً ، فماتوا بأجمعهم ، وشرب فلَحقَ بهم ، وعجّل اللهُ بروحه إلىٰ النار[2] .

وأمّا القصّارُ[3] فجَهْلٌ يجمعُ ويُصارُ ، ولو تَبِعَ حِقّاً[4] مقروباً[5] ، لكُفيَ سَمّاً مَشروباً[6] .

ولكن الغرائز أعادٍ ، ولا بد من لقاء الميعاد[7] .

* * *

---

(١) المهدي محمد بن أبي جعفر المنصور . تاريخ الخلفاء ٣٢٢ .

(٢) رسالة الغفران ٢٢٧ .

(٣) القصار : يقال اسمه عطاء ، أو حكيم ، ويقال له : الأعور إدعىٰ لألوهية .

(٤) الحق من الإبل : الطاعن في السن للذكر والأنثىٰ .

(٥) المقروب : المصاب بقربه أي بخاصرته .

(٦) يشير إلىٰ أن القصار شرب سماً فمات . حاشية رسالة الغفران ٣٠٠ .

(٧) المصدر السابق نفسه ٣٠٠ .

أبو مَنْصُور العِجْليّ (*)

وكان أبو مَنْصور هذا من أهل الكُوفة من عبد القَيْس ، وله فيها دار ، وكان منشؤه بالبادية ، وكان أُمياً لا يقرأ .

ادّعىٰ أبو مَنْصور أنَّ الله عز وجل عَرج به فأدناه منه وكلمه ومسح بيده علىٰ رأسه ، وكلمه بالسرياني ، وذكر أنه نبي ورسول وأن الله اتخذه خليلاً . والنُّبوَّة في ستة من ولده يكونون بعده أَنبياء . آخرهم القائم .

وزعم أن الرسل لا تنقطع ، وأن الجنة رجل أمرنا الله بموالاته وهو الإمام ، وأن النار رجل أمرنا بمعاداته وهو خصمه . واستحل النساء والمحارم . وأحل ذلك لأصحابه وزعم أن الميتة والدم ولحم الخنزير والخمر والميسر ، وغير ذلك من المحارم ، حلال ، وأسقط الفرائض وقال هي أسماء رجال أوجب الله ولايتهم .

وهو الذي عزا نفسه إلىٰ الإمام أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام ، فلما تبرأ منه وطرده ، ادعىٰ الإمامة بعد وفاة الباقر عليه السلام وقال : انتقلت إلي الإمامة ، وتظاهر بذلك ، وخرجت جماعة منهم بالكُوفة في بني كِنْدة ، فأخذه يوسف بن عمر الثقفي ، والي العراق في أيام هشام بن عبد الملك وصلبه .

وزعم أبو منصور العجلي أن علياً عليه السلام هو الكَسُفُ الساقط من السماء في قوله تعالىٰ : ﴿ وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴾(1)

(*) عقد فريد ٢/ ٤٠٥ المنصورية ـ الحيوان ٦/ ٣٨٩ ، عيون الأخبار ٢/ ١٦٣ ، معجم الفرق الإسلامية ٢٣٨ .

(1) سورة الطور آية : ٤٤ .

ولذلك يقال لهم الكَسُفية[1] . وكان يأمر أصحابه بخنق من خالفهم ، وقتلهم بالاغتيال ويقول : من خالفكم فهو مشرك فاقتلوه ، فإن هذا جهاد خفي . وزعم أن جبريل يأتيه بالوحي من عند الله ، وأن الله بعث محمداً ﷺ بالتنزيل ، وبعثه هو ، يعني نفسه ، بالتأويل .

وهم صنف من الخُرَّمية ، وإنما مقصودهم من حمل الفرائض والمحرمات علىٰ أسماء رجال : هو أن من ظفر بذلك الرجل وعرفه فقد سقط عنه التكليف ، وارتفع الخطاب إذ قد وصل إلىٰ الجنة وبلغ الكمال[2] .

ابن منصور يدعي النُّبوَّة :

ثم تَنَبَّئَ بعده ابنه الحسين بن أبي منصور ، وادعىٰ مرتبة أبيه ، وَجُبيَتْ إليه الأموال وتابعه علىٰ رأيه ومذهبه بشر كثير وقالوا بنبوته . فبعث إليه المهدي فقتله في خلافته وصلبه بعد أن أقر بذلك ، وأخذ منه مالاً عظيماً ، وطلب أصحابه فظفر بجماعة منهم فقتلهم وصلبهم[3] .

ولقد أورد الجاحظ أخبارهم كما أوردها ابن قتيبة . وإن فرقة المنصورية كانت تقوم بخنق خصومها فسماها الجاحظ (الخناقون) وقال :

وممَّن كان يخنق الناس بالمدينة عَدِيَّةُ المدينة الصَّفراء ، وبالبصرة رادويه . والمرميُّون بالخنق من القبائل وأصحاب النِّحل والتأويلات هم الذين ذكرهم أعشىٰ همدان في قوله :

إذا سِرْتَ في عِجْلٍ فَسِرْ في صحابةٍ وكِنْدَةَ فاحْذَرْهَا حِذَارَكَ للخَسْفِ[4]

---

(١) يقال له المَنْصورية : أصحاب أبي منصور العجلي . الملل والنحل ١/ ٢٠٩ . ويقال : الكَسُفُ ، والكِسَفُ .

(٢) الملل والنحل ١/ ٢١٠ .

(٣) معجم الفرق الإسلامية ٢٣٩ .

(٤) وردت هذه الأبيات في الحيوان ٦/ ٣٩٠ .

وفي شيعةِ الأعمىٰ خِناقٌ وغِيلةٌ وقَشْبٌ وإعمال لجندلة القذفِ[1]
وكلُّهُم شَرٌ علىٰ أنَّ رأسهم حميدةُ والميلاءُ حاضنةِ الكَسْفِ[2]
متىٰ كُنْتَ في حَيَّيْ بجيلة فاستمع فإنَّ لها قصفاً يدلُّ علىٰ حَتْفِ
إذا اعتزموا يوماً علىٰ قَتل زائرٍ تداعوْا عليه بالنُّباح وبالعَزفِ

وذلك أن الخناقين لا يسيرون إلاّ معاً ، ولا يقيمون في الأمصار إلا كذلك ، فإذا عزم أهل دارٍ علىٰ خنق إنسان كانت العلامة بينهم الضرب علىٰ دُفٍّ أو طبلٍ علىٰ ما يكون في دُور الناس ، وعندهم كلاب مرتبطة فإذا تجابوا بالعزف ليختفي الصوت ضربوا تلك الكلاب فَنَبحتْ وربّما كان منهم معلِّم يؤدِّب في الدّرب ، فإذا سمع تلك الأصوات أَمَرَ الصِّبيانَ برفع الهجاء والقراءة والحساب[3] .

وكان ابن عُيينة[4] يُنشد :

إذا ما سَرَّك العَيْشُ فلا تأخذ علىٰ كِندَه

يريد أن الخناقين من المنصورية أكثرهم بالكوفة من كِندة ، منهم أبو قُطْنة الخَنَّاق[5] . وقال الجاحظ : وكذا كانت دار أبي قطنة الخناق بالكوفة في كندة ، ويزعمون أنه كان مولىً لهم وأنشد سفيان بن عُيينة :

---

(١) ورد هذا البيت في عيون الأخبار ٢/ ١٦٢ .
وفي شيعة الأعمىٰ زيادٌ وغِيلةٌ ولَسبٌ وإعمالٌ لجندلة القذفِ
وجاء تفسيره : الأعمىٰ هو المغيرة ، وزياد يعني الخنق . واللَّسْب : السم . وإعمال لجندلة القذف : يريد رضخهم رؤوس الناس بالحجارة .

(٢) حُميدة : هي صاحبة الناعظية ولها رياسة في الغالية . والميلاء كانت حاضنة أبي منصور العجلي صاحب المنصورية الذي كان يلقب الناعظية ولها رياسة في الغالية . والميلاء كانت حاضنة أبي منصور العجلي صاحب المنصورية الذي كان يلقب بالكسف وكان المنصورية يستحلون خنق مخالفيهم انظر العقد الفريد ٢/ ٤٠٥ والحيوان ٥/ ٥٩٠ .

(٣) الحيوان ٦/ ٣٩٠ .

(٤) هو كُميل بن زياد النخعي ، تابعي ثقة من أصحاب الإمام علي كرم الله وجهه توفي سنة (٨٢هـ) .

(٥) عيون الأخبار ٢/ ١٦٣ .

إذا مـــا سَـــرَّكَ العَيـــشُ فـــلا تمـــرُرْ علـــىٰ كِنْـــدَة

وقد قُتل أبو قُطنة وصُلب[٢] .

ما هذا ؟ .

كما يقول المثل : الجنون فنون ! .

كيف كان لمثل هؤلاء أتباع ، إن في كلام أبي منصور العجلي ، ومعانيه ، ومقاصده أخطاء فاحشة يصعب علىٰ العاقل تصديقها مهما كانت بساطته أو درجة ثقافته .

إن العجلي يُحلل ما حُرم في الجاهلية والإسلام .

وجاء ابنه الحسين بن أبي منصور العجلي ، وشكل فرقة من أتباعه يقومون بقتل خصومهم خنقاً فسماها الجاحظ (الخناقون) ولهم طرقهم في ذلك كما مر معنا .

وفي الإجرام فنون ، إنها مآسي تضع بصماتها في عمق تاريخنا .

وأتساءل ، هل كان هؤلاء يريدون أن يتحرروا من كل شيء ، أي من كل ضوابط أخلاقية وإنسانية ودينية ، أم أنهم تأثروا بسبب اختلاطهم بالأجناس من غير العرب والذين حملوا معهم بذور دياناتهم المختلفة ، ماجوسية ، أو وثنية . . . إلخ وهي لا تقيد حريتهم وتبيح لهم المحظورات التي يحرمها الدين الإسلامي . إنهم يريدون الفلتان أو الإباحية المطلقة .

إن أمثال هؤلاء لا يعرفون الله ويحللون ما حرم ويفترون علىٰ الله كذباً ، فلا بد أن ينزل الله عليهم غضبة ويحاسبهم الشعب حساباً عسيراً أينما كانوا حلوا أم رحلوا .

تعليق المؤلف عبد القادر فياض حرفوش .

---

(٢) الحيوان ٦/ ٣٨٩ .

امرأةٌ تَنبّأَت في عَهدِ المأمون(*)

وتنبّأَتِ امرأةٌ أيام المأمون ، فأوصِلتْ إليه .

فقال لها : مَنْ أَنتِ ؟ .

قالت : أَنا فاطمةُ النبيّة .

فقال المأْمونُ : أَتؤمنين بما قال محمد رسول اللهُ ؟ .

قالتْ : هو نبيّ حقّاً ، وقوله حقٌّ مقبولٌ .

قال : فإِنَّ محمداً عليه السلامُ قال : لا نبيَّ بعدي .

قالت : صدقَ صلوات الله عليه ؛ فهلْ قال : لا نبيةَ بعدي ؟ .

فقال المأمون لمن حضرَ : أما أنا فقد انقطعتُ ، فمنْ كانت عنده حجةٌ فلْيَأْتِ بها وضحك حتىٰ غطّىٰ وجهه .

* * *

(*) نثر الدر للآبي ٢/ ٢١٣ . ولقد جاء فيه من نوادر المتنبئين عدد من الأشخاص الذين ادعوا النبوة في زمن المأمون وغيره من الخلفاء العباسيين .

محمود بن الفرج النيسابوري(*)

في سنة (٢٣٥هـ) ظهر بسامرّا(١) رجلٌ يُقال له محمود بن الفرج النيسابوريّ فزعم أنه ذو القرنين ومعه سبعة وعشرون رجلاً عند خشبة بابَك .

وخرج من أصحابه بباب العامة رجُلان ، وببغداد في مسجد مدينتها آخران ، وزعما أنه نبيّ ، وأنه ذو القرنين .

فأُتيَ به وبأصحابه المتوكّل ، فأمر بضربه بالسياط ، فَضُرب ضرباً شديداً ، فمات من بعد ضَرْبهِ ذلك ، وحُبِس أصحابه ؛ وكانوا قدموا من نيسابور ، ومعهم بشيء يقرءونه ، وكان معهم عيالاتهم ، وفيهم شيخ يشهد له بالنُّبوَّة ، ويزعم أنه يوحىٰ إليه ، وأن جبريل يأتيه بالوحي ، فضُرب محمود مائة سوط ، فلم ينكر نبوَّته حين ضُرب ، وضُرب الشيخ الذي كان يشهد له أربعين سوطاً ، فأنكر نبوَّته حين ضرب .

وحمل محمود إلىٰ باب العامة ، فأكذب نفسه .

وقال الشيخ : قد اختدعني .

وأمر أصحاب محمود أن يصفعوه فصفعوه ؛ كلّ واحد منهم عشر

(*) تاريخ الطبري ٩/ ١٧٥ ، الكامل في التاريخ ٧/ ٥٠ ، البداية والنهاية ١٤/ ٣٤٢ .

(١) سامَرّاء : لغة في سُرّ مَنْ رأىٰ : مدينة كانت بين بغداد وتكريت علىٰ شرقي دجلة وقد خربت ، وفيها لغات : سامَرَّاء ممدود ، وسامرّا مقصور ، وسُرّ مَنْ رَأَ مهموز الآخر ، وسُرّ من رأىٰ مقصور الآخر ، أمّا سامَرّاء فشاهده قول البحتري :

وأرىٰ المطايا لا قصورَ بها ... عن ليلِ سامرّاء تَذْرَعُهُ

وقال أبو سعد : سامَرّاء بلد علىٰ دجلة فوق بغداد بثلاثين فرسخاً يقال لها : سُر مَن رأىٰ فخففها الناس وقالوا سامَرّاء . (معجم البلدان ٣/ ١٩٥) .

صفعات ، وأخذ له مصحف فيه كلام قد جمعه ذكر أنه قرآنه ، وأن جبريل (عليه السلام) كان يأتيه به .

وقال ابن كثير في توضيح خشبة بابك :

في سنة ٢٣٥هـ خرج رجل يقال له محمود بن الفرج النَّيسابوري . وهو ممَّن كان يتردَّدُ إلى خشبة بابك[١] الخُرَّمي وهو مصلوبٌ فيقعُدُ قريباً منه ، وذلك بقرب دار الخلافةِ مِنْ سُرَّ مَنْ رَأَىٰ[٢] .

ثم مات يوم الأربعاء لثلاث خلون من ذي الحجة في سنة (٢٣٥هـ) ودفن في الجزيرة[٣] .

* * *

(١) انظر ترجمته في هذا الكتاب ص ٢٤٤ .
(٢) البداية والنهاية ١٤/ ٣٤٢ .
(٣) تاريخ الطبري ٩/ ١٧٥ ، البداية ١٤/ ٣٤٢ .

رجل ادّعىٰ النُّبوَّة(*) ـ في عصر المهدي

ادّعىٰ رَجلٌ النُّبوَّة في أيام المهدي ، فأدخل عليه فقال له : أنتَ نبي ؟ .

قال : نعم .

قال : ومتىٰ نُبِّئت ؟ .

قال : وما تصنع بالتاريخ ؟ .

قال : ففي أي المواضع جاءتك النُّبوَّة ؟ .

قال : وقعنا والله في شُغل ، ليس هذا من مسائل الأنبياء ، إن كان رأيك أن تُصَدّقني في كل ما قلت لك فاعمل بقولي ، وإن كنت عزمت علىٰ تكذيبي فدعني أذهب عنك .

فقال المهدي : هذا ما لا يجوز ، إذا كان فيه فساد الدين .

قال : واعجباً لك ، تغضب لدينك لفساده ، ولا أغضب أنا لفساد نُبوتي ، أنت والله ما قوِيت عليَّ إلاّ بمَعن بن زائدة ، والحسن بن قُحْطبة وما أشبههما من قُوادّك ، (وكان) علىٰ يَمين المهدي شُريك القاضي ، قال : ما تقول في هذا النبي يا شُريك ؟ .

قال : شاورتَ هذا في أمري وتركت أن تشاورني .

قال : هات ما عندك ؟ .

قال : أُحاكمك فيما جاء به مَن قبل من الرُّسُل .

قال : رضيت .

(*) العقد الفريد ٦/ ١٤٤ ، ١٤٥ .

قال : أكافر أنا عندك أم مؤمن ؟ .

قال : كافر .

قال فإن الله يقول : ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ ﴾[1] فلا تُطعني ولا تُؤذني ودَعْني أذهب إلىٰ الضعفاء والمساكين فإنهم أتباع الأنبياء ، وأَدَع الملوك والجبابرة فإنهم حطب جنهم .

فضحك المهدي وخلّىٰ سبيله .

* * *

(١) سورة الأحزاب آية : ٤٨ .

رجل ادّعىٰ النُبوَّة(*) ـ في عصر المهدي

قال أبو الطيب اليزيدي : أُخذ رجلٌ ادّعىٰ النُّبوَّة أيام المهدي فأُدخل عليه ، فقال له : أنت نبيّ ؟ .

قال : نعم .

قال : وإلىٰ من بُعثت ؟ .

قال : أوتركتموني أذهب إلىٰ أحد ؟ ساعةَ بُعثت وضعتموني في الحبس .

فضحك منه المهدي ، وخلَّىٰ سبيله .

* * *

(*) العقد الفريد ٦/ ١٤٣ .

رجل ادّعىٰ النُبوّة(*) ـ في عصر المأمون

وأُتي المأمون بإنسان مُتنبئ فقال له : ألك علامة ؟ .

قال : نعم ، علامتي أني أعلم ما في نفسك .

قال : قرَّبتَ عليَّ ما في نفسي ؟ .

قال له : في نفسك أني كذّاب .

قال : صدقت ، وأمر به إلىٰ الحبس ، فأقام به أياماً ، ثم أخرجه .

فقال : أُوحي إليك بشيء ؟ .

قال : لا .

قال : ولم ؟ .

قال : لأن الملائكة لا تدخل الحَبس .

فضحك المامون وأطلقه .

* * *

(*) العقد الفريد ٦/ ١٤٧ .

رجل ادّعىٰ النُبوّة(*) ـ في عصر المأمون

ادعىٰ رجل النبوة في أيام المأمون ، فقال ليحيىٰ بن أكثم : امضِ بنا مُستتراً حتىٰ ننظر إلىٰ هذا المُتنبئ وإلىٰ دعواه ، فركبنا مُتنكِّرين ، ومعنا خادم حتىٰ صِرْنا إليه ، وكان مُستتراً بمذهبه ، فخرج آذنه وقال : مَن أنتما ؟ .

فقلنا : رجلان يريدان أن يُسلِما علىٰ يديه .

فأذن لهما ودخلا ، فجلس المأمون عن يَمينه ، ويحيىٰ عن يساره ، فالتفت إليه فقال له : إلىٰ مَن بُعثت ؟ .

قال : إلىٰ الناس كافة .

قال : فيُوحىٰ إليك ، أم تَرىٰ في المَنام ، أم يُنفث في قلبك ، أم تُناجىٰ ، أم تُكلَّم ؟ .

قال : بل أُناجىٰ وأُكلَّم .

قال : ومن يأتيك بذلك ؟ .

قال : جبريل .

قال : فمتىٰ كان عندك ؟ .

قال : قبل أن تأتيني بساعة .

قال : فما أوحىٰ إليك ؟ .

قال : أوحىٰ إليَّ أنه سيدخل عليّ رجلان فيجلس أحدُهما عن يَميني والآخر عن يَساري ، فالذي عن يساري أَلْوط خلق الله .

قال المأمون : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ، وخَرجا يتضاحكان .

(*) العقد الفريد ٦/ ١٤٦ .

رجل ادعىٰ النبوة ـ بأنه إبراهيم الخليل(*) ـ في عصر المأمون

قال ثُمامة بن أَشْرَس : شَهدتُ المأمون أُتي برجُلٍ ادّعىٰ النُّبوَّة ، وأنه إبراهيم الخليل .

فقال المأمون : ما سمعتُ أجرأ علىٰ الله من هذا .

قلت : أُكلمه ؟ .

قال : شأنك به .

فقلت له : يا هذا ، إن إبراهيم كانت له براهين .

قال : وما براهينه ؟ .

قلت : أُضرمت له نار وألقىٰ فيها فصارت بَرْداً وسلاماً ، فنحن نضرم لك ناراً ونطرحك فيها ، فإن كانت عليك برداً كما كانت علىٰ إبراهيم آمناً بك وصدقناك .

قال : هات ما هو ألين عليّ من هذا .

قال : براهين موسىٰ .

قال : وما كانت براهين موسىٰ ؟ .

قال : عَصاه التي ألقاها ، فصارت حيّة تَسعىٰ ، تَلْقف ما يأفكون ، وضرب بها البحر فانفلق ، وبياضُ يده من غير سُوء .

قال : هذا أصعب ، هات ما هو ألين من هذا .

(*) العقد الفريد ٦/ ١٤٣ .

قلت : براهين عيسىٰ . .

قال : وما براهين عيسىٰ ؟ .

قلت : كان يُحيي الموتىٰ ، ويمشي علىٰ الماء ، ويُبرئ الأكمه والأبرص .

فقال : في براهين عيسىٰ جئت بالطامة الكبرىٰ .

قلت : لا بد من بُرهان .

فقال : ما معي شيء من هذا ، قد قلت لجبريل ، إنكم توجهونني إلىٰ شياطين ، فأعطَوني حُجة أذهب بها إليهم ، وأحتج عليهم ، فغضب وقال : بدأت أنت بالشرّ قبل كل شيء ، اذهب الآن فانُظر ما يقول لك القوم ، وقال : هذا من الأنبياء لا يصلح إلاّ للحَمُر .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذا هاج به مُرار وأعلام ذلك فيه .

قال : صدقت ، دَعْه[1] .

* * *

---

(١) العقد الفريد ٦/١٤٣ ـ ١٤٤ .

رجل ادّعىٰ النُبوَّة(*) في أذربيجان

حُمل إلىٰ المأمون من أَذربِيجان[1] رجلٌ قد تنبأ ، فقال : يا ثمامة ، ناظره .

فقال : ما أكثر الأنبياء في دولتك يا أمير المؤمنين ثم التفت إلىٰ المُتنبئ فقال له : ما شاهدك علىٰ النبوة ؟ .

قال : تُحضر لي يا ثُمامة امرأَتك أَنكحها بين يديك فتلد غُلاماً ينطق في المهد ويُخبرك أني نبي .

فقال ثمامة : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله .

فقال المأمون : ما أسرع ما آمنت به ؟ .

قال : وأنت يا أمير المؤمنين ما أهونُ عليكَ أن تتناول امرأتي علىٰ فراشك فضحك المأمون وأطلقه .

* * *

(*) العقد الفريد ٦/ ١٤٨ .

(١) أذربيجان في الإقليم ، وحَدُّها من بَرْذَعة مشرقاً إلىٰ أرزنجان مغرباً ؛ ويتصل حدُّها من جهة الشمال ببلاد الديلم ، والجيل ، والطَّرْم ، وهو إقليم واسع ، ومن مشهور مدنها تبريز وهي اليوم قصبتها وأكبر مدنها . غزا المغيرة بن شُعبة الثقفي أذربيجان سنة اثنتين وعشرين ، ففتحها عنوة ووضع عليها الخراج . وقيل فتحها في سنة (٢٠هـ) معجم البلدان ١/ ١٥٥ ، ١٥٧ .

رجلٌ(*) ادّعى النُبوّة ـ بباسند

في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة للهجرة ظهر بباسِنِد ، من أعمال الصغانيان[1] ، رجل ادّعىٰ النبوّة ، فقصده فوج بعد فوج ، واتّبعه خلق كثير ، وحارب من خالفه ، فقتل خلقاً كثيراً ممّن كذّبه ، فكثر أتباعه من أهل الشاش[2] خصوصاً .

وكان صاحب حيل ومخاريق ، وكان يدخل يده في حوض ملآن ماء ، فيخرجهما مملوءة دنانير ، إلىٰ غير ذلك من المخاريق ، فكثر جمعه ، فأنفذ إليه أبو علي بن محمد بن المظفَّر جيشاً ، فحاربوه ، وضيّقوا عليه ، وهو فوق جبل عالٍ ، حتىٰ قبضوا عليه وقتلوه وحملوا رأسه إلىٰ أبي علي ، وقتلوا معه خلقاً كثيراً ممّن اتبعه وآمن به ، وكان يدعي أنَّه متىٰ مات عاد إلىٰ الدنيا ، فبقي بتلك الناحية جماعة كثيرة علىٰ ما دعاهم إليه مدة طويلة ثم اضمحلّوا وفنوا[3] .

لنفترض مثل هؤلاء سَحرة مَهرة ، هل يذهب السحر بعقول البسطاء من الناس ، ويجرهم إلىٰ متاهات مظلمة ، عجيب أمر هؤلاء الذين يقعوا بين أيدي مشعوذين ، ربما كانت سويتهم بها خلل ، وهل النُّبوة أو ادعاء الألوهية تتم بهذه البساطة . . .!؟ إن العلم والفكر الواعي كفيلان برفض مثل هذه الادعاءات الباطلة .

(*) الكامل في التاريخ ٨/ ٢٨٩ ، ٢٩٠ .

(١) صَغَانِيَانُ : ولاية عظيمة بما وراء النهر متصلة الأعمال بترمذ ، . . . ناحية شديدة العمارة كثيرة الخيرات ، مشاربهم من أنهار تمد إلىٰ جيحون . (معجم البلدان ٣/ ٤٦٤) .

(٢) شَاش : وراء النهر ثم ما وراء نهر سيحون متاخمة لبلاد الترك . معجم البلدان ٣/ ٣٤٩ .

(٣) الكامل في التاريخ ٨/ ٢٨٩ ، ٢٩٠ .

رجل(*) ادّعىٰ النُبوَّة بالبصرة

ادعىٰ رجلٌ النُبوّة بالبصرة(١) ، فأُتي به سليمان(٢) بن علي مقيداً ، فقال له : أنت نبيّ مُرسل ؟ .

قال : أما الساعة ، فإني نبيٌّ مُقيَّد .

قال : ويحك ، مَن بعثك ؟ .

قال : أبهذا يُخاطب الأنبياء يا ضعيف ؟ .

والله لولا أني مُقيّد لأمرتُ جبريل يُدمدمها عليكم .

قال : فالمقيَّد لا تُجاب له دعوة ؟ .

قال : نعمْ ، الأنبياء خاصة ، إذا قُيدت لم يرتفع دعاؤها .

فضحك سليمان . فقال له : أنا أطلقك ، وأْمر جبريلَ فإن أطاعك آمنّا بك وصدّقناك .

قال : صدق الله ﴿ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾(٣) .

فضحك سليمان وسأل عنه ، فَشُهد عنده أنه ممرور ، فخلَّىٰ سبيله(٤) .

(*) العقد الفريد ٦/ ١٤٣ .

(١) البصرة : وهما بصرتان : العظمىٰ بالعراق وأخرىٰ بالمغرب . وأما البصرتان فالكوفة والبصرة ، وكان تمصير البصرة في سنة أربع عشرة قبل الكوفة بستة أشهر . « معجم البلدان ١/ ٥١٠ » .

(٢) في سنة ثلاث وثلاثين ومائة وجه السفاح عمه سليمان بن علي والياً علىٰ البصرة وأعمالها وكور دجلة والبحرين وعُمان . . . (الكامل في التاريخ ٥/ ٤٤٨) .

(٣) سورة يونس آية : ٨٨ .

(٤) العقد الفريد ٦/ ١٤٣ .

رَجُلٌ(*) ادّعىٰ النُبوّة بالكُوفة

تنبّأ رجلٌ بالكُوفة وأَحَل الخَمر ولقي ابن عياش ، وكان مُغرماً بالشراب ، فقال له : أشعرتَ أنه بُعث نبيّ يُحل الخمر ؟ .

قال : إذاً لا يُقبل منه حتىٰ يُبرئَ الأَكمه والأَبرص .

وأُتي به عامل الكُوفة فاستتابه ، فأبىٰ أن يتوب ويرجع .

فأتته أُمه تَبكي ، فقال لها : تَنحَّي ، ربط الله علىٰ قلبك كما ربط علىٰ قلب أم موسىٰ .

وأتاه أبوه يطلب إليه أن يرجع . فقال له تنحَّ يا آزر .

فأمر به العامل فَقُتل وصلب .

* * *

(*) العقد افريد ٦/١٤٦ ، ١٤٧ .

ـ إنه رجلٌ معتوهٌ ، ولولا ذلك لقبل العفو وتاب .

رجل(*) ادّعىٰ النبوّة بالرّقة

محمد بن عتّاب قال : رأيت بالرّقة[1] أيام الرشيد جماعةٌ أحاطت برجل فأشرفت عليه ، فإذا رجل له جهارة[2] وبُنْيَة ، قلت : ما قِصّة هذا ؟ .

قال : ادّعىٰ النُّبوّة .

قلت : كذبتمْ عليه ، مثل هذا لا يَدّعي الباطل .

فرفع رأسه إليّ فقال : وما عِلْمك أنهم قالوا عليّ الباطل ؟ .

قلت له : وأنت نبي ؟ .

قال : نعم .

قلت له : ما دليلك ؟ .

قال : دليلي أنك وَلد زنا .

قلت : نبيّ يَقذف المُحصنات ؟ .

قال : بهذا بُعثت .

قلت : أنا كافر بما بُعثت به .

قال : ومَن كفر فعليه كُفره .

(*) العقد الفريد ٦/ ١٤٦ .

(١) الرَّقّةُ : وهي مدينة مشهورة علىٰ الفرات بينها وبين حرّان ثلاثة أيام ، فتحت صلحاً سنة (١٧هـ) علىٰ يد القائد عياض بن غنم . ويقال لها الرقة البيضاء وقال سهيل بن عدي :

وصـادمنـا الفـرات غـداة سـرنـا ... إلـىٰ أهـل الجـزيـرة بـالعـوالـي
أخـذنـا الـرقـة البيضـاء لمّـا ... رأينـا الشّهـرَ لـوّحَ بـالهِـلالِ

(٢) الجهارة : حسن المنظر والهيئة .

فإذا حَصاة عائرة[1] جاءت حتىٰ صَكّت صَلْعته .

قال : ما رماها إلا ابن الزَّانية ، ثم رفع رأسه إلىٰ السماء ، فقال : ما أردتم بي خيراً حيث طرحتموني في يدي هؤلاء الجُهال[2] .

* * *

(١) عائرة : لا يدري من رماها . وفي بعض الأصول (عابرة) .

(٢) العقد الفريد ٦/١٤٦ .

رَجلٌ(*) ادّعىٰ النُبوَّة بالكُوفة

وذكر بعض الكُوفيين قال : بينا أنا جالس بالكوفة(١) في منزلي إذ جاءني صديق لي ، فقال لي : إنه ظهر بالكوفة رجلٌ يدعي النُّبوَّة ، فَقُم بنا إليه نُكلّمه ، ونَعرف ما عنده ، فَقمتُ معه ، فصِرنا إلىٰ باب داره ، فَقَرعنا الباب ، وسألنا الدُّخول عليه ، فأخذ علينا العُهود والمواثيق إذا دخلنا عليه وكلَّمناه وسألناه إن كان علىٰ حق اتبعناه ، وإن كان علىٰ غير ذلك كتمنا عليه ولم نُؤذه ، فدخلنا فإذا شيخ خُراساني أخبث مَن رأيت علىٰ وجه الأرض ، وإذا هو أصلع ، فقال صاحبي وكان أعور : دَعني حتىٰ أُسائله ، قلت دونك .

قال : جُعلت فداك ما أنت ؟ .

قال : نبي .

قلت : ما دليلك ؟ .

قال : أنت أعور عَينك اليمنىٰ ، فاقلَعْ عينك اليُسرىٰ حتىٰ تصير أعمىٰ ، ثم أدعو الله فيردَّ عليك بصرك .

فقلت لصاحبي : أنصفك الرجل .

قال : فاقلع أنت عينيك جميعاً ، وخرجنا نضحك .

(*) العقد الفريد ٦/١٤٦ ، ١٤٧ .

(١) الكُوفَةُ : المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق ، سميت الكوفة لاستدارتها أخذاً من قول العرب : رأيت كُوفاناً وكَوْفاناً . بضم الكاف وفتحها ، للرميلة المستديرة . وقيل سميت الكوفة كوفة لاجتماع الناس بها من قولهم : قد تكوف الرمل ، يتكوّف تكوّفاً إذا ركب بعضه بعضاً . ولهذا الاسم تفاسير كثيرة . وأما تمصيرها وأَوّليته فكانت في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه في السنة التي مُصّرت فيها البصرة وهي سنة (١٧هـ) وقيل سنة (١٨هـ) وقيل سنة (١٩هـ) . معجم البلدان ٤/٥٥٧ .

رَجل(*) ادّعىٰ النُبوَّة ـ بجبل لَيْلُون

خرج رجلٌ ادَّعىٰ أنَّه المنتظر ، وادّعىٰ النبوَّة « بجبل لَيْلون »[١] واستغوىٰ أهل تلك النَّاحية ، وأظهر لهم زخارف ، ومُحالاً ، وقال لهم : « إذا جاء العسكرُ إليكم ، فسوف أرميهم بكفٍّ من تُراب فاهلكهم » . وأغاروا علىٰ « تركمان » « بجبل سَمْعان » وكان مقيماً بأتباعه « بكفرند » ، فخرج « طُمان » من العسكر ، وسعد الدين كمشتكين بجماعة من العسكر ، ووصلوا إليهم ، فجعل أتباعه يَصيحون ؛ « وعدك يا مولانا » ! والسَّيْفُ يعمل فيهم ، فألقىٰ الترابَ ، فزحف إليه العسكر ، وقتل الرجال وسبىٰ النساء والتجأ جماعة إلىٰ المغاير ، فاستخرجوهم ولم يبقوا إلاّ علىٰ من أسلم منهم ودخَّنوا علىٰ جماعة في المغاير ، فماتوا ، ثم عاد العسكرُ إلىٰ « تلّ السّلطان » بعد أن قُتل وصلب[٢] .

وقال عيسىٰ بن سعدان الحلبي يذكر ليلون :

ويا قُرىٰ الشام من ليلون لا بَخِلتْ   علىٰ بلادِكُمُ هطّالة السُّحبِ
ما مرَّ برقُك مُجتازاً علىٰ بَصري   إلاّ وذكّرني الدارين من حلبِ[٣]

(*) زبدة الحلب ٢/ ٥٢٤ .

(١) جبل ليلون مطل علىٰ حلب بينها وبين أنطاكية . معجم البلدان ٥/ ٣٤ .

(٢) ذكر أبو شامة في الروضتين ج١ ص٢٤١ ـ ٢٥٢ نقلاً عن ابن أبي طيء أن هذا الرجل أصله من المغرب ظهر أولاً في قرية مشغرة في غوطة دمشق ثم هرب إلىٰ بلد حلب وكان ذلك سنة (٥٧٠هـ) وأعتقد أن كفرند تصحيف لكفرنجد ، وكانت كما يقول ياقوت قرية كبيرة من أعمال حلب في جبل السماق وكما ذكرها ابن العديم في بغية الطلب ص٤٧٧ ، وكفرنجد الآن من قرىٰ منطقة أريحا في محافظة ادلب وتبعد عن أدلب مسافة ١٧كم (زبدة الحلب ٢/ ٥٢٤) .

(٣) معجم البلدان ٥/ ٣٤ .

رجل(*) ادعىٰ النُبوّة وسمّىٰ نفسه نوحاً

وتنبّأ إنسانٌ وسمَّىٰ نفسه نوحاً صاحب الفُلك ، وذَكر أنه سيكون طُوفان علىٰ يديه إلاّ من اتبعه ، ومعه صاحب له قد آمن به وصدّقه ، فأتىٰ به الوالي ، فاستتابه فلم يَتُب ، فأمر به فَصُلب ، واستتاب صاحبه فتاب ، فناداه من الخَشبة : يا فلان أتُسلمني الآن في مثل هذه الحالة ؟! .

فقال يا نُوح ، قد علمت أنه لا يصحبك من السفينة إلا الصاري .

* * *

(*) العقد الفريد ٦/١٤٧ .

رجل ادّعىٰ النُبوَّة بِنَهاوَنْد(*)

في سنة تسع وتسعين وأربعمائة في المحرَّم ، ظهر رجل بسواد نَهاوَنْد[1] ادَّعىٰ النُبوَّةَ ، وتبعه خلق من الرستاقية[2] وباعوا أملاكهم ودفعوا إليه أثمانها ، وكان يهب جميع ما معه لمن يقصده ، وسمىٰ أربعة من أصحابه أبا بكر ، وعمر ، وعثمان وعلي .

وكان يدعي معرفة النجوم والسحر ، وقتل بنهاوند .

وخرج رجل من أولاد ألب أرسلان فطلب السلطنة ، فَقُبض عليه فكان بين مدة خروجه واعتقاله شهران ، فكان أهل نهاوند يقولون : خرج عندنا في مدة شهرين مُدَّعٍ للنُّبوَّة ، وطالب للملك واضمحل أمرهما أسرع من كل سريع[3] .

(*) البداية والنهاية ١٦/ ١٩١ ، الكامل في التاريخ ١٠/ ٣٩٩ ، المنتظم ١٧/ ٩٥ .

(١) نَهاوَنْدُ : هي مدينة عظيمة في قبلة همذان بينهما ثلاثة أيام ، وفتحت في سنة (١٩هـ) في خلافة عمر بن الخطاب وكان علىٰ الجيوش النعمان بن مُقَرّن فواقعهم فقُتل ، فأخذ حذيفة بن اليمان رايته وصار الفتح .

وقال القعقاع بن عمرو المخزومي :

فنحن وردنا في نَهاوَنْد مورداً ... صدرنا به ، والجمعُ حَرّانُ واجم

وقال أيضاً :

وسائل نهاوندا بنا كيف وَقْعُنا ... وقد أثخنتها في الحروب النوائبُ

« معجم البلدان ٥/ ٣٦١ ، ٣٦٣»

(٢) في البداية والنهاية ١٦/ ١٩١ : فاتَّبعه علىٰ ضلالهِ هذا خلقٌ من الجهلة الرَّعاع .

وفي الكامل في التاريخ ١٠/ ٣٩٩ : فأطاعه خلق كثير من السواديّة .

(٣) المنتظم ١٧/ ٩٥ . حوادث سنة (٤٩٩هـ) .

رجل(*) ادّعىٰ النُبوَّة ـ وثُمامة بن أشرس

قال ثُمامة[1] بن أشرس : كنت في الحبس فأدخل علينا رجلٌ ذو هيئة وبزّة ومنظر ، فقلت له : مَن أنت ؟ جُعلت فداك ، وما ذنبُك ؟ وفي يدي كأس دعوت بها لأشربها .

قال : جاء بي هؤلاء السفهاء لأني جِئتُ بالحق من عند ربي ، أنا نبي مُرسل .

قلت : جُعلت فداك ، معك دليل ؟ .

قال : نعم ، معي أكبر الأدلة ، ادفعوا إليَّ امرأة أُحبلها لكم ، فتأتي بمولود يشهد بصِدْقي .

قال ثمامة : فناولتُه الكأس وقلت له : اشرب صلّىٰ الله عليك .

* * *

(*) العقد الفريد ٦/ ١٤٥ .

(١) في سنة ست وثمانين ومائة حبس الرّشيد ثُمامة بن أشرس لوقوفه علىٰ كذبه في أمر أحمد بن عيسىٰ بن زيد « طبري ٨/ ٢٧٥» .

هو أبو بشر ثمامة بن أَشرس النميري المعتزلي ، وكان خصيصاً بالمأمون . وفيات الأعيان ٦/ ١٧٧ .

رجل(*) ادّعىٰ الألوهية ـ باليمن

وقد كان باليمن رجلٌ يَحتجب في حصنٍ له ، ويكونُ الواسطةُ بينَه وبينَ النّاس خادِماً له أسْوَدَ قد سمّاهُ جبريل ، فقتلهُ الخادِمُ في بعضِ الأيّام وانصرفَ ، فقال بعضُ المُجّان :

تَبـــارَكَ اللهُ فـــي عُـــلاهُ ... فـــرَّ مـــنَ الفِســـقِ جَبـــرئيـــلُ
وظَـــلَّ مَـــنْ تَـــزْعُمـــونَ رَبّـــاً ... وهـــوَ علـــىٰ عَـــرْشِـــهِ قَتيـــلُ

ويُقال إنّه حَمَلَهُ علىٰ ذلك ما كان يُكَلّفُهُ من الفِسقِ .

وإذا طمعَ بَعضُ هؤلاءِ ، فإنّه لا يقنعُ بالإمامة ولا النّبوّةِ ، ولكنه يرتفِعُ صُعُداً في الكذبِ ، ويكونُ شُربهُ من تحت العَذِب ، أي الطُّحلب .

ولم تكن العرب في الجاهليّة تُقدِم علىٰ هذه العظائمِ ، والأمور غير النّظائم .

بل كانت عقولُهم تَجنحُ إلىٰ رأي الحكماء ، وما سلف من كُتب القُدَماء .

إذ كان أكثرُ الفلاسفة لا يقولون بنبيّ ، وينظرون إلىٰ مَنْ زعمَ ذلك بعين الغبيّ .

فلينظر العقلاء إلىٰ مثل هؤلاء ، وهل يقتل جبريل ربه(١) !؟ .

* * *

(*) رسالة الغفران ٣٠١ ، ٣٠٢ .
(١) المصدر السابق نفسه .

شاباس(*) ـ ربُّ الْعِزّة

يقول أبو العلاء المعري :

وقد بلغني أنّ رجلًا بالبصرة يُعرَفُ بشاباس ، تَزْعُمُ جماعةٌ كثيرةٌ أنّه ربُّ العزّة ، وتُجبىٰ إليه الأموالُ الجمة ، ويَحمل إلىٰ السّلطان منها قسماً وافراً ، ليكونَ بما طلبَ ظافراً ، وهو إذا كُشِف ، ساقط لاقط[1] ، يَبُذّه إلىٰ الفضل الماقِطُ[2] ، والماقطُ الذي يكري من بلد إلىٰ بلد .

وحُدّثْتُ أنّ امرأةً بالكوفة يُدّعىٰ لها مثلُ ذلك .

ولقد وصفه المعري : بأن شاباس ساقط لاقط ماقط[3] ، عبد أجير يكري من بلد إلىٰ بلد وهذه تكون حقيقته إذا ما أردت الكشف عنه[4] .

* * *

(*) رسالة الغفران ٣٤٣ .

(١) اللاقط : العبد المعتق .

(٢) الماقط : مولىٰ المولىٰ .

(٣) ساقِطٌ ، ماقِطٌ ، لاقِطٌ : جاء في اللسان : الساقط : اللئيم في حَسَبه ونفسه ويقال للمرأة الدنيئة الحمقىٰ : سقيطةٌ ، ويقال للرجل الدَّنيء : ساقِطٌ ، ماقِطٌ لاقطٌ . لسان العرب ـ سقط .

(٤) رسالة الغفران ٣٤٣ .

صاحب[*] الزنج

نسبه :

أطلق عليه المؤرخون لقب صاحب الزِّنج والخَبيث لكثرة الأسماء التي كان يدعيها .

قال الطبري : للنصف من شوال من سنة (٢٥٥هـ) ظهر في فرات البصرة رجل زعم أنه علي بن محمد بن أحمد بن علي بن عيسىٰ بن زَيْد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وجمع إليه الزِّنج الذين كانوا يكسحون السِّباخ[١] .

وقال عن نفسه بأن اسمه : علي بن محمد بن عبد الرحيم ونسبه في عبد القيس .

وفي البحرين ادعىٰ أنه علي بن محمد بن الفضل بن حسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب ودعا الناس إليه[٢] .

وفي النجوم الزاهرة : صاحب الزنج اسمه نهيود[٣] . وفي تاريخ الخلفاء اسمه بَهبوذ .

(*) سير أعلام النبلاء ١٣/ ١٢٩ ، وفيات الأعيان ٣/ ٢٧ ، ٤/ ٣٤٤ ، النجوم الزاهرة ٣/ ٣١ ، ٤٨ ، الكامل في التاريخ ٧/ ٢٠٥ ، ٢٠٨ ، ٢٤٦ ، ٢٥٢ ، ٣٩٩ . مروج الذهب ٣١٤٤ ، ٣١٧٩ ، ٣١٨٠ ، ٣١٨٣ ، ٣٢٧٨ . المنتظم ١٢/ ١٢٥ ، طبري ٩/ ٤١٢ ، ٤١٥ ، ٤١٩ ، ٤٢٣ ، ٤٣٥ ، ٦٢٢ ، مجلة المعرفة العدد ١٩٩٥/٣٧٦ ثورة الزنج في العصر العباسي/ عبد القادر فياض حرفوش .

(١) طبري ٩/ ٤١٠ . وجاء في النجوم الزاهرة ٣/ ٢٢ بأنه نسب غير صحيح .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) النجوم الزاهرة ٣/ ٤٨ . تاريخ الخلفاء ٤٣١ .

رأي أبو العلاء المعري في صاحب الزنج :

قال : أما العَلويّ البصري[1] (أي صاحب الزنج) فذكرَ بعضُ النّاسِ أنَّه كان قبل خروجه يَذكر أنه من عبد القيس ثم من أنمْار . وكان اسمُه أحمد ، فلما خرجَ تسمَّى عليّاً .

والكذبُ كثيرٌ جمّ ، كأنّه في النَّظَرِ طَوْدٌ أشَمُّ ، والصّدقُ لديهِ كالحصاة ، تُوطأُ بأقدامِ عُصاة وتلك الأبياتُ المنسوبةُ إليه مشهورةٌ وهي :

أيَا حِرْفَةَ الزَّمْنى ألَمَّ بكِ الرَّدَى، أما لي خَلاصٌ منكِ والشَّملُ جامعُ[2]؟
لَئِنْ قَنِعَتْ نَفْسي بتَعليمِ صِبيَةٍ يَدَ الدَّهرِ ، إنّي بالمَذلَّةِ قانِعُ
وهَلْ يَرْضَينْ حُرٌّ بتعليمِ صِبيَةٍ وقد ظَنَّ أنَّ الرّزْق في الأرضِ واسعُ؟

وما أمنَعُ أن يكونَ حَمَلَه حبُّ الحُطام ، على أن غَرِقَ في بحر طام ، يَسبَحُ فيه .

﴿ مَادَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴾[3] .

وقد رُويتْ له أبياتٌ تدلّ على تألُّهٍ وما أدفَعُ أن تكون قيلت على لسانه ، لأن من خبرَ هذا العالَم حكم عليه بفجور ومَين وأخلاق تبعُدُ من الزين . والأبيات هي :

قَتلتُ النّاسَ إشفاقاً على نَفسي كَيْ تبقَى
وحُزْتُ المالَ بالسّيفِ لكَيْ أنْعَمَ لا أشْقَى
فمن أَبصرَ مَثْوايَ فلا يَظْلِمْ إذاً خَلْقَا
فَوا وَيْلي إذا مَا مُتُّ عندَ اللهِ ما أَلْقَى
أخُلْداً في جِوارِ اللّهِ أمْ في نارِهِ أُلْقَى[4]

---

(١) العلوي البصري : صاحب الزنج الذين اجتاحوا البصرة ، قتل سنة (٢٧٠)هـ .
(٢) الزمنى ، الواحد زمين : المصاب بالزمانة ، أي ضعف القوى ، والمراد بحرفة الزمنى حرفة المعلمين .
(٣) سورة هود . من آية ١٠٧ .
(٤) رسالة الغفران ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

قال ابن الأثير : فلما أخرب البصرة انتسب إلىٰ يحيىٰ بن زيد ، وذلك لمصير جماعة من العلويين إليه ، وكان فيهم علي بن محمد بن أحمد بن عيسىٰ بن زيد وجماعة من نسائهم ، فترك الانتساب إلىٰ عيسىٰ بن زيد ، وانتسب إلىٰ يحيىٰ بن زيد . قال القاسم بن الحسن النوفليُّ : كذَب ، ابن يحيىٰ لم يُعقب غير بنت ماتت وهي ترضع[1] .

قال الذهبي : وادعىٰ أنه هو عبد الله المذكور في : ﴿قُلۡ أُوحِيَ﴾[2] وإنه يحيىٰ بن عمر العلوي أبو الحسين المقتول بناحية الكوفة[3] .

وكان اسم ابن صاحب الزنج « انكلاي »[4] .

إن أُصوله بين الطالقان ، ووَرْزَنين ، وأن جدته لأبيه سندية[5] .

مذهبه :

قال الذهبي : كانت أم الخبيث تقول : لم يَدع ابني أحداً عنده عِلْمٌ بالرَّي حتىٰ خالطهم ، ثم خرج إلىٰ خُراسان فغاب عني سَنتين ، وجاء ثم غاب عني غيبته التي خرج فيها ، فورد علىٰ كتابه من البصرة ، وبعث إليَّ بمالٍ ، فلم أقبله ، لما صحّ عندي من سفكه للدماء ، وخرابه للمدن[6] .

وقال أيضاً : فقال عَليٌّ الشِّعر ومدح به ، وصار كاتباً ، ودخل في ادِّعاءِ الإمامة وعلم المُغيَّبات ، وخاف فنزح من سامرَّاء إلىٰ الرِّي لميراث في سنة (٢٤٩هـ)[7] .

---

(١) الكامل في التاريخ ٧/ ٢٤٦ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٣/ ١٣٤ . سورة الجن آية : ١ .

(٣) طبري ٩/ ٤١١ .

(٤) الكامل في التاريخ ٧/ ٤٠١ .

(٥) سير أعلام النبلاء ١٣/ ١٣١ .

(٦) سير أعلام النبلاء ١٣/ ١٣١ .

(٧) المصدر نفسه .

ووصفه الذهبي فقال عنه :

هو طاغيةُ الزِّنْج ، عليُّ بن محمد بن عبد الرحمن[1] العبدي ، من عبد القَيس .

افترىٰ ، وزعم أنَّه من ولد زَيْد بن علي العلوي ، وكان مُنجماً طرقياً ذكياً ، حَرُورياً[2] ماكراً ، داهية منحلًّا ، علىٰ رأي فجرة الخوارج ، يَتَستَّرُ بالانتماء إليهم ، وإلَّا فالرَّجُل دَهْريٌّ فيلسوفٌ زِنْديق[3] .

وقال ابن الجوزي : وكان صاحب الزنج ينظر في حساب النجوم ، فعرف انخساف القمر[4] .

وقال الطبري : وقد كان أهل البحرين احلُّوه من أنفسهم محل النبي ، فيما ذكر حتىٰ جُبيَ له الخراج هنالك ونفذ حكمه بينهم ، وقاتلوا أسباب السلطان بسببه ووتر منهم جماعة كثيرة فتنكروا له ، فتحول عنهم إلىٰ البادية ، ولما انتقل إلىٰ البادية صحبه جماعة من أهل البحرين منهم رجل كيّال من أهل الأحْساء ، يقال له : يحيىٰ بن محمد الأزرق المعروف بالبحراني مولىٰ لبني دارم ، ويحيىٰ بن أبي ثعلب ، وكان تاجراً من أهل هَجَر ، وبعض موالي بني حنظلة أسود يقال له : سليمان بن جامع ، وهو قائد جيشه ، ثم كان ينتقل في البادية من حيّ إلىٰ حيّ . وذلك في سنة تسع وأربعين ومائتين[5] .

---

(١) في الكامل لابن الأثير ٧/ ٢٠٦ : « ابن عبد الرحيم » .

(٢) نسبة إلىٰ الحرورية : وهم الخوارج الذين خالفوا علياً كرم الله وجهه بعد رجوعه من صفين إلىٰ الكوفة . وحروراء موضع بالكوفة .

(٣) سير أعلام النبلاء ١٣/ ١٢٩ ، ١٣٠ .

(٤) المنتظم ١٢/ ١٢٤ .

(٥) طبري ٩/ ٤١٠ ـ وهَجر : مدينة وهي قاعدة البحرين . معجم البلدان ٥/ ٤٥٢ .

ادعاؤه النبوة :

فذكر عنه أنه كان يقول : أوتيت في تلك الأيام آيات من آيات إمامتي ظاهرة للناس ، إني لُقِّيتُ سوراً من القرآن لا أحفظها ، فجرىٰ بها لساني في ساعة واحدة ، منها سبحان ، والكهف ، وص .

وقال : ومن ذلك أني لقيت نفسي علىٰ فراشي ، فجعلت افكر في الموضع الذي أقصد له ، وأجعل مقامي به ؛ إذ نَبَتْ بي البادية ، وضقت بسوء طاعة أهلها ، فأظلتني سحابة ، فبرقت ورعدت ، واتصل صوت الرعد منها بسمعي فخُوطبت فيه ، فقيل : اقصد البصرة ، فقلت لأصحابي وهم يكنُفوني : إني أُمِرت بصوت هذا الرّعد بالمسير إلىٰ البصرة[1] . وقال : لقد عرضت علي النبوة فأبيتها ، لأن لها أعباء خفت أن لا أطيق حملها[2] .

. . . ثم صار إلىٰ مدينة السلام فأقام بها حَوْلًا ، وانتسب فيها إلىٰ أحمد بن عيسىٰ بن زَيْد ؛ وكان يزعم أنه ظهر له أيام مقامه بها آيات ، وعرف ما في ضمائر أصحابه ، وما يفعله كل واحد منهم ؛ وأنه سأل ربه بها آيةً أن يعلم حقيقة أمره ، فرأىٰ كتاباً يُكتب له ، وهو ينظر إليه علىٰ حائط ، ولا يرىٰ شخص كاتبه[3] .

وزعم أنه تكلم في المَهد ، صيح به : يا علي ! فقال : يا لبَّيْكَ .

وكان يجمع اليهود والنَّصارىٰ ، يسألهم عما في التَّوراة والإنجيل من ذكره ، وهم يَسْخَرون منه ، ويقرؤون له فصولًا ، فَيَدَّعي أنها فيه ، وزاد من الإفك ، فنفرت منه قلوب خلقٍ من أتباعه ومقتوه[4] .

---

(١) المصدر نفسه ٩/ ٤١١ .

(٢) المنتظم ١٢/ ١٢٥ .

(٣) طبري ٩/ ٤١٢ .

(٤) سير أعلام النبلاء ١٣/ ١٣٤ ، ١٣٥ (وكان يدعي مخاطبة الملائكة ويحرف القرآن) .

أعماله :

قال المسعودي : وأكثر الناس يقول إنّه دعي آل أبي طالب ينكرونه ؛ وكان من أهل قريةٍ من أعمال الريِّ يقال لها وَرْزَنين ؛ وظهر من فعله ما دل علىٰ تصديق ما رُمي به من أنه كان يرىٰ رأي الأزارقة من الخوارج ، لأن أفعاله في قتل النساء والأطفال وغيرهم من الشيخ الفاني وغيره ممن لا يستحق القتل يشهد بذلك عليه(١) .

ولقد أورد المسعودي حادثة عن صاحب الزنج تقطع الشك باليقين بأن صاحب الزنج ليس بعلوي ولا يمت لآل أبي طالب ، ولا لبني هاشم ولا لقريش بصلة ، وربما كان ادعاءه بالنسب لعبد قيس غير صحيح لأنه هو نفسه كان يدعي بذلك . . . ؟ قال عنه المسعودي :

وبلغ من أمر عسكره أنّه كان ينادَىٰ فيه علىٰ المرأة من ولد الحسن والحسين والعباس وغيرهم من ولد هاشم وقريش وسائر العرب وأبناء الناس ، تباع الجارية منهم بالدرهمين والثلاثة ، ويُنادَىٰ عليها بنسبها : « هذه ابنة فلان الفلانيّ !» ؛ لكل زنجيّ منهم العشرة والعشرون والثلاثون يطؤهنّ الزنج ويخدمن النساءَ الزنجيات كما تخدم الوصائف ؛ ولقد استغاثت إلىٰ علي بن محمد امرأةٌ من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب كانت عند بعض الزنج وسألته أن ينقلها منه إلىٰ غيره من الزنج أو يعتقها مما هي فيه ؛ فقال لها : « هو مولاكِ وهو أولىٰ بك من غيره »(٢) .

جيش الزنج :

يقول الذهبي عن جيش صاحب الزنج وتركيبته وفظائعه :

---

(١) مروج الذهب ٥/ ١٤٠ .
(٢) المصدر نفسه ٥/ ١١٦ ، ١١٧ .

ظهر بالبصرة ، واستغوىٰ عَبيد الناس وأوباشَهم ، فَتجمَّع له كلُّ لِصٍّ ومُرِيب ، وكثروا ، فَشدَّ بهم علىٰ أهل البصرة ، وتمَّ له ذلك ، واستباحوا البلد ، واسترقُّوا الذُّرية ، وملكوا ، فانتدب لحربهم عسكر المعتمد ، فالتقىٰ الفريقان ، وانتصر الخبيث واستفحل بلاؤه ، وطوىٰ البلاد وأباد العباد ، وكاد يملك بغداد ، وجرت بينه وبين الجيش عِدَّة مَصَافَّات ، وأنشأ مدينة سَمَّاها : المختارة ، في غاية الحصانة ، وزاد جيشه علىٰ مئة ألف ، ولولا زندقَته ومروقه لاستولىٰ علىٰ الممالك[1] .

معارك وحروب صاحب الزنج وتخريب البصرة :

بعد أن ملك الجيش القوي أصبح يشن الغارات علىٰ القرىٰ والمدن المحيطة بالبصرة ، فيقتل دون تمييز وينهب ويسلب ويسبي النساء والأطفال ، ويحرق ويدمر حتىٰ أصاب الذعر القاصي والداني ، وإن سيرته في ذلك طويلة جداً وسأقتصر علىٰ ذكر أهم المعارك التي وقعت : في سنة (٢٥٦هـ) بدأت قواته بالغارات الشديدة علىٰ البصرة ومن ثم الأُبُلّة فقتلوا فيها خلقاً كثيراً وأحرقوها فأسرعت النار فيها[2] .

وفي السنة نفسها أحرقوا (جيّ) وقتلوا من بها وأخربوا ما وراءها إلىٰ الأهواز التي دخلوها وأخربوها[3] . وفي هذه الأثناء كانت قوات الدولة لا تصمد أمام هجوم جيش الزنج .

وفي سنة (٢٥٧هـ) أوقع سعيد الحاجب بجماعة من الزنج فهزمهم واستنقذ ما معهم من النساء والنهب وكذلك أوقع صاحب الزنج في معركة ثانية

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٣/ ١٣٠ .
(٢) الكامل في التاريخ ٧/ ٢٣٦ .
(٣) المصدر نفسه ٧/ ٢٣٧ .

بسعيد وعسكره فقتلوا خلقاً كثيراً[1] .

وفي السنة نفسها وقت صلاة الجمعة لثلاث عشرة بقيت من شوال أزمع الخبيث علىٰ جَمع أصحابه لدخول البصرة والجد في إخرابها لضعف أهلها وتفرُّقهم ، وخراب ما حولهم من القرىٰ ، ثم أمر محمد بن يزيد الدارميَّ ، وهو أحد من صحبه بالبحرين ، أن يخرج إلىٰ الأعراب ليجمعهم ، فأتاه منهم خلق كثير فأناخوا بالقندل[2] .

وأحاط قادة الزنج بالبصرة من كل جانب وهم سليمان بن موسىٰ الشعراني ، وعلي بن أبان ، ويحيىٰ بن محمد البحراني ، ودخلت جيوشهم البصرة فأقاموا فيها القتل والسلب والنهب ، ثلاثة أيام ثم نادىٰ بالأمان لمن بقي وأراد ذلك فليحضر دار إبراهيم بن يحيىٰ المهلبي وهذا هو الذي طلب الأمان لهم وهنا يصف ابن الأثير ما حدث فيقول : فحضر أهل البصرة قاطبة حتىٰ ملأوا الرحاب ، فلما رأىٰ اجتماعهم انتهز الفرصة لئلا يتفرقوا ، فغدر بهم ، وأمر أصحابه بقتلهم (أي يحيىٰ البحراني) فكان السيف يعمل فيهم ، وأصواتهم مرتفعة بالشهادة ، فقتل ذلك الجمع كله ولم يسلم إلّا النادر منهم ، ثم انصرف يومه ذلك إلىٰ الحريبة .

ودخل عليُّ بن أبان الجامع فأحرقه ، وأُحرقت البصرة في عدة مواضع ، منها المِرْبَد ، وزَهْران ، وغيرهما ، واتسع الحريق من الجبل إلىٰ الجبل ، وعظم الخطب ، وعمها القتل والنهب والإحراق وقتلوا كل ما رأوه بها ، فمن كان من أهل اليسار أخذوا ماله وقتلوه ، ومن كان فقيراً قتلوه لوقته ، بقوا كذلك عدة أيام[3] . وكان يحيىٰ بن محمد البحراني شغوف بكثرة قتل الناس

---

(١) المصدر نفسه ٧/ ٢٤٢ .

(٢) المصدر نفسه ٧/ ٢٤٤ .

(٣) الكامل في التاريخ ٧/ ٢٤٥ .

وكان هذا يوافق هوىٰ صاحب الزنج لذلك أقره علىٰ البصرة بعد خرابها ولم يظهر أحد بها رغم نداء الأمان لأهلها .(وقتل في يوم بالبصرة ثلاثمئة ألف)[1] .

كل هذا لم يكن بعيداً عن مرأىٰ من السلطة الضعيفة في بغداد والثورات ضدها في كل مكان من البلاد وضج العباد من فظائع الزنج في البصرة وتخريبها وما أصاب القرىٰ المحيطة بها .

وفي سنة (٢٥٨هـ) عقد المعتمد لأخيه أبي أحمد الموفق وندبه لحرب الزنج وكان رجلًا شجاعاً وافر الهمة والعزيمة وبمقدمه بدأ نجم الزنج بالأفول لأنه وجه لهم ضربات شديدة ، وكان بدايتها مقتل قادة الزنج الأشداء وهو يحيىٰ بن محمد البحراني ، وجزع صاحب الزنج عليه جزعاً كثيراً وقال : لما قتل يحيىٰ اشتد جزعي عليه ، فخوطبت أن قتله كان خيراً لك ، إنه كان شَرِهاً[2] .

ولقد كان الزنج يقاتلون عن حقد وكراهية حتىٰ أنهم كان يأكلون القتلىٰ وقال ابن الأثير في ذلك : واقتسم الزنج لحوم القتلىٰ[3] .

وفي سنة (٢٥٩هـ) دخل جيش الزنج الأهواز وقهروا جيش الدولة العباسية ، وأقاموا فيها القتل وعاثوا بها فساداً[4] .

وفي سنة (٢٦٢هـ) و(٢٦٣هـ) تلقىٰ الزنج ضربات قاسية وجرح أحد قادتهم علي بن أبان المهلبي وناب عنه في قيادة جيشه شقيقه خليل بن أبان[5] .

---

(١) تاريخ الخلفاء ٤٣١ .
(٢) الكامل في التاريخ ٧/ ٢٥٥ .
(٣) المصدر نفسه ٧/ ٢٥٣ .
(٤) الكامل في التاريخ ٧/ ٢٥٩ .
(٥) المصدر نفسه ٧/ ٢٩٢ ، ٣٠٧ .

وفي سنة (٢٦٤هـ) دخل قائد جيش الزنج سليمان بن جامع وخليل بن أبان واسط بعد معارك ضاربة فقتلوا فيها خلقاً كثيراً ونهبوا وأحرقوا[١] .

وفي سنة (٢٦٥هـ) كانت معركة بين قائد جيش الزنج سليمان بن جامع ، وقائد جيش الدولة أحمد بن ليثويه وتكبد الزنج خسائر كبيرة ، وفيها أيضاً دخل الزنج النُّعمانية فأحرقوها ، وسبوا وساروا إلىٰ جَرْجَرايا ودخل أهل السواد بغداد[٢] ، وتتالت المعارك بين الزنج وجيش الدولة العباسية في سنة (٢٦٦هـ) وفي سنة (٢٦٧هـ) غلب أبو العباس بن الموفَّق علىٰ عامة ما كان بيد سليمان بن جامع والزنج من أعمال دجلة ، وأبو العباس هذا هو الذي صار خليفة بعد المعتمد فلُقِّب المعتضد بالله ، وفي صفر من السنة نفسها سار الموفق عن بغداد إلىٰ واسط لحرب الزنج ، وكان سبب تأخره عن ابنه أبي العباس هذه المدة أنه كان يجمع ويحشد الفرسان والرجالة ، ويستكثر من العدة التي يقوىٰ بها علىٰ حرب الزنج ، ويسد الجهات التي يخاف فيها لئلا يبقىٰ له ما يشغل قلبه[٣] .

وبدأ الموفق يضع خطة المعركة الفاصلة هو وابنه وقادته للقضاء علىٰ جيش الزنج ، وعلم الزنج بما أعده الموفق لهم وأخذوا يستعدون لصد هذا الهجوم والقضاء عليه . وفي سنة (٢٦٧هـ) يوم الثلاثاء لثمان خلون من ربيع الآخر هاجمت جيوش الموفق مدينة المنيعة من سوق الخميس وكان ابنه أحمد أبي العباس في مقدمة الهجوم وكانت الحرب طاحنة وهنا يصفها ابن الأثير فيقول : وعلا أصحاب أبي العباس السور ، ووضعوا السيوف فيمن لقيهم ، ودخلوا المدينة فقتلوا فيها خلقاً كثيراً ، وأسروا عالماً عظيماً ، وغنموا ما كان

---

(١) المصدر نفسه ٧/ ٣١٥ .

(٢) المصدر نفسه ٧/ ٣٢٢ .

(٣) المصدر نفسه ٧/ ٣٤٣ .

فيها ، وهرب سليمان بن موسىٰ الشعراني ومن معه ، وتبعه أصحاب الموفق إلىٰ البطائح ، فغرق منهم خلق كثير ، ولجأ الباقون إلىٰ الآجام . ورجع أبو أحمد إلىٰ معسكره من يومه ، وقد استنقذ من المسلمات زُهاء خمسة آلاف امرأة سوىٰ من ظفر به من الزنجيّات ، وأمر أبو أحمد بحفظ النساء وحملهن إلىٰ واسط ليُدفعن إلىٰ أهلهنّ[1] .

عندما وقعت مدينة سليمان الشعراني في قبضة الموفق وهي (المنيعة) أصاب صاحب الزنج الاضطراب والجزع والهلع وقال ابن الأثير يصف الحالة التي وصل إليها : فانحل بطنه ، فقام إلىٰ الخلاء دفعات وكتب إلىٰ سليمان بن جامع يحذره مثل الذي نزل بالشعراني ، ويأمره بالتيقظ[2] .

واستعد الموفق بعد وضع خطة للإيقاع بطهثا مدينة سليمان بن جامع وسماها المنصورة وكانت محصنة مثل سابقتها المنيعة ، وأمر ابنه أبا العباس أن يتقدم إلىٰ السور فاقتحموه وعبروه وانتهوا إلىٰ الزنج فلما رأىٰ الزنج تسرّعهم إليهم ولّوا منهزمين ، واتّبعهم أصحاب أبي العبّاس ، فدخلوا المدينة واجتازوا الخنادق المحصنة وكثر القتل فيهم والأسر ، واستنقذ أبو أحمد من نساء أهل واسط والكوفة والقرىٰ ، وصبيانهم أكثر من عشرين ألفاً ، وأفلت سليمان بن جامع ونفر من أصحابه ، وأسر من نساء سليمان وأولاده عدة[3] . وأعاد الموفق أسرىٰ المسلمين إلىٰ ذويهم . وفي السنة نفسها (٢٦٧هـ) لما فرغ أبو أحمد الموفق من المنصورة رحل نحو الأهواز لإصلاحها وإجلاء الزنج عنها ، فأمر ابنه أبا العباس أن يتقدَّمه ، وما أن علم صاحب الزنج بما حل بالمنصورة طلب من علي بن أبان بالقدوم عليه وكان بالأهواز في ثلاثين ألفاً ، فترك جميع ما عنده من طعام ودواب وأغنام وغير ذلك ، واستخلف عليه

(١) الكامل في التاريخ ٧/ ٣٤٤ .
(٢) المصدر نفسه ٧/ ٣٤٥ .
(٣) المصدر نفسه ٧/ ٣٤٧ .

محمد بن يحيىٰ الكرنبائيَّ فلم يقم ، واتبع علياً . وكتب صاحب الزنج أيضاً إلىٰ بهبود بن عبد الوهاب ، وهو بالفيدم والباسيان ، وما اتصل بهما ، يأمره بالقدوم عليه ، فترك كل ما عنده من الذخائر وسار نحوه فحوىٰ ذلك جميعه الموفق وقوي به علىٰ حرب الخبيث[1] .

بدأت الهزائم تطارد الزنج في كل مكان ، وأخذ الموفق يبذل الأمان والمكافأة لكل من يتخلىٰ عن صاحب الزنج ، فهرب الآلاف منهم والتحقوا بجيش الموفق ، حتىٰ أن الموفق عرض علىٰ صاحب الزنج أن يعود إلىٰ جادة الصواب ويتخلىٰ عن الأباطيل التي يدعيها من إدعاء للنُّبوَّة وتزوير لآيات القرآن ويترك ذلك وبذل له الأمان لكن صاحب الزنج لم يرد الجواب ، فاعتبر الموفق أن صاحب الزنج يرغب بالحرب وقال ابن الأثير : وكتب الموفق كتاباً إلىٰ صاحب الزنج يدعوه إلىٰ التوبة والإنابة إلىٰ الله تعالىٰ مما ركب من سفك الدماء ، وانتهاك المحارم ، وإخراب البلدان واستحلال الفُروج والأموال ، وإدعاء النُّبوَّة والرسالة ، ويبذل له الأمان ، فوصل الكتاب إليه فقرأه ، ولم يكتب جوابه[2] .

المختارة :

وهنا أخذ الموفق للاستعداد للضربة القاضية للانقضاض علىٰ عاصمة صاحب الزنج ومدينته (المختارة) وكانت علىٰ غاية من التحصين بالأسوار والخنادق ، وغور الطريق إليها ، وما أعدّ من المجانيق والعرادات والقسي وسائر الآلات علىٰ سورها ، وعدد المقاتلة ! .

فأمر الموفق ابنه أبو العباس بالتقدم إلىٰ سور المدينة والرمي لمن عليه بالسهام فتقدم حتىٰ ألصق شذواته بمُسنّاة قصر الخبيث ، وكثرت مقاومة الزنج

---

(١) المصدر نفسه ٧/ ٣٤٨ .

(٢) الكامل في التاريخ ٧/ ٣٥٠ .

له، وعاد أبو العباس واستأمن خلق كثير من الزنوج فأمنهم الموفق وخلع عليهم واستراح الموفق وجيشه استراحة المقاتل للإعداد وعاد الكرة في منتصف شعبان من السنة نفسها وكان معه من الجند والمتطوعة زهاء خمسين ألفاً، وكان مع الخبيث أكثر من ثلاثمائة ألف إنسان ، كلهم ممن يقاتل بسيف ، أو رمح أو قوس أو مقلاع ، أو منجنيق ، وأضعفهم رماة الحجارة من أيديهم وهم النظارة والنساء تشركهم في ذلك اليوم، ونودي بالأمان للناس كافة إلّا الخبيث، وكتب الأمان في رقاع ، ورماها في السهام ، ووعد فيها الإحسان ، فمالت قلوب أصحاب الخبيث واستأمن ذلك اليوم خلق كثير فخلع عليهم ووصلهم ، ولم يكن ذلك اليوم حرب . وبلغ من استأمن إليه في آخر رمضان خمسين ألفاً[1] .

أقام الموفق مدينة مقابل مدينة الزنج سمّاها الموفقية وبدأ بتضييق الخناق علىٰ الزنوج في آخر معاقلهم وحاصرهم اقتصادياً فلم تعد الميرة تجري إليهم ، وأخذ يبذل الأمان للزنوج وقادتهم الأمان فجعلوا يهربون من كل وجه ويخرجون إلىٰ الموفق بالأمان بعدما رأوا ما حل بهم .

وفي السنة نفسها لست بقين من ذي الحجة عبر الموفق إلىٰ مدينة الخبيث بعد قتال شديد أحاط بها من كل جهاتها وأحدثوا في السور ثلمات وانهزم الزنج وأصحاب الموفق يقتلونهم ، وأحرقوا دور قادة الزنج ، فأمر الموفق الناس بالرجوع[2] . وهرب صاحب الزنج وابنه أنكلاي ، وعلي بن أبان وسليمان بن جامع وهم من قادة الزنج الذين قاتلوا بصلابة وعناد .

وفي سنة (٢٦٨هـ) أقام الموفق لا يحارب ليريح أصحابه إلىٰ شهر ربيع الآخر فلما انتصف ربيع الآخر قصد الموفق مدينة الخبيث وأحاط الجيش بها من جهاتها كافة وثلموا في السور ثلمات ودخلوا في قلبها وأسروا وقتلوا وعادوا[3] .

---

(١) المصدر نفسه ٧/ ٣٥١ ، ٣٥٤ .

(٢) الكامل في التاريخ ٧/ ٣٥٦ ، ٣٥٨ .

(٣) المصدر نفسه ٧/ ٣٦٤ .

وفي سنة (٢٦٩هـ) رُمي الموفق بسهم في صدره رماه به روميٌّ كان مع صاحب الزنج اسمه قُرطاس وذلك لخمس بقين من جُمادىٰ الأولىٰ، فستر الموفق ذلك وبقي يحارب، ولما صحّ الموفق من جراحه عاود الهجوم علىٰ مدينة صاحب الزنج إلىٰ قصور من قصور الزنج فأحرقوها، وانتهبوا ما فيها واستنقذوا عدداً كثيراً من النساء اللواتي كنّ فيها، وغنموا منها، وعاد الموفق إلىٰ مدينته، وبكر إلىٰ حربهم، واستأمن إلىٰ الموفق محمد بن سمعان، كاتب الخبيث، وكان أوثق أصحابه في نفسه وكان سبب خروجه: أنه كان كارهاً لصحبة الخبيث، مُطّلعاً علىٰ كفره وسوء باطنه، ولم يمكنه التخلص منه إلىٰ الآن ففارقه، وكان خروجه عاشر شعبان[1].

وأمر الموفق جيشه بالهجوم علىٰ قصره فأحرقوه، وانتهبوا ما لم تأت النار عليه من الذهب والفضة والحلي وغير ذلك، واستنقذوا جماعة من النساء اللواتي كان الخبيث يأنس بهن مما كان استرقهن، ودخلوا دوره، ودور ابنه انكلاي فأحرقوها جميعاً وفعل أبو العباس في دار الكرنابي من النهب والهدم والإحراق مثل ذلك، وقطع أبو العباس سلسلة عظيمة كان الخبيث قطع بها نهر أبي الخصيب ليمنع الشذا من دخوله، فحازها أبو العباس وأخذها معه[2].

السقوط الأخير:

يظهر أن مدينة المختارة[3] عاصمة صاحب الزنج كانت مدينة كبيرة ومحصنة من كل جوانبها كافة وهي تقع في موانع طبيعية من الأنهار وأحاطها

---

(١) المصدر نفسه ٧/ ٣٧٨.

(٢) الكامل في التاريخ ٧/ ٣٧٩.

(٣) المختارة: مدينة علىٰ الدجلة، وعلىٰ مسيرة يوم من البصرة، وبالقرب من مدينة عبادان، سماها بذلك الدعي المتغلب علىٰ البصرة (٢٥٨هـ) وهو المعروف بصاحب الزنج وكان هذا الدعي سكن المختارة بسودانه الذين كانوا معه من عبيد أهل البصرة وغيرهم. (الروض المعطار ٥٢٥».

بسور وحماة تدافع ، وأمام تصميم الموفق بدأت تنهار عاصمة الزنج رغم كل التحصينات المحيطة بها والمدافعين عنها ، وهاهي قوات الموفق تقصد سجناً للخبيث فأطلقوا من فيه ، وتهدم دور أصحابه وقادته واستنقذوا خلقاً كثيراً من النساء والصبيان ، ما لا يحصىٰ ، واستُنقذ نسوة من العلويات كن محبَّسات في موضع قريب من داره التي كان يسكنها ، فأحسن الموفق إليهن ، وحملهن ، ولما شعر قادة الزنج أن الموت محيق بهم أخذوا يطلبون الأمان وكان علىٰ رأسهم شبل بن سالم فأجابه الموفق وهو من قدماء أصحاب الخبيث ، وأخذ شبل يهاجم ما تبقىٰ من جيش الزنج فيقتل ويأسر منهم ، والموفق يحسن إليه .

وفي سنة (٢٧٠هـ) اشترك لؤلؤ غلام ابن طولون في حرب صاحب الزنج وقد أبدىٰ لؤلؤ وجيشه شجاعة فائقة في قتال الزنوج ومطاردتهم ، حتىٰ مضىٰ الخبيث في أصحابه ، ومعه ابنه أنكلاي وسليمان بن جامع وقواد من الزنج وغيرهم هاربين ، عامدين إلىٰ موضع كان الخبيث قد أعده ملجأ إذا غُلب علىٰ مدينته ، وذلك المكان علىٰ النهر المعروف بالسفياني .

وأسر أبوالعباس سليمان بن جامع وكان أكثر أصحاب الخبيث غناءً، وأسر بعده إبراهيم بن جعفر الهمداني وكان أحد أمراء جيوشه ، وجَدَّ الموفق في طلب صاحب الزنج حتىٰ انتهىٰ إلىٰ آخر نهر أبي الخصيب ، فلقيه البشير بقتل الخبيث ، ثم أتاه غلام من أصحاب لؤلؤ يركض ومعه رأس الخبيث وعرضه وتعرف المستأمنة عليه فعرفوه ، فخرّ لله ساجداً ، وسجد معه الناس[1] .

ووقع جميع قادة الزنج في الأسر سليمان بن جامع ، وانكلاي ابن صاحب الزنج ، وعلي بن أبان ، وقرطاس الرومي الذي رمىٰ الموفق بالسهم في صدره ، وجمع ما تبقىٰ من الزنج ، وقدم أبو العباس بغداد ومعه رأس الخبيث ليراه الناس فبلغها لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادىٰ الأولىٰ من هذه السنة .

وأعاد الموفق سكان المناطق إليها مثل البصرة والأبلة والأهواز وغيرها

---

(١) الكامل في التاريخ ٧/ ٤٠٣ .

وأقام هو بالموفقية لكي يطمئن الناس بوجوده حتىٰ عادت إليهم الحياة إلىٰ مجراها الطبيعي وولىٰ علىٰ المدن ولاة عدل حسنت سيرتهم .

وكان خروج صاحب الزنج يوم الأربعاء لأربع بقين من شهر رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين ، وقُتل يوم السبت لليلتين خلتا من صفر سنة سبعين ومائتين ، وكانت أيامه أربع عشرة سنة واربعة أشهر وستة أيام .

لقد أذاق صاحب الزنج الناس الويلات من تشريد وقتل ونهب وسلب وتخريب اقتصادي واجتماعي ، إن أفعاله تنم عن شخص حاقد يكره العرب والإسلام ، دأبه الانتقام الذي لا ينتهي ، هل هذه أفعال شخص ينشد الحرية للآخرين ، ويستعبد عشرات الألوف ويخلق طبقة جديدة من العبيد من الأسرىٰ الذين وقعوا في يديه ؟ .

وتبارىٰ الشعراء يذكرون الموفق ومعاركه الخالدة ضد الخبيث صاحب الزنج ، وسأذكر بعض مَا قاله يحيىٰ بن محمد الأسلمي :

أقـولُ وقـد جـاءَ البَشيـرُ بـوقعـةٍ ... أعزّتْ من الإسلام ما كان واهيا
جزىٰ اللهُ خيرَ الناسِ للناس بعدما ... أُبيحَ حِماهم خيرَ ما كان جازيا
تفـرَّد ، إذ لـم ينصـر اللهُ ، نـاصـرٌ ... بتجـديـدِ ديـنٍ كـان أصبـح بـاليـا
وتجديدِ مُلك قد وهىٰ بعدَ عِزّهِ ... وأخـذٍ بثـاراتٍ تُبيـنُ الأعـاديـا
ورد عِمـاراتٍ أُزيلـتْ وأُخـربـتْ ... ليـرجِـعَ فـيءٌ قـد تُخُـرِّمَ وافيـا
وتـرجـع أمصـارٌ أُبيحـتْ وأُحـرقـتْ ... مِـراراً فقـد أمسـتْ قـواءً عـوافيـا
ويشفـي صـدور المُسلميـن بـوَقعـةٍ ... يُقـرُّ بهـا منهـا العيـونَ البـواكيـا[1]

وذكر الصُّولي أنّه قَتل من المسلمين ألف ألف وخمسمئة ألف آدمي ، وقتل في يوم واحد بالبصرة ثلاثمئة ألف ، وكان له منبر في مدينته يصعد عليه ويسب عثمان وعلياً ومعاوية ، وطلحة ، والزبير وعائشة[2] رضي الله عنهم .

---

(١) الكامل في التاريخ ٧/ ٤٠٥ ، ٤٠٦ .
(٢) تاريخ الخلفاء ٤٣١ .

محمد[*] بن علي الشَّلمغانيّ

ألوهية ابن أبي العَزاقر ، أبو جعفر محمد بن علي الشَّلمغاني ، أهله من قرية واسط[1] تُعرفُ بشَلْمَغانَ وصورتُه صورة الحلاج ، ويدّعي عنه قومٌ أنّه إله ، وأنّ الله حَلَّ في آدمَ ثم في شيث ثمّ في واحدٍ ، واحدٍ من الأنبياء والأوصياء والأئمّة حتىٰ حَلّ في الحسين بن علي العسكري[2] وأنّه حلَّ فيه .

وكان قد استغوىٰ جماعةً منهم ابن أبي عَوْنٍ[3] صاحب كتاب التشبيه ، ومعه ضُرِبتْ عُنُقُه ، وكانوا يبيحونَه حُرَمَهم وأموالهم يتحكّمُ فيهم ، وكان يتعاطىٰ الكيمياء ، وله كُتبٌ معروفة[4] .

إن بعض الذين تنوروا في العلم في عصرهم الغابر أمثال الشَّلمغاني وأدركوا درجة في تجارب علم الكيمياء ، استغلوا هذا العلم في وسط من التخلف ليبرهنوا لهم بأن قدرة عُليا حلّتْ بهم ، وجعلوا لهم أتباعاً يعيشون علىٰ كنفهم ويستبيحون حُرماتهم ، بدلًا من أن يُطوروا علمهم باتجاه نافع يعود علىٰ البشرية عامة بفوائد كثيرة ولا سبيل إلىٰ قمع مثل هذه الترهات والأباطيل ، إلا بالعلم ، ومحاربة التخلف بكل فروعه من جهل وفقر ومرض ، وفي كل هذه الأمور من الخلط والتخريف ما لا يخفىٰ علىٰ صاحب عقل[5] .

(*) رسالة الغفران ٢٣١ ـ وفي الكامل في التاريخ ٨/ ٢٩٠ محمد بن علي الشلمغاني المعروف بابن أبي العزاقر ، وشلمغان التي ينسب إليها هي قرية بنواحي واسط .

(١) واسط : بلدة بين البصرة والكوفة .

(٢) الحسين بن علي العسكري : أحد الأئمة الاثني عشر ، توفي سنة ٢٧٠هـ .

(٣) ابن أبي عون : هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد .

(٤) رسالة الغفران ٢٣١ ـ ولم يعلق المعري علىٰ هذا الموضوع وكان مختصراً بينما أورد ابن الأثير تفاصيل أكثر فيما يلي .

(٥) تعليق المؤلف عبد القادر فياض حرفوش .

رواية ثانية في الشلمغاني :

لقد أحدث الشَّلمغانيَّ مذهباً غالياً في التشيع ، والتناسخ ، وحلول الإلهية فيه ، إلىٰ غير ذلك ممّا يحكيه ، وأظهر ذلك من فعله أبو القاسم الحسين بن رَوْح ، الذي تسميّه الإماميّة الباب ، متداول وزارة حامد بن العباس ، ثم اتصل الشَّلمغاني بالمحسن بن أبي الحسن بن الفرات في وزارة أبيه الثالثة ، ثم إنَّه طُلب في وزارة الخاقاني ، فاستتر وهرب إلىٰ الموصل ، فبقي سنين عند ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان في حياة أبيه عبد الله بن حمدان ، ثم انحدر إلىٰ بغداد واستتر ، وظهر عنه ببغداد أنّه يدّعي لنفسه الربوبيّة ، وقيل إنّه اتّبعه علىٰ ذلك الحسين بن القاسم بن عبد الله بن سليمان بن وهب الذي وزر للمقتدر بالله ، أبو جعفر ، وأبو علي ابنا بِسطام ، وإبراهيم بن محمد بن أبي عون ، وابن شبيب الزيات ، وأحمد بن محمد بن عبدوس ، كانوا يعتقدون ذلك فيه ، وظهر ذلك عنهم ، وطُلبوا أيام وزارة ابن مقلة للمقتدر بالله ، فلم يوجدوا .

فلمّا كان في شوال سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ظهر الشَّلمغانيُّ ، فقبض عليه الوزير ابن مقلة وسجنه ، وكبس داره فوجد فيها رقاعاً وكتباً ممن يدّعي عليه أنّه علىٰ مذهبه ، يخاطبونه بما لا يخاطب به البشر بعضهم بعضاً ، وفيها خطّ الحسين بن القاسم ، فَعُرضت الخطوط فعرفها الناس وعُرضت علىٰ الشلمغاني فأقر أنها خطوطهم ، وأنكر مذهبه ، وأظهر الإسلام ، وتبرّأ مما يقال فيه ، وأُخذ ابن أبي عون ، وابن عبدوس معه ، وأُحضرا معه عند الخليفة ، وأُمرا بصفعه فامتنعا ، فلما أُكرها مدَّ ابن عبدوس يده وصفعه ، وأمّا ابن أبي عون فإنّه مدّ يده إلىٰ لحيته ورأسه ، فارتعدت يده ، فقبّل لحية الشَّلمغاني ورأسه ، ثم قال : إلهي ، وسيدي ، ورازقي ؛ فقال له الراضي : قد زعمتَ أنّك لا تدّعي الإلهيّة فما هذا ؟ .

فقال : وما عليّ من قول ابن أبي عون والله يعلم أنّني ما قُلتُ له إنّني إله قطّ[1] !.

فقال ابن عبدوس : إنّه لم يدّع الإلهيّة ، وإنّما ادّعىٰ أنه الباب إلىٰ الإمام المنتظر ، مكان ابن رَوْح ، وكنتُ أظنّ أنّه يقول ذلك تقيّةً ، ثم أُحضروا عدّة مرّات ، ومعهم الفقهاء ، والقضاة ، والكتاب ، والقواد ، وفي آخر الأيّام أفتىٰ الفقهاء بإباحة دمه ، فَصُلب الشلمغاني ، وابن أبي عون ، في ذي القعدة فأُحرقا بالنار .

مذهبه :

وكان من مذهبه أنّه إله الآلهة يحقّ الحقّ ، وأنّه الأوّل القديم ، الظاهر ، الباطن ، الرازق ، التام ، الموما إليه بكلّ معنىٰ ، وكان يقول : إن الله ، سبحانه وتعالىٰ ، يحل في كل شيء علىٰ قدر ما يحتمل ، وإنّه خلق الضدّ ليدل علىٰ المضدود ، فمن ذلك أنّه حلَّ في آدم لما خلقه ، وفي إبليسه أيضاً ، وكلاهما ضد لصاحبه لمضادته إيّاه في معناه ، وإنّ الدليل علىٰ الحقّ أفضل من الحقّ ، وإنّ الضد أقرب إلىٰ الشيء من شبهه ، وإنّ الله عز وجل ، إذا حل في جسد ناسوتي ظهر من القدرة والمعجزة ما يدل علىٰ أنّه هو ، وإنّه لمّا غاب آدم ظهر اللاهوت في خمسة ناسوتيّة ، كلما غاب منهم واحد ظهر مكانه آخر ، وفي خمسة أبالسة ، أضداد لتلك الخمسة ، ثم اجتمعت اللاهوتية في إدريس وإبليسه ، وتفرّقت بعدهما كما تفرقت بعد آدم ، واجتمعت في نوح ، عليه السّلام وإبليسه ، وتفرّقت عند غيبتهما ، واجتمعت في هود وإبليسه ، وتفرّقت بعدهما ، واجتمعت في صالح عليه السلام ، وإبليسه عاقر الناقة ، وتفرّقت بعدهما ، واجتمعت في إبراهيم ، عليه السلام ، وإبليسه نمرود ، وتفرقت لمّا غابا ، واجتمعت في هارون وإبليسه فرعون ، وتفرّقت بعدهما ، واجتمعت في

---

(١) الكامل في التاريخ ٨/ ٢٩٠ ، ٢٩١ .

سليمان وإبليسه ، وتفرقت بعدهما ، واجتمعت في سليمان وإبليسه ، وتفرقت بعدهما ، واجتمعت في عيسىٰ وإبليسه ، فلمّا غابا تفرّقت في تلاميذ عيسىٰ وأبالستهم ، ثم اجتمعت في علي بن أبي طالب وإبليسه .

الإله في مذهب الشلمغاني :

ثم إنّ الله يظهر في كل شيء ، وكلّ معنىٰ ، وإنّه في كلّ أحد ، بالخاطر الذي يخطر بقلبه ، فيتصوّر له ما يغيب عنه ، حتىٰ كأنّه يشاهده ؛ وإنّ الله اسم لمعنىٰ ، وإنّ من احتاج الناس إليه فهو إلهٌ ، ولهذا المعنىٰ يستوجب كل أحد أن يسمّىٰ إلهاً ، وإنّ كلّ أحد من أشياعه يقول : إنّه ربّ لمن هو في دون درجته ، وإنّ الرجل منهم يقول : أنا ربّ لفلان ، وفلان ربّ لفلان ، وفلان ربّ ربّي ، حتىٰ يقع الانتها إلىٰ ابن أبي العزاقر (الشّلمغاني) فيقول : أنا ربّ الأرباب ، لا ربوبيّة بعده[1] .

الأنبياء وصفتهم :

ولا ينسبون الحسن والحسين ، رضي الله عنهما ، إلىٰ عليّ كرم الله وجهه لأنّ من اجتمعت له الربوبيّة لا يكون له ولد ، ولا والد ، وكانوا يسمون موسىٰ ومحمداً ﷺ ، الخائنين ، لأنّهم يدّعون أنّ هارون أرسل موسىٰ ، وعليّاً أرسل محمداً ، فخاناهما ، ويزعمون أنّ عليّاً أمهل محمداً عدّة سني أصحاب الكهف ، فإذا انقضت هذه المدّة ، وهي ثلاثمائة وخمسون سنة ، انتقلت الشريعة ، ويقولون إنّ الملائكة كلّ من ملك نفسه ، وعرف الحقّ ، وإنّ الجنّة معرفتهم وانتحال مذهبهم ، والنار الجهل بهم ، والعدول عن مذهبهم .

العبادة في مذهبهم :

ويعتقدون ترك الصلاة والصيام وغيرهما من العبادات ، ولا يتناكحون

---

(١) الكامل في التاريخ ٨/ ٢٩٢ ، ٢٩٣ .

بعقد ، ويبيحون الفروج ، ويقولون إن محمداً ﷺ ، بُعث إلىٰ كبراء قريش وجبابرة العرب ، ونفوسهم أبيّة ، فأمرهم بالسجود ، وإن الحكمة الآن أن يمتحن الناس بإباحة فروج نسائهم ، وإنّه يجوز أن يجامع الإنسان من شاء من ذوي رحمه ، وحرم صديقه ، وإبنه ، بعد أن يكون علىٰ مذهبه ، وإنّه لا بد للفاضل منهم أن ينكح المفضول ليولج النور فيه ، ومن امتنع من ذلك قُلب في الدور الذي يأتي بعد هذا العالم امرأةً ، إذا كان مذهبهم التناسخ ، وكانوا يعتقدون إهلاك الطالبيّين والعبّاسيّين[1] .

* * *

(١) الكامل في التاريخ ٨/ ٢٩٤ .

وللناس فيما يعتقدون مذاهب .

المُتنبؤون في المغرب

١ ـ أحمد بن قسِيّ .

أحمد[*] بن قَسِيّ

كما ظهر في المشرق أناس ادعوا أنهم آلهة وأنبياء كذلك ظهر في المغرب وإن لم تصل كافة أخبارهم إلينا .

وجاء في كتاب المُعجب في تلخيص أخبار المغرب : وقام بمغرب الأندلس دُعاة فتن ورؤس ضلالات فاستفزُّوا عقول الجهال واستمالوا قلوب العامة ؛ من جملتهم رجل اسمه أحمد بن قُسِيّ كان في أول أمره يدعي الولاية وكان صاحب حيلٍ وربَّ شَعبذة ، وكان مع هذا يتعاطىٰ صنعة البيان وينتحل طريق البلاغة ؛ ثم ادعىٰ الهداية ؛ بلغني ذلك عنه عن طرق صحاح ؛ ثم لم يستقم له شيء مما أراد ، واختلف عليه ، ودسوا إليه من أخرجه من الحصن بحيلة حتىٰ أخذه الموحدون قبضاً باليد فعبروا به إلىٰ العدوة فأتوا به عبد المؤمن[1] رحمه الله ، فقال له : بلغني أنك ادعيت الهداية ! فكان من جوابه أن قال : أليس الفجر فجران[2] : كاذب وصادق ؟ فأنا كنت الفجرَ الكاذب ! فضحك عبد المؤمن وعفا عنه ، ولم يزل بحضرته إلىٰ أن قتله بعضُ أصحابه الذين كانوا معه بالأندلس ، ولابن قسِيّ هذا أخبار قبيحة مضمونها الجراءة علىٰ الله سبحانه ، والتهاون بأمر الولاية ، منعني من ذكرها صرف العناية إلىٰ ما هو أهم منها[3] .

(*) المُعجب في تلخيص أخبار المغرب ٣١١ ، ٣١٢ ـ تأليف عبد الواحد التميمي المراكشي ـ تحقيق محمد العريان مطبعة القاهرة ـ ١٩٤٩م = ١٣٦٨هـ .

(١) عبد المؤمن بن علي بنِ عَلويّ الكومي ـ وكان يقول : نحن لقيس عيلان بن مُضر بن نزار بن معد بن عدنان . والكومية هم الأخوال كان مولده في آخر سنة (٤٨٧هـ) في أيام يوسف بن تاشفين وكانت وفاته في شهر جمادي الآخرة سنة (٥٥٨هـ) . وكان خليفة ابن تومرت في دولة الموحدين بالمغرب . انظر المُعجب في تلخيص أخبار المغرب .

(٢) كذا قال ؛ وهو غلط نحوي .

(٣) المرجع نفسه ص٣١١ ، ٣١٢ .

القسم الثامن

المتنبؤون في القرنين التاسع عشر والعشرون

١ ـ ميرزا علي محمد الشيرازي .
٢ ـ ميرزا غلام أحمد القادياني .

ميرزا(*) علي محمد الشيرازي - البهائية

ولد بإيران حوالي سنة (١٢٥٢هـ) الموافق (١٨٢٠م) تعلم الميرزا علي محمد قليلاً من العربية مع مبادئ النحو الفارسي ، وبعد وفاة والده كفله خاله وبعد أن شب أشركه معه في متجره بعد أن رآه عزوفاً عن الدرس .

ولما بلغ الميرزا علي محمد السابعة عشرة من عمره تفنن في التجارة وبرع فيها واتجه إلىٰ دراسة الرياضيات والفلسفة فتذوقها . وكان الميرزا يمتاز بالجمال والذكاء والفصاحة والطموح ووافق الخال علىٰ إرسال ابن اخته إلىٰ العراق لزيارة العتبات المقدسة في (كربلاء) وكان عمره آنذاك عشرون سنة .

لازم (الميرزا علي محمد) السيد (كاظم الرشتي) واستمع إلىٰ شروحه علىٰ كتب (الشيخ الأحسائي) فدهش أول الأمر لذلك . ثم انقطع فجأة وتغيب ردحاً من الزمن . إذ اتفق مع جماعة وتوجهوا إلىٰ مسجد (علي) في (الكوفة) وانقطوا إلىٰ الرياضة الأربعينية . ثم عاد إلىٰ مجلس (الرشتي) شارد الذهن وفي حالة انذهال وتكلم بأمور مخالفة لقواعد السنة النبوية . فلاطفه تلامذة (الرشتي) أول الأمر ثم هجروه وصار يردد عبارة الحديث النبوي (أنا مدينة العلم وعلي بابها) .

ادعاؤه النُّبوَّة :

وكان يقول : « الوصول إلىٰ الله لا يتم إلا عن طريق الرسالة والنُّبوَّة والولاية . ولما كان الوصول صعباً ولا يمكن إلا بالواسطة فأنا تلك الواسطة

(*) المدخل إلىٰ دراسة الأديان والمذاهب ٣/ ٢٩٤ - العميد عبد الرزاق محمد أسود ، والمذاهب الإسلامية ٣٥٧ محمد أحمد أبو زهرة .

الكبرىٰ . وكما لا يجوز دخول البيت إلاّ من الباب فأنا ذلك الباب » . وعلىٰ هذا فقد ترك اسمه الأصلي وتسمىٰ باسم (الباب) وسمىٰ اتباعه (البابية) واعتقد أنه مبعوث من الله تعالىٰ لأداء رسالة دينية عالية . وإن العناية الإلهية اصطفته من أجل تحقيقها وإن رسالته حتمية لأن الزمان والبيئة يحتاجون إلىٰ مبعوث جديد .

وتقول كتب (البابية) . . .

إن (الباب) عاد إلىٰ (شيراز) وهناك تلقاه رجلان أغلب الظن أنهما من دم يهودي أو يعملان لحساب الفكر اليهودي فأوهماه أنه سيكون له شأن . وأدخلاه في روعه أنه سيصبح منقذاً للإنسانية من الضلال . وقائداً لركب المتدينين . وراحا يقدمان له أفكاراً جديدة سرعان ما اعتنقها وقام يدعو إليها . وأبرز ما في هذه الأفكار هي القول بوحدة الوجود[١] .

وأعلن الباب دعوته وعمره آنذاك خمساً وعشرين عاماً وجمع حوله (١٨ شخصاً) سماهم (حروف حي) وكان أشهرهم الملا حسين بشروئي وسماه باب الباب .

وعندما أعلن (الباب) دعوته قامت قيامة العلماء في (إيران) واستحثوا رجال الدولة علىٰ استئصال شأفة هذه الدعوة التي تهدد الأمن وتضعضع الإيمان .

وفي مؤتمر (برشت الذي عقد عام (١٢٦٤هـ) أعلن (البابيون) انسلاخهم عن الإسلام واشتد بهم الحرص علىٰ محاربته ومحاربة اللغة العربية بقصد قطع أتباعهم عن قراءة القرآن وأحاديث الرسول ﷺ والتراث الإسلامي .

ثم أعلن (الباب) عن نفسه أنه هو (المهدي المنتظر) الذي غيب عام

---

(١) المدخل إلىٰ دراسة الأديان والمذاهب ٣/ ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

(٢٦٠هـ) وإن جسم (المهدي) اللطيف حل في جسمه المادي . ثم أعلن (إنه أفضل من محمد صاحب الدعوة الإسلامية وأن تعاليمه التي جمعها في بيانه هي أفضل من تعاليم نبي المسلمين في قرآنه) .

ثم ادعىٰ بعدئذ (أن الله تعالىٰ قد حل فيه وأنه هو الذي به يظهر الله لخلقه وأنه هو السبيل لعودة (موسىٰ) و(عيسىٰ) إلىٰ الدنيا . أي أنه هو روح الله ومظهر قوته وجلاله[١] .

ولقد أثارت دعوة الباب غضب العلماء ، وطلبوا من الدولة إعدامه ، وأخذت الدولة تطارده ثم زجته في السجن أكثر من مرة ، وخلت سبيله ، ولكن ضغط العلاء اشتد بالمطالبة في إعدامه وبعد مناظرته مرات عدة من قبل العلماء تقرر إعدامه .

في يوم الاثنين ٢٧ شعبان عام (١٢٦٥هـ) جرىٰ التشهير بالباب ثم سيق إلىٰ ساحة الإعدام ومعه إثنان من أتباعه .

ارتد (السيد حسين اليزدي) كاتب وحي (الباب) عن عقيدته وأظهر التبرؤ منه وسبه ولعنه فأطلق سراحه .

أما (الباب) و(محمد علي الزنوزي) فقد أعدما في ٢٨ شعبان عام (١٢٦٥هـ) . وكان عمر الباب يوم قتله إحدىٰ وثلاثين سنة وسبعة أشهر وسبعة وعشرين يوماً[٢] .

وقرر الأهلون في (طهران) القضاء علىٰ أتباع (الباب) فأصدرت الحكومة أمراً بالقبض عليهم وإلقائهم في السجون . وبعد أن ساموهم سوء العذاب أفنوهم عن بكرة أبيهم . وقد قتل في هذه الحادثة أربعمائة من البابيين وعشرات غيرهم من غير (البابية) اتهموا بها من خصومهم زوراً وبذلك خفت

---

(١) المدخل إلىٰ دراسة الأديان والمذاهب ٣/ ٢٩٥ ، ٢٩٦ .

(٢) المرجع نفسه ٣/ ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

صوت (البابية) ولجأت إلىٰ العمل السري . وفتحت الباب لليهود علىٰ مصراعيه[1] .

انقسم (البابيون) بعد (الباب) إلىٰ ثلاثة أقسام هي :

١ ـ القسم الأول : الذين جاهروا بخلافة (الميرزا يحيىٰ نور صبح أزل) فسموا (الأزلية) .

٢ ـ القسم الثاني : الذين تمسكوا (بالميرزا حسين علي ـ بها الله) فسموا (البهائية) .

٣ ـ أما القسم الثالث : فهم القائلون بالتمسك بتعاليم (الباب) ورسالته وسموا (البابية الخلص) .

أصبح (الميرزا حسين علي ـ البهاء) من غلاة الأمر الجديد ويناديه أتباعه بكلمة (ربنا الأسمىٰ) وكان (البهاء) ممن اتهم في محاولة اغتيال (الشاه ناصر الدين) عام (١٢٦٨هـ) فهرب إلىٰ قرية (رزكندة) والتجأ إلىٰ المفوضية الروسية فيها .

وفي هذه الفترة أعلن (البهاء) بداية نزول الوحي عليه . وأصبح من قواعد (البهائية) توحيد الأديان السماوية في دين واحد . وأن (البهاء) هو الذي يوحد ويتمها وهو الذي يفسر ما استغلق منها . كما أنه هو الذي يعلن ما كتمه (عيسىٰ) وهكذا أصبحت (البهائية) وجهاً آخر لليهودية[2] .

ثم قررت الحكومة الإيرانية نفيهم جميعاً إلىٰ العراق فوصلوا بغداد في ٢٨ جمادىٰ الآخرة عام ١٢٦٩هـ وفي عام ١٢٨٠ اضطرت الحكومة العثمانية إلىٰ نفيهما إلىٰ أدرنة فبلغاها في ١ رجب عام ١٢٨٠هـ وفي أدرنة استمرت المنافسة

---

(١) المدخل في دراسة الأديان والمذاهب ٣/ ٢٩٩ .

(٢) المصدر نفسه ٣/ ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

علىٰ الزعامة بين الأخوين . . . وقيل إن كلاً من الأخوين صار يدس السم للآخر . . . واتفق الباب العالي مع السفارة الإيرانية في الأستانة علىٰ التفريق بين الأخوين فنفي (بها الله) إلىٰ عكا مع أتباعه فوصلوها في ١٢ جمادىٰ الأولىٰ عام ١٢٨٥هـ ونفىٰ (صبح أزل) إلىٰ قبرص فبلغوها في ١٥ ربيع الثاني عام ١٢٨٥هـ[١] .

وفي فترة وجود (بهاء الله) في عكا وجه رسائله إلىٰ الحكام في مشارق الأرض ومغاربها وادعىٰ فيها بحلول الإله فيه وإنه يعلم الغيب . وتوفي في ٢ ذي القعدة عام ١٣٠٩هـ ودفن في عكا وأصبح مدفنه مزاراً لأتباعه ـ وأوصىٰ من بعده لولديه (عباس أفندي) ـ و(الميرزا محمد علي)[٢] .

وسمي عباس أفندي ـ عبد البهاء ـ وبذل جهده في نشر تعاليم المذهب وأرسل دعاته إلىٰ الولايات المتحدة الأمريكية لدعوة الأمريكيين إلىٰ الدين الجديد . وقصد الولايات المتحدة فبلغ نيويورك في نيسان عام ١٩١٢ وكان قبلها زار الإسكندرية ومنها إلىٰ لندن سنة ١٩١١ ثم بعد شهر إلىٰ باريس ولما احتلت الجيوش البريطانية حيفا ٢٣ أيلول ١٩١٨م تنفس (عبد البهاء) الصعداء . وزاره الجنرال (اللنبي) بأمر من الحكومة البريطانية . وأنعمت عليه كذلك بالوسام الإمبراطوري من درجة فارس[٣] .

وفي ٢٨ ربيع الأول عام ١٣٤٠هـ الموافق للعام ١٩٣١م توفي عبد البهاء ـ عباس أفندي ـ وتولىٰ حفيده شوقي أفندي رباني بوصية من عبد البهاء قبل وفاته ـ وكان عبد البهاء ملماً بالمدنية الأوربية والثقافة الغربية قد حوّر تعاليم البهاء بما يتقارب والعقل الأوربي الغربي . فأبعد منها فكرة الحلول الإلهي

---

(١) المصدر نفسه ٣/ ٣٠٥ .
(٢) المدخل إلىٰ دراسة الأديان والمذاهب ٣/ ٣٠٥ .
(٣) المصدر نفسه ٣/ ٣٠٦ ـ والمذاهب الإسلامية ٣٦٦ .

واتجه إلىٰ دراسة الكتب المقدسة عند اليهود والنصارىٰ فاتسعت الدعاية لهذا المذهب بين اليهود والنصارىٰ والمجوس وكثر أتباعه من هؤلاء وانتشرت البهائية في التركستان ، والبلاد الأمريكية وفي أوربا واتخذت شيكاغو مركزاً لها[1] .

وفي تشرين الثاني عام ١٩٥٧م توفي بالسكتة القلبية في لندن .

وفي فلسطين المحتلة اجتمع المجلس الأعلىٰ للطائفة البهائية وانتخب الصهيوني الأمريكي (ميسون) رئيساً روحياً لجميع الطائفة البهائية في العالم .

هكذا في ظل الفكر الجديد للصهيونية . دفع اليهود بالبهائية إلىٰ أقطار كثيرة ورعوها ودعموها بالمال[2] .

وإن لهذه العقيدة كتب ومؤلفات عدة تشرح طقوسها وعلاقاتها ، لا مجال لذكرها والتوسع بها ، ويمكن العودة إلىٰ المصادر المذكورة عنها .

* * *

(١) المذاهب الإسلامية ٣٦٦ . والمدخل إلىٰ دراسة الأديان ٣/ ٣٠٦ .
(٢) المدخل إلىٰ دراسة الأديان ٣/ ٣٠٧ .

ميرزا(*) غلام أحمد القادياني

القاديانية :

تنتسب هذه الفرقة إلىٰ ميرزا غلام أحمد القادياني نسبة إلىٰ قاديان في إقليم البنجاب ، وأسس غلام عقيدته المعروفة باسمه وسجل مذهبه رسمياً سنة (١٩٠٠م) وأنشأ مجلة تنطق باسمه وتعبر عن فكرة المذهب أسماها مجلة الأديان ، كما ألف كتاباً شرح فيه فلسفته سماه « براهين الأحمدية » .

لقد نشأ المذهب القادياني علىٰ يد ميرزا ، ووجد أنصاراً لا زالوا يعيشون إلىٰ اليوم في البنجاب وأفغانستان وإيران ، ولكن كثرت حولهم الآراء والاتهامات ، فهناك من يجعل منهم خُدّاماً للاستعمار وهناك من يجعل منهم مارقين خارجين علىٰ أصول الإسلام وتعاليمه ، وهناك من ينسبهم إلىٰ الإسلام علىٰ أنهم فرقة صاحبة رأي متسم بالغلو والاندفاع .

ومن نسبهم إلىٰ خدمة الاستعمار وجد الكثير من الحجج التي أقامها ضدهم وإن كانت كلها ليست في مقام واحد من القوة بل تتفاوت قوة وضعفاً .

من ذلك علىٰ سبيل المثال من جعلهم خلفاء لرسالة السيد أحمد خان الزعيم الهندي المتوفي سنة (١٨٩٨م) بعد حياة استمرت واحداً وثمانين عاماً .

والسيد أحمد خان اختلفت فيه الآراء أيضاً ، فالبعض يذهب أنه خادم للاستعمار عميل للإنكليز محطم للشريعة مارق عن الإسلام ، والبعض الآخر يرىٰ أنه مصلح عظيم أدىٰ للشعب الإسلامي والدين الإسلامي في الهند أجل الخدمات .

(*) إسلام بلا مذاهب ٣٥١ ـ ٣٦٠ ، المذاهب الإسلامية ٣٧١ ـ ٣٨٤ .

فأما خصوم السيد أحمد خان فقد وجهوا إليه تهماً خطيرة أهمها أنه تقرب إلىٰ الإنكليز والف كتاباً أسماء « تبيان الكلام » ذكر فيه أن التوراة والإنجيل ليسا محرفين ، وظهر بمظهر الدهريين والطبيعيين ونادىٰ بألا وجود إلاّ للطبيعة ، وأن جميع الأنبياء كانوا طبيعيين لا يعتقدون بالإله الذي جاءت الشرائع بذكره ، وكتب تفسيراً للقرآن فحرف الكلم عن مواضعه وبدل ما أنزل الله وأنشأ جريدة باسم « تهذيب الأخلاق » لا ينشر فيها إلا كل ضلال وكل ما يؤدي إلىٰ فرقة المسلمين في الهند ، وكان ينادي بأن ما أصابته أوربا من تقدم لم يكن إلا نتيجة لنبذ الأديان والرجوع وجعل النبوة غاية يمكن تحصيلها واكتسابها بالترويض النفسي وأضعف من قيمة فرضية الجهاد ، ونادىٰ بالتعاون بين المسلمين والغربيين ، ودعا إلىٰ ما أسماه « إنسانية الأديان » ولذلك فقد وجد الإنكليز فيه ضالتهم المنشودة بخاصة وأنه عارض الثورات التي قامت ضدهم وأوذي من جراء ذلك فأنشأوا له « كلية » ينشر فيها مذهبه هي كلية « عليكره »(١) .

تلك آراء من خاصموا السيد أحمد خان وجعلوا منه صنيعة إنكليزية فرسم القادياني علىٰ منواله من بعده واتسع في جموحه .

إن مايهمني من البحث هو القاديانية ولكن المؤلف توسع في الموضوع وهو يذكر بأن الأستاذ أحمد أمين دافع عنه في كتابه « زعماء الإصلاح » أما ميرزا غلام أحمد فإن تصريحاته الشخصية قد ربطته إلىٰ السياسة الإنكليزية برباط متين .

العقيدة القاديانية :

مر بنا أن منشئ العقيدة القاديانية هو ميرزا غلام أحمد المتوفي سنة (١٩٠٨م) الذي اتصل بالإنكليز وهادنهم وربط نفسه بعجلتهم فقدموا له الكثير

---

(١) انظر رأي جمال الدين الأفغاني في مجموعة العروة الوثقىٰ ص٩٦ ـ ٤٧٢ وانظر الفكر الإسلامي الحديث للدكتور محمد البهي ص١٢ ـ ١٦ .

من المساعدات الأدبية والمادية التي جعلته يطفو بوضوح على مسرح الحياتين الدينية والسياسية في الهند في أول الأمر ثم امتدت أفكاره إلى الأقطار المجاورة للهند فيما بعد .

وقد بدأ أمره حينما أعلن أنه عثر على قبر المسيح في قرية اسمها سرنجار بمنطقة كشمير ، وزعم أن السيد المسيح قد هاجر إلى كشمير بعد تألب اليهود عليه ومحاولة قتله ، وظل في تلك المنطقة حتى بلغ من العمر مائة وعشرين عاماً ثم توفي في تلك البلدة ودفن في هذا القبر ، ولم يقدم السيد ميرزا أي دليل علمي أو ديني على زعمه هذا ولكنه وجد من يصدق به .

بعد ذلك أعلن السيد ميرزا من نفسه إماماً مهدياً بعث ليجدد الإسلام ، واستعان بالحديث الشريف : « إن الله يبعث لهذه الأمة كل مائة سنة رجلاً يجدد لها أمر دينها » . ونادى بأنه رجل المائة الأخيرة أي المائة الرابعة عشرة . هـ .

ادعاؤه النبوة :

ولو وقف الأمر بالسيد ميرزا عند هذا الحد لكان الأمر يحتمل النظر ، ولكنه مضى في الاندفاع نحو الطريق الذي رسمه لنفسه فادعى أن روح المسيح قد حلت فيه ، كما ادعى أن محمداً كذلك حل فيه ، فتجمعت فيه روح عيسى ومحمد[1] ولذلك فهو نبي ، أي أنه بدأ بإدعاء الإصلاح وتجديد الدين ، ثم ثنى بادعائه أنه المهدي المنتظر الذي ينادي به الشيعة ، ويبدو أنه شكل في جدوى هذه الدعوى الثانية فقفز قفزة واسعة وادعى النُّبوَّة .

ولما كانت الرسالة المحمدية خاتمة الرسالات ومحمد خاتم النبيين فإن « النبي القادياني » قد بحث للمسألة عن مخرج فقال : إن محمداً خاتم النبيين بمعنى أنه صاحب الختم وليس لأحد أن يحظى بنعمة الوحي إلا بفيض خاتمه ،

---

(١) الفكر الإسلامي الحديث للبهي ص١٨ .

وأن أمته لن يغلق في وجهها باب المكالمة والمخاطبة الربانية إلىٰ يوم القيامة ، فلا صاحب للختم الآن إلا هو . وخاتمه وحده يكسب النُبوَّة التي تستلزم أن يكون صاحبها من أمة محمد ﷺ[1] وهكذا نرىٰ أن « القادياني » تخلص من حلول عيسىٰ فيه ومن ادعائه « المهدية » وانتهىٰ أو اكتفىٰ بالنُّبوَّة في ظل الإسلام والتزام تشريعه دون أن يوحىٰ إليه ، بل عليه أن يسهر علىٰ تنفيذ العقيدة وتجديدها شاهداً أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . ولما كانت النُّبوَّة تحتاج في إثباتها لبعض المعجزات فقد ذهب السيد « القادياني » إلىٰ أن معجزاته تتلخص في انه تنبأ بالكسوف والخسوف[2] .

إن نشأة العقيدة القاديانية بهذا الأسلوب الذي مر ذكره تكفي لأن تكون هدفاً للهجوم الشديد والاستنكار من عامة المسلمين ، ولكن سبباً آخر زاد من حدة هجوم الناس عليها ، ذلك هو استشعارهم أن هذه العقيدة تسير في ركاب الاستعمار وتعمل بوحي من الإنجليز فمن ذلك مثلاً قول القادياني : « اعتقادي الذي دأبت علىٰ إبدائه للناس المرة تلو المرة وهو أن الإسلام قائم علىٰ أصلين : الأول : أن نطيع الله تبارك وتعالىٰ ، والثاني ألا نبغي علىٰ الحكومات التي وطدت دعائم الأمن وصانت أرواحنا من اعتداء المعتدين وإن كانت هنا هي الحكومة البريطانية » .

ولا يكتفي « ميرزا غلام » بهذه الدعوة الصريحة للإنكليز ، بل إنه يعطل مشروعية الجهاد في الإسلام لأن الجهاد هنا منصبٌّ علىٰ الإنكليز وحدهم باعتبارهم الغاصبين للوطن الهندي فيقول : « مَنْ من الكفار يرفع سيفه اليوم بداعي الدين ، ومن يصد المسلمين عن دينهم ومن يحول بين المسلمين والأذان في المساجد ؟ فإن ظهر المسيح في مثل أيام الأمن هذه واستخف بهذا

---

(١) المذاهب الإسلامية لأبي زهرة نقلاً عن حقيقة الوحي ص٢٧ .

(٢) وهل كان الكسوف والخسوف في مطلع القرن العشرين من المعجزات علىٰ دولة مثل انكلترا ، فلقد كان معروفاً لديها تماماً . من علماء الفلك والأرصاد .

الأمن ، وأراد أن يرفع السيف بلا مبرر لأجل الدين ، فإن أقسم بالله أن هذا الشخص كذاب مفتر وليس هو المسيح الصادق البتة » .

ويقول في موضع آخر معرِّضاً بمشروعية الجهاد : « أنا لا أعتقد أني مهدي هاشمي قرشي سفاح ينتظره الناس من بني فاطمة يملأ الأرض دماً ، ولا أرىٰ مثل هذه الأحاديث صحيحة بل هي كومة من الموضوعات ، نعم أدعي لنفسي انني أنا المسيح الموعود الذي يعيش متواضعاً مثل المسيح متبرئاً من القتال والحرب كاشفاً عن وجه ذي الجلال بالطريق السلمي والملاطفة »(١) .

والحق أن « نبوة » ميرزا غلام أحمد كانت من السذاجة بحيث تضع نفسها موضع الشبهات التي لا تتفق مع النبوات ، لأن « النبي » القادياني يعلن صراحة أن « نبوته » قامت لخدمة الإنجليز ووجوب طاعتهم في قوله : « لقد قضيت معظم عمري في تأييد الحكومة الإنجليزية ولنصرتها ، وقد ألفت في منع الجهاد ووجوب طاعة أولي الأمر الإنجليز من الكتب والنشرات ما لو جمع بعضه إلىٰ بعض لملأ خمسين خزانة ، وقد نشرت جميع هذه الكتب في البلاد العربية ومصر والشام وكابل »(٢) .

والقادياني لا يكفر غير المؤمنين به من المسلمين إلاّ إذا تصدوا له وكفروه ، حينئذ يحكم عليهم بالكفر ويفتي بعدم صلاة الجنازة علىٰ موتاهم ، ويتلخص رأيه في ذلك قوله : « لا شك أنني أعتبر كل منحرف عن الحق والصدق ملوثاً ، ولكنني لا أسمي الناطق بالشهادتين كافراً ما لم يكفرني هو ويكذبني ويكتب الكفر علىٰ نفسه وهكذا ، ففي هذه المعاملة كان المخالفون أسبق مني دائماً فهم كفروني وأفتوا عليَّ بذلك فبتكفيرهم إياي يصبحون هم من الكافرين تبعاً لفتوىٰ النبي ﷺ فأنا لا أكفرهم بل هم الذين يدخلون أنفسهم في

---

(١) تبليغ الرسالة ص١٧ .

(٢) كتاب ترياق القلوب للقادياني ص١٥ .

فتوىٰ رسول الله ﷺ[1] » .

تلك هي أهم الأركان العقائدية التي جاء بها غلام أحمد القادياني ولا شك أن فيها كثيراً من الغلو والانزلاق عن جادة الطريق السوي ، ولما مات سنة (١٩٠٨م) خلفه مولاي نور الدين عن طريق الانتخاب فلما مات هذا الأخير خلفه ميرزا بشير أحمد الذي بقي علىٰ عقيدته مؤمناً بنُبوة مؤسس المذهب وألف كتاباً أسماه حقيقة النُّبوَّة ذكر فيه أن غلام أحمد أفضل من بعض أولي العزم من الرسل ، وذكر في أحاديث أخر أنه كان أفضل من كثير من الأنبياء ويمكن أن يكون أفضل من جميع الأنبياء ، ثم يستبد به الانحراف فيقول : إن ميرزا هو محمد ﷺ وهو مصداق قول القرآن الكريم أحمد[2] .

الأحمدية :

بعد موت ميرزا مؤسس الفرقة بفترة غير طويلة انقسم القاديانيون إلىٰ قسمين ، قسم متطرف في أفكاره أصرَّ علىٰ أن ميرزا كان نبيّاً وعلىٰ رأس هؤلاء مولاي نور الدين الخليفة الأول وميرزا بشير أحمد الخليفة الثاني ، وقسم آخر لم يعجبه هذا التطرف بل رأىٰ فيه خروجاً علىٰ جوهر الدين الإسلامي ، وهذا الفريق هو الذي يعرف باسم جماعة لاهور أو الأحمدية ، والأحمدية لا تقول بنبوة ميرزا ولا تعترف بمعجزاته ، ولكنهم يعتبرونه مصلحاً ملهماً ، وهم يحاولون إصلاح الآراء المتطرفة التي تردىٰ فيها زعيمهم خصوصاً فيما يتعلق بنسخ الجهاد فيقولون إن نسخ الجهاد ليس المقصود به الحرب الدفاعية وإنما المقصود به الحرب الهجومية .

وعلىٰ رأس هذه الجماعة الأخيرة المعتدلة خوجه كمال الدين ، ومولاي محمد علي ، وهذا الأخير قد أسدىٰ للإسلام خدمات جليلة فقد ترجم القرآن

---

(١) كتاب ترياق القلوب للقادياني ص١٣٠ .

(٢) الفكر الإسلامي الحديث ٢١ ، ٢٢ .

الكريم إلىٰ اللغة الإنكليزية وألف كتاباً قيماً أسماه « دين الإسلام » ونسج علىٰ منواله كثير من المعتدلين من أبناء هذه الطائفة كتبوا كتابات كثيرة طيبة عن الإسلام . ولو أمكن كبح جماح المشتطين الغالين منهم وإقناعهم وإعادتهم إلىٰ الجادة خاصة وقد خرج الإنكليز من الهند لأفادوا الإسلام فوائد جليلة[1] .

* * *

(١) إسلام بلا مذاهب ٣٥١ ـ ٣٦٠ ـ الأستاذ مصطفىٰ الشكعه ، والمذاهب الإسلامية ص٣٧١ ـ ٣٨٤ ـ محمد أحمد أبو زهرة .

الفهارس الفنية للكتاب

إعداد وترتيب الآنسة رحاب عبد القادر فياض حرفوش

فهرس الأعلام

ـ أ ـ

ـ ب ـ

ـ ث ـ

ـ ج ـ

ـ حـ ـ

- م -

فهرس الشعر

فهرس الأمم والشعوب والقبائل

* * *

فهرس الأصنام

* * *

فهرس البلدان والمواقع والمساكن والأمكنة

ـ ل ـ

ـ م ـ

ـ ن ـ

ـ هـ ـ

ـ و ـ

- ي -

فهرس المراجع والمصادر

ـ أ ـ

الاستيعاب ـ ابن عبد البر القرطبي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤١٥ ـ ١٩٩٥ .

أسد الغابة ـ ابن الأثير ـ دار الكتب العلمية ـ ١٤١٥ ـ ١٩٩٤ .

إسلام بلا مذاهب ـ مصطفى الشكعة ـ

الاشتقاق ـ ابن دريد ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ دار الجيل ـ بيروت ـ ١٤١١ ـ ١٩٩١ .

الإصابة ـ ابن حجر العسقلاني ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤١٥ ـ ١٩٩٥ .

الأعلام ـ الزركلي ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ١٩٩٠ .

الأغاني ـ أبو الفرج الأصبهاني ـ الثقافة ـ بيروت ـ ١٤٠١ ـ ١٩٨١ .

أمالي الزجاجي ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ دار الجيل ـ بيروت ـ ١٤٠٧ ـ ١٩٨٧ .

أمالي اليزيدي ـ مكتبة المتنبي القاهرة .

ـ ب ـ

بدائع الزهور ـ ابن إياس ـ تحقيق محمد مصطفى الهيئة العامة المصرية للكتاب ـ القاهرة ـ ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣ .

البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي . دار هجر ـ مصر ـ ١٤١٨ ـ ١٩٩٧ .

البيان والتبيين ـ الجاحظ ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ مطبعة المدني ـ مصر ـ ١٤٠٥ ـ ١٩٨٥ .

ـ ت ـ

تاريخ الإسلام ـ الذهبي .

تاريخ الأنطاكي ـ تحقيق عمر عبد السلام التدمري ـ طرابلس ـ لبنان ـ ١٩٩٠ .

تاريخ بغداد ـ البغدادي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت .

تاريخ ابن خلدون ـ منشوارت الأعلمي ـ بيروت ـ ١٣٩١ ـ ١٩٧١ .

تاريخ الخلفاء ـ السيوطي ـ تحقيق إبراهيم صالح ـ دار البشائر ـ دمشق ـ ١٤١٧ ـ ١٩٩٧ .

تاريخ الطبري ـ تحقيق أبو الفضل إبراهيم ـ دار المعارف ـ مصر ـ ١٩٧٩ .
تاريخ اليعقوبي ـ دار صادر ـ بيروت .

ـ ث ـ

ثمار القلوب ـ الثعالبي ـ تحقيق إبراهيم صالح ـ دار البشائر ـ دمشق ـ ١٤١٤ ـ ١٩٩٤ .

ـ جـ ـ

جمهرة أنساب العرب ـ ابن حزم ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ دار المعارف ـ مصر ـ ١٩٨٢
جمهرة النسب ـ ابن الكلبي ـ تحقيق د. ناجي حسن ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ١٤١٣ ـ ١٩٩٣

ـ حـ ـ

حماسة أبي تمام ـ الأعلم الشنتمري ـ تحقيق د. علي المفضل حمودان ـ دار الفكر ـ دمشق ـ ١٤١٣ ـ ١٩٩٢ .
حماسة أبي تمام ـ التبريزي ـ دار القلم ـ بيروت .
الحيوان ـ الجاحظ ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ١٣٧٨ ـ ١٩٥٨.

ـ خـ ـ

خزانة الأدب ـ البغدادي ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٧٩

ـ د ـ

دلائل النبوة ـ أبو بكر البيهقي .
ديوان حسان بن ثابت ـ برقوقي ـ دار الأندلس ـ بيروت ـ ١٣٨٦ ـ ١٩٦٦ .
ديوان المتنبي ـ برقوقي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت .

ـ ذ ـ

ذيل تاريخ دمشق ـ أبي يعلى القلنسي ـ مطبعة اليسوعيين ـ بيروت ـ ١٩٠٨ .
ذيول تاريخ الطبري ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ دار المعارف ـ مصر ـ ١٩٧٧ .

ـ ر ـ

رسالة الغفران ـ أبو العلاء المعري ـ دار صادر ـ بيروت .
الروض المعطار ـ الحميري ـ تحقيق إحسان عباس ـ مكتبة لبنان ـ ١٩٨٤ .

- ز -

زبدة الحلب ـ

- س -

سير أعلام النبلاء ـ الذهبي ـ تحقيق شعيب الأرناؤوط ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٤١٠ ـ ١٩٩٠ .

السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ تحقيق إبراهيم الأبياري ـ دار الخلود ـ بيروت .

- ش -

شذرات الذهب ـ ابن العماد ـ تحقيق محمود الأرناؤوط ـ دار ابن كثير ـ دمشق ـ ١٤١٦ ـ ١٩٩٥ .

الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة ـ تحقيق أحمد محمد شاكر ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ ١٤١٨ ـ ١٩٩٨ .

- ص -

صبح الأعشى ـ القلقشندي ـ وزارة الثقافة ـ مصر .

- ط -

طبقات فحول الشعراء ـ الجمحي ـ تحقيق محمود شاكر ـ مطبعة المدني ـ مصر ـ ١٩٧٤ .

- ع -

العقد الفريد ـ ابن عبد ربه ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣ .

عيون الأخبار ـ ابن قتيبة ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

العيون والحدائق ـ مجهول ـ تحقيق عمر السعيدي ـ المعهد الفرنسي ـ دمشق ـ ١٩٧٢ .

- ف -

فتوح البلدان ـ البلاذري ـ تحقيق عبد الله الطباع ـ مؤسسة المعارف ـ بيروت ـ ١٤٠٧ ـ ١٩٨٧ .

الفرق بين الفرق ـ البغدادي ـ دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ـ ١٤٠٢ ـ ١٩٨٢ .

الفصل في الملل والأهواء والنحل ـ ابن حزم ـ

فصيحات العرب وبليغاتهم في الجاهلية والإسلام ـ عبد القادر فياض حرفوش ـ دار البشائر ـ دمشق ـ ١٩٩٤ .

الفهرست ـ ابن النديم ـ طهران ـ ١٩٧١ .

ـ ق ـ

قبيلة خزاعة في الجاهلية والإسلام ـ عبد القادر حرفوش ـ دار البشائر ـ دمشق ـ ١٤١٧ـ ١٩٩٦ .

ـ ك ـ

الكامل للمبرد ـ تحقيق د. محمد أحمد الدالي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٤٠٦ ـ ١٩٨٦

الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ دار صادر ـ بيروت ـ ١٤٠٢ ـ ١٩٨٢ .

كتاب الأصنام ـ ابن الكلبي ـ تحقيق أحمد زكي ـ القاهرة ـ ١٣٤٣ ـ ١٩٢٤ .

كتاب الردة ـ الواقدي ـ تحقيق د. محمود عبد الله أبو الخير ـ دار الفرقان ـ عمان .

كتاب الردة ـ الواقدي ـ تحقيق د. يحيى الجبوري ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ ١٤١٠ـ ١٩٩٠ .

الكنى والألقاب ـ الشيخ عباس القمّي ـ طهران .

ـ ل ـ

لسان العرب ـ ابن منظور ـ دار صادر ـ بيروت ـ ١٤١٠ ـ ١٩٩٠ .

لسان الميزان ـ ابن حجر العسقلاني .

ـ م ـ

مجلة المعرفة ـ وزارة الثقافة ـ دمشق ـ عدد ٣٧٦ ـ سنة ١٩٩٥ ـ بحث ثورة الزنج في العصر العباسي ـ عبد القادر فياض حرفوش .

محاضرات الأدباء ـ الأصفهاني .

المحبّر ـ ابن حبيب ـ دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ـ تحقيق د. إيلزا لختن .

مختصر تاريخ دمشق ـ ابن عساكر ـ دار الفكر ـ دمشق ـ ١٤٠٤ ـ ١٩٨٤ .

المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب .

المذاهب الإسلامية ـ محمد أحمد أبو زهرة ـ مذاهب الإسلاميين ـ عبد الرحمن بدوي .

مروج الذهب ـ المسعودي ـ تحقيق شارل بلا ـ بيروت ـ الجامعة اللبنانية ـ ١٩٦٦ .

المزهر ـ السيوطي ـ دار إحياء الكتب العربية ـ مصر ـ ١٩٥٨ ـ ١٣٧٨ .

المعارف ـ ابن قتيبة ـ تحقيق د. ثروت عكاشة ـ دار المعارف ـ مصر ـ ١٩٦٩ .

المعجب في تلخيص أخبار المغرب ـ عبد الواحد التميمي المراكشي ـ تحقيق محمد العريان ـ القاهرة ـ ١٣٦٨ ـ ١٩٤٩ .

معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ تحقيق فريد عبد العزيز الجندي ـ ١٤١٠ ـ ١٩٩٠ .

مقدمة ابن خلدون ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ ١٩٦٧ .

الملل والنحل ـ الشهرستاني ـ تحقيق علي فاعور ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ١٤١٧ ـ ١٩٩٧ .

المنتظم ـ ابن الجوزي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ تحقيق محمد عبد القادر عطا ـ ١٤١٢ ـ ١٩٩٢ .

المؤتلف والمختلف ـ الآمدي ـ تحقيق عبد الستار فراج ـ دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة ـ ١٣٨١ ـ ١٩٦١ .

ـ ن ـ

نثر الدر ـ الآبي ـ تحقيق محمد علي قرنة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٩٠ .

النجوم الزاهرة ـ تغري بردي ـ مصر ـ وزارة الثقافة ـ ١٩٦٣ .

نسب قريش ـ الزبيدي ـ دار المعارف ـ مصر ـ ١٩٨٢ .

نشوة الطرب ـ ابن سعيد الأندلسي ـ تحقيق د. نصرة عبد الرحمن ـ مكتبة الأقصى ـ عمان ـ ١٤٠٢ ـ ١٩٨٢ .

نفح الطيب ـ المقري التلمساني ـ تحقيق د. إحسان عباس ـ دار صادر ـ بيروت ـ ١٣٨٨ ـ ١٩٦٨ .

نهاية الأرب ـ القلقشندي ـ تحقيق إبراهيم الأبياري ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ ١٤٠٠ ـ ١٩٨٠ .

ـ و ـ

الوافي بالوفيات ـ الصفدي ـ وداد القاضي ـ المعهد الألماني ـ بيروت ـ ١٤٠٢ ـ ١٩٨٢ .

وفيات الأعيان ـ ابن خلكان ـ تحقيق إحسان عباس ـ منشورات الرضى ـ قُم .

صدر للمؤلف

* فصيحات العرب وبلغياتهم في الجاهلية والإسلام (النثر) .
* أنبياء بلا نبوة .
* سلسلة قبائل العرب في الجاهلية والإسلام :

١ـ قبيلة طيء .

٢ـ قبيلة خزاعة .

٣ـ قبيلة ضبة .

٤ـ قبيلة تغلب .

* سيصدر قريباً وعلى التوالي :

٥ـ قبيلة تميم .

٦ـ قبيلة كندة .

٧ـ قبيلة هوازن .

* تضم هذه السلسلة مئات الشعراء والقادة المترجم لهم ، أضف إلى أيام العرب ، والحوادث التاريخية الهامة . إن هذا العمل الموسوعي يخدم الباحث ويمتع القارىء .
* صدرت جميعاً عن دار البشائر في دمشق .